

سید الوادی المقنّس

عبد المطلب



عارف آل سنبیل

موسسینہ طیبہ لایجاء التراث





**سيد الوادي المقدّس**

**عبدالمطلب عليه السلام**

عارف آل سنبل

# سید الوادی المقدّس

عبدالمطلب عليه السلام

اسم الكتاب:

سيد الوادي المقدّس

عبد المطب (عليه السلام)

تأليف

عارف آل سنبل

نشر

مؤسسة طيبة لآحياء التراث

الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠١٤م

[www.qatifonline.com](http://www.qatifonline.com)

[admin@qatifonline.com](mailto:admin@qatifonline.com)

مراكز التوزيع:

إيران: قم المقدّسة - شارع سمية - زقاق ١٢ - رقم الدار ١ / ٣٦٩ - تلفون: ٣٧٧٤٨٩٨٦ - ٢٥.

فاكس: ٣٧٧٤٨٩٨٥ - ٢٥.

العراق: النجف الأشرف - الحويش - مكتبة الأعراف - تلفون: ٢٧٦٣٨٢٠ - ٩٦٤٧٨٠.

البحرين: السنابس - مكتبة العصمة - تلفون: ١٤٢١٩٢١٩٣٣٩٧٠٠ / ١٥٦٣١٧٥٥٣١٧٣٠٠٩.



مؤسسة طيبة لآحياء التراث

جميع الحقوق محفوظة

## الإهداء

إليك...

وملء إهابي حياءً منك

إليك...

وقلبي قد علا وجيبه

إليك...

وطرفي أرخاه جلالك

إليك...

حبيبي يا رسول الله أرفع ما التقطته يداي من نثار جودك  
راجياً القبول.



## بين يدي الجلال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله داحي الأرض ورافع السماء، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وآله النجباء وآبائه الأصفياء... وبعد هكذا تكتمل الدائرة المحيطة بالرسول ﷺ، فالآباء كانوا حججاً لله سبحانه وتعالى، والأبناء كذلك، وهو في وسطهم شمس مشرقة.

وهنا يتجلّى الاصطفاء، فإنك لا تجد أحداً على شاكلتهم في حقبتهم التاريخية وجاهليتها المظلمة، وكل من يطلع على تاريخهم سيقراً رجالاً حملوا همّ التوحيد، وسعوا نحو إنقاذ الخلق، وسيراهم مصابيح تتلأأ، وإن كانت الظلمة تحيط بهم من كل جانب.

إن مسيرة التوحيد لم تنقطع، ولم يكن صوت إبراهيم عليه السلام ليخبو، وما كان دعاؤه ليخيب، وهو القائل: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة إبراهيم: ٣٥.

لقد تحقق الدعاء، وكانت الإجابة في ذرية إسماعيل عليه السلام،  
فقد حمل الأبناء تراث الآباء، حتى وصل إلى عبدالمطلب عليه السلام.

ستشعر -عزيزي القارئ- بالرهبة وأنت تلج عالم زعيم  
مكة وتشاهد خصوصياته، فإن سيماء الأنبياء تعلوه، وبهاء الملوك  
يحوطه، ولن أحدثك أكثر من هذا، بل سأدعك تسير في منعطفات  
حياته، لترى بنفسك حدائق التوحيد عنده موقنة، وثمار العبودية  
من أغصانه متدلية، وسترى أنك أمام قامة شامخة، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ  
أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد كان عبدالمطلب شخصاً استثنائياً بمعنى الكلمة، فإن  
ما يجري على يديه لن تجده إلا عند الأنبياء عليهم السلام، ولهذا كانت  
الحيرة تلف أولئك الباحثين عن شخصيته، فأفعاله أفعال الأنبياء  
ولكنه ليس منهم، فيا ترى من يكون؟

لقد كنت أحسب أن الحديث عنه سيكون قصيراً، وأن  
الوقوف لن يتعدى برهةً من الزمن، أجمع فيها نثار التاريخ، ثم  
أنظمه نظماً سهلاً يسيراً.

ولكن شاءت التوفيقات أن تكون البرهة شهوراً، تخللتها  
قواطع وفواصل، وأن تكون الإمامة السريعة مكثاً طويلاً، فقد  
رأيت تراثاً متراكماً، وإراثاً ثقيلاً، حاولت أن أزيح عنه الغبار،  
وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في ذلك.

(١) سورة إبراهيم: ٢٤.



وإذا أردت أن أختصر الصعوبة في البحث فأوجزها بأني لو كنت أمام بحث تاريخي محض لكان الأمر سهلاً يسيراً، ولكنني وجدت أمامي تأريخاً بشرياً مربوطاً بالسما، وبحثاً ممزوجاً بالعقائد والمعارف.

فهناك مواقف تحتاج إلى فهم، وأعمال تبحث عن انسجامها مع عقيدة التوحيد، وستقرأ بعد ذلك سيلاً من الاستفهامات والاعتراضات، ومع كل ذلك فقد يسّر الله سبحانه وتعالى الصعوبات، وذللّ العقبات. وسترى أن التاريخ قد حفظ من شؤونه شيئاً كثيراً جداً، أخذت منه ما أردت، وتركت للباحثين عن المزيد ما تركت، فالتاريخ رغم شحّه وحلقاته المفقودة إلا أنه كان سخياً، موصول الحلقات في سجلّ حياة (عبدالمطلب).

وقدرتّب المؤرخون أهم الأحداث في حياته، فكان أول حدث حفر بئر زمزم، وبعده بتسع سنين أو أكثر كان تقديم ولده عبدالله ﷺ للفداء، ثم تزوج عبدالله بأمنة بعد سنة، وبعد الزواج بعشرة أشهر أو أكثر كانت ولادة النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وأما حادثة الفيل فالمشتهر عند عامة الناس أنها كانت عام ميلاد النبي ﷺ، ولكن من المؤرخين من لا يقرّ بذلك، وقد وضعت هذا الحدث وفق المشتهر عند الناس.

ولم تطل الحياة بعبدالمطلب ﷺ بعد ولادة النبي ﷺ

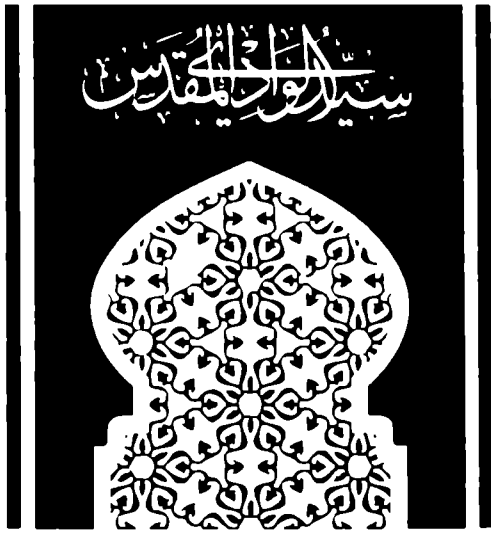
(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٩.

إلا ثمانية أعوام، شهدت حدث الوفادة على ملك اليمن، وبعده بست سنين انطوت صفحات مشرقات، وغاب شخص طالما شغل أهل الأرض وباركهم، فعليه سلام الله سبحانه وتعالى أطراف الليل وآناء النهار.

لقد آن للقلم أن يستريح، وكلي أمل في أن يكون سعيي مقبولاً عند الله عزّ وجلّ، ومرفوعاً بين يدي رسول الله ﷺ، وطمع في نظرة رحمة من سيدي ومولاي عبدالمطلب ﷺ، وأن لا يحرمني من شفاعته يوم يشفع، فلا ترد له شفاعته.

الراجي قبول الخدمة

عارف



## الباب الأول



### ولادة ونشأة

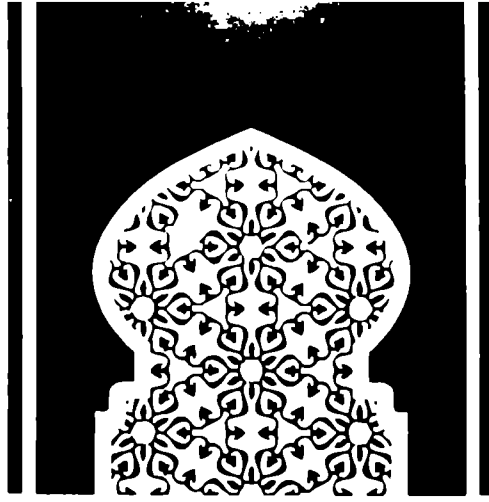
ولادة مباركة



نشأة صالحة







## الفصل الأول



### ولادة مباركة

الوالدان الجليلان

يا بن هاشم، طابت أصولك، وزكت جدودك، أبوك عمرو  
العلی، وأمك من خيرة النساء سلمی.

والده العظيم

إنه عمرو العلی وكفی، عرفه حکام عصره تاجر أزعيماً، وراه  
حجاج بيت الله الحرام شخصية دينية متألقة، وأدرکت الحجاز  
أنها نعمت بقائد في السراء والضراء.

تحدّث عنه من شاهده في موسم الحج، فوصفه وصفاً  
دقيقاً، لا يليق إلا بالزعماء.

رجل أزهری اللون، قد اعتمر عمامة سوداء، وجبينه يشرق

باننور، فكأن الشعري تتوقد على محيائه.

كان يجلس على عرش من الأبنوس، وييده قضيب يتخصر به، وبين يديه ثلاثون كهلاً لا يفيضون بكلمة، وغلما ن قد شمروا إلى أنصاف سوقهم، وجزائر تنحر، وأخرى تساق، وغيرها في القدور يطهى، والمنادي ينادي: يا وفد الله هلموا إلى الغداء... ويقبل الحجاج للضيافة، حتى إذا فرغوا ودّعهم آخر قائلاً: من تغدّى فليرجع إلى العشاء<sup>(١)</sup>.

حياض تملأ بالطعام لو فد الله سبحانه وتعالى، وأخرى عند زمزم يملؤها من الآبار الطيبة.

لقد كان هذا ديدنه، حتى جاءت سنوات أذهبت الأموال، فما كان من عمرو العلي إلا أن خرج إلى الشام، وحمل منها خبزاً كثيراً، فلما وصل مكة هشم الخبز في الجفان، ونحر تلك الإبل وطبخها، ثم ألقى اللحم على الخبز، وأكل منه أهل مكة.

مائدة تمدُّ لكل راغب وطالب، ولا يمنع عنها أحد، وضيافة عامة لأهل مكة، لقد رأوا الجفان فيها الخبز المهشم، وعندها خلدوا هذا العمل الجليل، وأطلقوا على عمرو العلي اسم (هاشم)<sup>(٢)</sup>.

وفي ذلك يقول الشاعر:

كانت قريشٌ بيضةً فتفلّقت  
فالمخُّ خالصه لعبد مناف

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٠، ص ٤١٢.

(٢) كتاب المنمق، ص ٩٧.

الرائشون وليس يوجدُ رائشٌ  
والقائلون: هلمَّ للأضياف  
عمرو العلى هشم الثريدَ لقومِهِ  
ورجالُ مكةَ مُسْتِنُونَ عجافٌ<sup>(١)</sup>

ولم يكن هذا العمل معروفاً عندهم، فقد قال رسول الله ﷺ: «وأول من هشم الثريد هاشم»<sup>(٢)</sup>.

النور في غرّته، والكرم في ضيافته، والسعة في تجارته، تراه في الحج قطب رحاها، وفي التجارة زعيم القوافل المتجهة للشام أو اليمن.

إنني بعد هذا الوصف لا أتعجب مما ذكره صاحب الدر النظيم من رغبة هرقل في أن يتزوج هاشم بابنته (بجيل)، فقد عرف مجده وشرفه، وتطلع إلى ما بشر به الإنجيل من بعثة النبي ﷺ، فتعلّل هاشم بالقحط الواقع فيهم، وطلب تأجيله سنة، فسرّ بذلك<sup>(٣)</sup>.

لم تكن زعامة هاشم اجتماعية فقط، ولا تجارية فحسب، بل ينص التاريخ على أنه كان زعيماً دينياً، عنه يصدرون في أعمالهم، فكان يفتي قومه ويرشدهم<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢٠٠، وفي البيت الثالث إقواءٌ كما نصّ على ذلك غير واحد.

(٢) الكافي، ج ٦، ص ٣١٧.

(٣) راجع الدر النظيم، ص ٤٢، وأشار المناوي لعرض قيصر ابنته على هاشم لما رأى البشائر، راجع فيض القدير، ج ٣، ص ٤٨.

(٤) الدر النظيم، ص ٤٢.

## أمه المنتجة

لقد أفاق هاشم من نومة نامها، حاملاً بشري السماء باسم زوجته، والمشبهة بخديجة في عقلها وحلمها ويسارها<sup>(١)</sup>.

لقد كانت سلمى بنت عمرو من بني النجار الزوجة المختارة<sup>(٢)</sup>، وقد ظفر بها يوم نزل على أبيها في المدينة، فتقدم لخطبتها، فاشترط عليه أن تلد عند أهلها، وتم الزواج، وبني بها في المدينة، وأقام معها سنتين، ثم ارتحل بها إلى مكة<sup>(٣)</sup>.

وقد أنجبت سلمى لهاشم من الولد عبدالمطلب، ومن البنات الشفاء، ولم تكن هي الزوجة الوحيدة، بل كانت عنده أميمة، وهي أم نضلة بن هاشم، وقيلة وهي أم أسد، وهند بنت عمرو، ولها من الولد أبو صيفي وصيفي، وواقدة، ولها ابنتان وهما ضعيفة وخالدة، وأم عدي، وقد أنجبت حنة<sup>(٤)</sup>.

ولا تخلو نسبة الأبناء لأمهاتهم من اختلاف لا أجد حاجة للوقوف عليه<sup>(٥)</sup>.

(١) الدر النظيم: ٧٦.

(٢) سر السلسلة العلوية، ص ٢، والمصادر متعددة.

(٣) راجع شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ٢١٣.

(٤) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٤٤.

(٥) البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢٦٧.



## الولادة الميمونة

لقد اختلف المؤرخون في وجود هاشم ساعة ولادة عبدالمطلب، فمنهم من قال: إن سلمى أثقلت فخرج بها هاشم إلى المدينة، فوضعها عند أهلها، ومضى إلى الشام، فمات بغزة، ووضعت سلمى حملها وهاشم قد رحل عن الدنيا<sup>(١)</sup>.

ومنهم من يرى أن هاشماً قد رأى ولده عبدالمطلب، ونشأ معه فترة في مكة، فلما أراد الخروج إلى الشام حمل امرأته إلى المدينة لتكون بين أبيها وأهلها، ومعه ابنه عبدالمطلب، فلما توفي هاشم أقام ولده بالمدينة<sup>(٢)</sup>.

لقد نقل المؤرخون ما كانت سلمى تقوله عند ترقيصها لولدها شيبه الحمد:

إِنْ بُنِيَ لَيْسَ فِيهِ لِعَثْمِهِ  
وَلَمْ يَلِدْهُ مَدَّعٍ وَلَا أُمِّهِ  
يَعْرِفُ فِيهِ الْخَيْرَ مَنْ تَوَسَّمَهُ  
أَرَوْعُ ضَحَّاكٌ بَعِيدٌ هَمَمِهِ  
إِنْ أَخَّرَ اللَّهُ عَنِ بُنْيِ الْجَمِّهِ  
يَزْحَمُ مِنْ زَحَامِهِ<sup>(٣)</sup> فَيَزْحَمُهُ

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢١٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١ / ٢٤٤ - ٢٤٥.

(٣) كذا في المصدر، والصحيح (زاحمه).

أقول حقاً لا كقول الآثمه<sup>(١)</sup>

### اسمه الشريف

لعلك لا تجد مؤرخاً يشذ عن سائر المؤرخين في القول إن عبدالمطلب لم يكن اسماً لهذه الشخصية المباركة حين الولادة، وإنما هو اسم لحقه بعد ذلك<sup>(٢)</sup>.

وأما اسمه الذي أطلق عليه حين الولادة فهو شيبة الحمد<sup>(٣)</sup>، وقد علّل المؤرخون هذه التسمية بما يلي:

١- وجود شعرة في رأسه بيضاء عند الولادة<sup>(٤)</sup>.

٢- كثرة حمد الناس له، أي لأنه كان مفرع قريش في النوائب وملجأها في الأمور؛ فكان شريف قريش وسيدها كمالاً وفعالاً من غير مدافع.

ولاشك أن هذا التعليل يتلاءم وكون هذا الاسم لحقه بعد أن كبر وأصبح معروفاً لدى الناس، وأما أن يطلق عليه حين الولادة لهذا السبب فهذا غير صحيح، إلا أن يكون ذلك أملاً عند من سمّاه به.

(١) كتاب المنمق، ٣٤٦.

(٢) لم أجد في حدود مطالعتي إلا قولاً نقله الاستيعاب وهو أن اسمه عبدالمطلب، وكان يقال له: شيبة الحمد؛ لشيبة كانت في ذوابته ظاهرة، الاستيعاب ج ١، ص ٢٧، وشاركه صاحب الوافي بالوفيات ٢١ / ١٨٥.

(٣) راجع تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١٨، وغيره من المصادر.

(٤) عمدة الطالب، ص ٢٣.

٣- وقيل: إنما سمي بذلك تفاؤلاً بأنه سيبلغ سنَّ الشيب<sup>(١)</sup>.

### ألقابه المباركة

تعددت ألقاب عبدالمطلب عليه السلام وكثرت، وما ذاك إلا مؤشراً واضحاً على تعدد مزاياه، وتنوع صفات الكمال فيه.

فمن ألقابه المباركة ما يلي:

١- الفياض: ولقب بذلك لجوده<sup>(٢)</sup>.

٢- سيد الوادي<sup>(٣)</sup>: وهو لقبٌ منتزع من موقعيته التي عرفت له عبر التاريخ، فقد كان الشخصية الأولى في مكة.

٣- مطعم الطير: وربما لقب بمطعم طير السماء، وهي إشارة إلى أنه لم يكن يطعم طيراً يأكل حبوباً زهيدة الثمن، وإنما كان يطعم طير السماء التي تأكل اللحوم.

وسبب إطلاق هذا اللقب عليه ما كان منه يوم نحر النياق فداءً لولده عبدالله بمكة، فقد كان ذلك في رؤوس الجبال، وكانت الطير تأكل منها<sup>(٤)</sup>.

ولم تكن هذه فريدة في حياته ولا نادرة في سلوكه، بل يقول

(١) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٦.

(٢) عمدة الطالب، ص ٢٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢٣٤، الملل والنحل، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٤) الفايق في غريب الحديث، ج ٣، ص ٢٩٢.

المؤرخون: إن عاداته كانت جارية في رفع شيء من مائدته ليطعم بها الطير والوحش في رؤوس الجبال<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ الصدوق رَحِمَهُ اللهُ: ولعبدالمطلب عشرة أسماء تعرفه بها العرب وملوك القياصرة وملوك العجم وملوك الحبشة، فمن أسمائه: عامر، وشيبة الحمد، وسيد البطحاء، وساقى الحجيج، وساقى المغيث، وغيث الورى في العام الجذب، وأبو السادة العشرة، وعبدالمطلب، وحافر زمزم، وليس ذلك لمن تقدمه<sup>(٢)</sup>.

### مع الواصفين لعبد المطلب:

وقال الواصفون: لقد عدَّ عبدالمطلب أجمل الناس، وأحسن قريش وجهاً<sup>(٣)</sup>، أبيض كأنه فضة<sup>(٤)</sup>، كأن وجهه القمر يضيء في الليلة الداجية الظلماء<sup>(٥)</sup>.

وقال دغفل النسابة: كان عبدالمطلب أبيض، مديد القامة، حسن الوجه، في جبينه نور النبوة، وعز الملك، يُطيف به عشرة من بنيه، كأنهم أسد الغابة<sup>(٦)</sup>.

(١) فيض القدير، ج ٣، ص ٤٨.

(٢) الخصال، ص ٤٥٣.

(٣) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٨٥.

(٤) كتاب المنق، ص ٣٥٦.

(٥) كنز العمال، ج ١٢، ص ٥١٨.

(٦) الأغاني، ج ١، ص ١٥.

وقال من رآه من أهل حضرموت، ووصفه لعثمان بن عفان: رأيت رجلاً قعداً (أي حسن الهيئة)، أبيض، طويلاً، مقرون الحاجبين، بين عينيه غرة، يقال: إن فيها بركة، وإن فيه بركة<sup>(١)</sup>.

وقال حذافة العدوي:

بني شيبه الحمدِ الكريمِ فعأله  
يضيءُ ظلامَ الليلِ كالقمرِ البدرِ<sup>(٢)</sup>

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢٠٠.





## الفصل الثاني



### نشأة صالحه

#### أيام الصبا

لا يختلف المؤرخون في أن شيبه الحمد قد قضى أياماً من صباه في المدينة، وكان يعيش في كنف أمه، بعد أن مات أبوه في غزة.

ولم أجد إلا قولاً فريداً يشير إلى أن شيبه الحمد عاش مع أبيه بدايات أيامه، ثم خرج أبوه قاصداً الشام، وقد صحب زوجته وابنها معه، واستقرت سلمى في المدينة مع ولدها، وأما هاشم فقد بلغ غزة، فطوى الأجل صفحة مجيدة وكانت نهايته فيها<sup>(١)</sup>.

ومهما يكن الأمر فإن المؤرخين متفقون على أن مرحلة الصبا كانت بأرض المدينة، وكان عمه المطلب قد غفل عن أمره فلم يطالب به.

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

حتى شاءت الأقدار أن يقف رجل على فتیان يتسابقون في الرمي، فرأى فتى قد بزَّ أقرانه في الرمي، وسمعه كلما أصاب في رمية نادى: أنا ابن هاشم بن عبد مناف سيد البطحاء.

لقد لفت الغلام برميته نظر الواقف عندهم؛ فقد كان أرمى الغلمان، وشده ما سمع من انتسابه لهاشم، فبادر نحوه متسائلاً فقال: من أنت يا غلام؟ قال: أنا ابن هاشم بن عبد مناف، قال: ما اسمك؟ قال: شيبه الحمد.

انصرف الرجل حتى قدم مكة، فوجد المطلب بن عبد مناف جالساً في الحجر فقال: قم إليّ يا أبا الحارث، فقام إليه، فقال: أتعلم أنني جئت الآن من يثرب فوجدت بها غلماناً ينتضلون... وقصّ عليه ما رأى من عبد المطلب، وقال: إنه أضرب غلام رأيت قط، فقال له المطلب: أغفلته والله، أما إنني لا أرجع إلى أهلي ومالي حتى آتية، فخرج المطلب حتى أتى المدينة<sup>(١)</sup>.

ولصاحب الطبقات الكبرى عرض آخر، فقد صرّح باسم القادم لمكة وهو ثابت بن المنذر والد حسان بن ثابت، فقد جاء معتمراً فلقى المطلب وكان له خليلاً، فقال له: لو رأيت ابن أخيك شيبه فينا لرأيت جمالاً وهيبه وشرفاً، لقد نظرت إليه وهو يناضل فتیاناً من أخواله فيدخل مرماتيه جميعاً في مثل راحتي هذه، ويقول

(١) راجع شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢١٣، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٨ ولكن بإيجاز، والخبر مصادره متعددة.



كلما خسق: أنا ابن عمرو العلى.

فقال المطلب: لا أمسى حتى أخرج إليه فأقدم به، فقال ثابت: ما أرى سلمى تدفعه إليك ولا أخواله، هم أضنُّ به من ذلك، وما عليك أن تدعه، فيكون في أخواله، حتى يكون هو الذي يقدم عليك إلى ما ههنا راغباً فيك.

فقال المطلب: يا أبا أوس، ما كنت لأدعه هناك، ويترك مآثر قومه وسطته ونسبه وشرفه في قومه ما قد علمت<sup>(١)</sup>.

إلى هنا لا أجد اختلافاً بين المؤرخين، ولكنَّ في تنمة هذه القصة اختلافاً واضحاً، وهي كما يلي:

### أ- أخذه على حين غفلة من أمه

لقد رووا أن المطلب أتى المدينة عشاءً، ثم خرج براحلته حتى أتى بني عدي بن النجار فإذا الغلمان بين ظهراني المجلس، فلما نظر إلى ابن أخيه، قال للقوم: هذا ابن هاشم؟ قالوا: نعم، وعرفه القوم فقالوا: هذا ابن أخيك، فإن كنت تريد أخذه فالساعة، لا تعلم أمه، فإنها إن علمت حلنا بينك وبينه، فأناخ راحلته، ثم دعاه، فقال:

يا ابن أخي، أنا عمك، وقد أردت الذهاب بك إلى قومك فاركب، قال: فوالله ما كذب أن جلس على عجز الراحلة، وجلس

(١) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٨٢.

المطلب على الراحلة، ثم بعثها فانطلقت، فلما علمت أمه قامت تدعو حزنها على ابنها، فأخبرت أنه عمه، وأنه ذهب به إلى قومه<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن هذا التصرف لا يليق بأهل المجد والمروءة، وإنما يتناسب مع قطاع الطريق، ولهذا أجد أن الرواية فيها من الوهن ما لا يتقبله العقل، ولا يمكن أن يندرج مع عادات العرب الأشراف.

### ب- أخذه بعد استئذانه من أمه

لقد رووا أن المطلب كان يريد أخذ شبية معه، فقال شبية: ذاك إلى الوالدة، فلم يزل بها حتى أذنت له<sup>(٢)</sup>.

ولا تخلو القصة من إيجاز مخل، لا أرى ملاءمته للأعراف الاجتماعية في ذلك الزمان، بحيث يكون التفاوض مع غلام في السابعة من عمره، بعيداً عن سمع والدته.

### ج- أخذه بعد محاورة مع أمه

لما ورد المطلب المدينة نزل في ناحية، ثم جعل يسأل عنه حتى وجده يرمي في فتيان من أخواله، فلما رآه عرف شبه أبيه فيه؛ ففاضت عيناه وضمه إليه وكساه حلة يمانية وأنشأ يقول:

عرفتُ شبيةً والنجَّارُ قد حفلت  
أبناؤها حوله بالنبلِ تتضلُّ

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢١٣.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٩.

عرفت أجداده منّا وشيمته  
ففاض منّي عليه وابلّ سبّل

فأرسلت سلمى إلى المطلب فدعته إلى النزول عليها، فقال:  
شأني أخفّ من ذلك، ما أريد أن أحلّ عقدة حتى أقبض ابن أخي،  
والحقه ببلده وقومه، فقالت: لست بمرسلته معك، وغلظت عليه.

فقال المطلب: لا تفعلي، فإني غير منصرف حتى أخرج  
به معي، ابن أخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه، ونحن أهل  
بيت شرف قومنا، والمقام ببلده خير له من المقام ههنا، وهو ابنك  
حيث كان.

فلما رأت أنه غير مقصر حتى يخرج به استنظرت ثلاثه أيام،  
وتحوّل إليهم فنزل عندهم، فأقام ثلاثاً، ثم احتمله وانطلقا جميعاً.

فأنشأ المطلب يقول:

أبلغ بني النجار إن جئتهم  
أنّي منهم وابنهم والخميس  
رأيتهم قوماً إذا جئتهم  
هووا لقائي وأحبّوا حسيس<sup>(١)</sup>

ولا شك أن هذه الرواية تتلاءم مع شأن بني هاشم، وتليق  
بأخلاق الأشراف.

(١) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٨٢-٨٣.

## وعداد إلى مكة

لقد خرج المطلب من مكة مفرداً، وها هو يعود ومعه غلام صغير لم يتجاوز السابعة أو الثامنة من عمره، وقريش لا عهد لها بهذا الغلام، فظنت أن المطلب قد اشترى عبداً وجاء به فقالوا: هذا عبدالمطلب، فقال: ويحكم، إنما هو ابن أخي<sup>(١)</sup>.

وللمؤرخين تفاصيل أخرى، فقد قالوا: قدم المطلب بشيبة ضحوة والناس في مجالسهم، فجعلوا يقولون: من هذا وراءك؟ فيقول: عبدلي، حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم، فقالت: من هذا؟ قال: عبدلي.

ثم خرج المطلب حتى أتى الحزورة فاشترى حلة فألبسها شيبة، ثم خرج به حين كان العشي إلى مجلس بني عبد مناف، فجعل بعد ذلك يطوف في سكك مكة في تلك الحلة، فيقال: هذا عبدالمطلب، لقوله: وهذا عبدي، حين سأله قومه<sup>(٢)</sup>.

ولا أعلم هل كان العرب يستسيغون إطلاق العبودية على ولد من أولادهم ولو كان الموقف موقف دعابة.

إن الذي يبدو أن هذا القول ليس مقبولاً من صاحب منصب

(١) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٨٣، وقريب منه في السنن الكبرى للبيهقي، ج ٦، ص ٣٦٦.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٩، وذكرها بنحو آخر صاحب عمدة الطالب، ص ٢٤.

كبير أن ينسب ابن هاشم إلى العبيد.

ونقل ابن عبد البر في الاستيعاب قول من يرى أن سبب التسمية بعبدالمطلب أن هاشماً قال لأخيه المطلب وهو بمكة حين حضرته الوفاة: أدرك عبدك بيثرب، فمن هناك سمي عبدالمطلب<sup>(١)</sup>.

وهذا القول يخالف المؤرخين، فقد اتفقوا على أن هاشماً توفي بغزوة، ولم أجد مخالفاً في ذلك إلا هذا القول، ويكفي هذا الخطأ في ضعف الرواية وعدم قبولها.

### الزواج المبارك

لم يكن اختيار فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية اعتبارياً، ولم يكن محض مصادفة ساقطها الأحداث العادية، والتي تحكم كثيراً من الزيجات.

لقد رأى عبدالمطلب أيام حفره لبئر زمزم في المنام ما دلّه على ذلك، فقد هتفوا به... تزوج في مخزوم تقو<sup>(٢)</sup>.

لقد جمع الله سبحانه وتعالى بين عبدالمطلب وهذه الحرّة الطيبة، فأنجبت له من الأبناء عدة، وهم: (أبو طالب، وعبدالله،

(١) الاستيعاب، ج ١، ص ٢٧، نص العبارة: أدرك عبدك المطلب بيثرب، ومن الواضح أن كلمة المطلب زائدة، إذ ليس لها معنى، ووردت العبارة في السيرة الحلبية، ج ١، ص ١٠، (أدرك عبدك).

(٢) الكافي، ج ٤، ص ٢٢١.

والزبير، وعاتكة، وأميمة، والبيضاء، وبرة<sup>(١)</sup>.

وقد انقطع النسل من الزبير؛ فأصبح الأخوان المنجبان من أم وأب هما: أبو طالب وعبدالله، ولهذا فليس هناك أقرب للنبي ﷺ من علي بن أبي طالب، فهو ابن عمه أبي طالب المجتمع مع عبدالله في أب وأم<sup>(٢)</sup>.

وكان هذا الالتقاء في فاطمة بنت عمرو، وكان محل تقدير من أمير المؤمنين عليه السلام، ولذلك يعبر عن رسول الله ﷺ بابن أمه، كما يرى ابن أبي الحديد في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «فجزت قريشاً عني الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمي،...» وسلطان ابن أمي يعني به الخلافة، وابن أمه رسول الله ﷺ؛ لأنهما ابنا فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائد بن مخزوم، أم عبدالله وأبي طالب، ولم يقل: سلطان ابن أبي؛ لأن غير أبي طالب من الأعمام يشركه في النسب إلى عبدالمطلب<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح الأخبار، ج ٣، ص ٢٢٠.

(٢) أشار لذلك صاحب عمدة الطالب، ص ٢٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ١٥١، ويرد احتمال آخر، وهو أن يكون المراد

بذلك أمه فاطمة بنت أسد، إشارة منه إلى قول الرسول ﷺ: أُمِّي بَعْدَ

أُمِّي...



## الباب الثاني



## رائد الكمالات

معالم التوحيد عند شيخ الموحدين

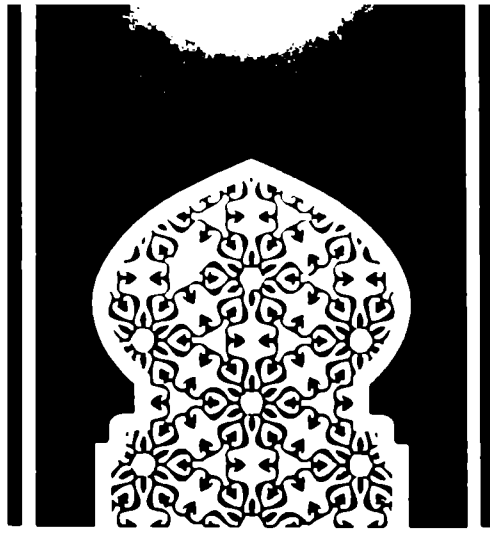


ساقى الحجيج وبئر زمزم









## الفصل الأول



### معالم التوحيد عند شيخ الموحدين

شيخ الموحدين

إن البحث يستدعي أن أكتب شيئاً حول توحيد عبدالمطلب عليه السلام، وإني أستميحه عذراً في أن أعنون فصلاً أتحدث فيه عن توحيدده وهو صاحب القامة الشامخة في ذلك، بل إنما يناسبه الحديث عن مقاماته الشامخة التي تبوأها بكل جدارة واستحقاق.

ولكن ليعلم أهل النصب أن كل سهم يُرمى به آباء النبي ﷺ فإنه مردود عليهم، بل ومصيب منهم المقتل.

ولاشك أن القارئ يعلم أن المشكلة صعبة الحل عند أهل النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام فإن إقرارهم بتوحيد عبدالمطلب يعني هدم بنيان شيدوه في إعلان كفر أبي طالب.

لقد أصحح أبو طالب جهاراً ودون أن ينحو في كلامه

منحى الرمز أو الإشارة، بل قالها صريحة واضحة بأنه على دين عبدالمطلب.

ومتى ما أذعن القوم بإيمان عبدالمطلب فقد ساقوا أنفسهم نحو الحقيقة التي لا يريدون معرفتها ألا وهي أن أبا طالب كان موحداً كأبيه، وسائراً على منهاجه، مخالفاً قومه.

### معالم التوحيد عند عبدالمطلب

#### أولاً: الروايات الصريحة

- روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: والله ما عبد أبي، ولا جدي عبدالمطلب، ولا هاشم، ولا عبد مناف صنماً قط، قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به<sup>(١)</sup>.

- لقد روي أن أبا طالب قد صرح إنه كان على دين عبدالمطلب، ولو فتشنا عن هذا الدين الذي اجتمع عنده أبو طالب وعبدالمطلب لرأينا أنه دين التوحيد.

قال الصادق عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروى شعر أبي طالب وأن يدون، وقال: «تعلموه وعلموه أولادكم؛ فإنه كان على دين الله، وفيه علم كثير»<sup>(٢)</sup>.

(١) كمال الدين، ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٣٣١.

- وروي عن النبي ﷺ أنه قال عن عبدالمطلب عليه السلام في حديث طويل: «... وهو أول من تحنَّث، والتحنُّث: التألُّه، وكان يدخل فيه إذا أهلَّ شهر رمضان في جبل حراء».

- وروي عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام: «يا علي، إن عبدالمطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل مما ذبح على النصب، وكان يقول: أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: صريح أقوال المؤرخين

- روي خبر في كتاب المنمق، وهو من أقدم المصادر التاريخية، فإن مؤلفه محمد بن حبيب البغدادي قد توفي عام ٢٤٥ من الهجرة، ومفاد الخبر أن عبدالمطلب كان يتحنف بحراء، وقد شرح المحقق معنى التحنف بعبادة الله الواحد<sup>(٢)</sup>، وربما قيل: إنه مشتق من الحنيفية.

- وقال اليعقوبي: ورفض عبادة الأصنام، ووجد الله عزَّ وجلَّ<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع الدر النظيم، ص ٧٩٨.

(٢) راجع المنمق، ص ٤٢٢، وعبارته: «من حرَّم السكر والخمر والأزلام في الجاهلية من قريش عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، وشيبة بن ربيعة بن عبد شمس، وكان يتحنف بحراء»، والمعروف عند المؤرخين أن حراء خاص بعبدالمطلب.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠.

- لقد ذكر المؤرخون أن المتألهين من قريش كانوا يتحشون في كل سنة شهراً في حراء، وكان أول من تحنث فيه من قريش عبدالمطلب، فقد قال ابن الأثير: أول من تحنث بحراء عبدالمطلب، كان إذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين، ثم تبعه على ذلك من كان يتأله، أي يتعبد<sup>(١)</sup>.

- ذكر صاحب فتح الباري عند تعرضه لاختصاص النبي ﷺ بغار حراء أن قريشاً لم ينازعوا النبي ﷺ في غار حراء مع مزيد الفضل فيه على غيره؛ لأن جده عبدالمطلب أول من كان يخلو فيه من قريش، وكانوا يعظمونه لجلالته وكبر سنه، فتبعه على ذلك من كان يتأله، فكان يخلو بمكان جدّه<sup>(٢)</sup>.

لقد رأيت -عزيزي القارئ- ما نقلته عن كبار المؤرخين، وهم يشهدون بأنه كان يتأله، بل كان قدوة المتألهين، وقد سمّته قريش بإبراهيم الثاني<sup>(٣)</sup>، وفيه إشعار واضح بخطه الديني ومعتقده، وتأكيده على أن ديانته كانت الحنيفية، ويقصد بها العرب دين إبراهيم عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

والأمر العجيب في هذا المقام أن قسماً من المسلمين

(١) راجع السيرة الحلبية، ج ١، ص ٣٨٢، وقول ابن الأثير في الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٥.

(٢) فتح الباري، ج ١٢، ص ٣١٢.

(٣) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١١.

(٤) المجموع، ج ٣، ص ٣١٥.

يصرُّون على كفره مع كل هذه التصريحات، بل ووضوح اقتداء غيره بسنته وعمله الإلهي، وقد تجلَّى كالشمس الضاحية بأنه لم يكن عابداً لصنم ولا لغيره، وستجدهم يقطعون أن زيد بن عمرو بن نفيل لا خلاف في نجاته<sup>(١)</sup>، ويكفيك في هذا الباب هذا القدر لتعرف معيار الحكم ما هو؟!!

وأختم هذا الحديث بهذا النقل الجميل...

حكى أبو عيسى الوراق في كتابه (كتاب المقالات) أن العرب صنوف شتى، ثم عدَّ منهم أصنافاً حتى قال:

وممن كان يقرُّ بالخالق وابتداء الخلق والإعادة والثواب والعقاب، عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف... وكان عبدالمطلب يوصي ولده بترك الظلم، ويأمرهم بمكارم الأخلاق، وينهى عن... وكان بدئياً يقول في وصاياه: إنه لم يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه ويصيبه بعقوبة، إلى أن هلك رجل ظلوم ومات حتف أنفه لم تصبه عقوبة، ف قيل لعبدالمطلب ذلك ففكَّر ثم قال: فوالله إن وراء هذه الدار داراً يجزى المحسن بإحسانه والمسيء يعاقب على إساءته.

ومما دل على إقراره بالإعادة قوله وهو يضرب بالقداح على عبدالله ابنه أبي النبي ﷺ وعلى الإبل:

لَهُمْ أَنْتَ الْمَلِكُ الْمَحْمُودُ  
وَأَنْتَ رَبِّي الْمَبْدِيُّ الْمَعِيدُ

(١) حاشية رد المحتار، ج ٣، ص ٢٠٢.

مِنْ عِنْدِكَ الطَّارِفُ وَالتَّلِيدُ  
إِنْ شِئْتَ أَلْهَمْتَ بِمَا تَرِيدُ<sup>(١)</sup>

### ثالثاً: دلائل الأفعال

لم تكن مشكلة قريش الكبرى في الإقرار بوجود الله سبحانه وتعالى، ولا في الإقرار بأنه الخالق كما يظهر ذلك من آيات متعددة، ومنها:

قال تعالى: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ  
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال سبحانه: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ  
الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ  
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

وستجد أشباه هذه الآيات في سورة الزمر: آية ٣٨، وفي  
سورة الزخرف: آية ٩، وآية ٨٧.

ولكن المشكلة الكبرى عند قريش تكمن في توحيد الربوبية

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٤٧.

(٢) سورة العنكبوت، آية ٦١.

(٣) سورة العنكبوت، آية ٦٣.

(٤) سورة لقمان، آية ٢٥.

والعبادة، فإنهم كانوا يعبدون أصناماً وأوثاناً، يعتقدون أنها مدبرة ومالكة لزمام الأرزاق، فمن أراد النصر على أعدائه قصدها ومن خاف من أمر لجأ إليها.

وربما تساءلت -عزيزي القارئ- عن الداعي للحديث عن اعتقاد قريش، فأجيبك بأن الذي دعاني لهذا التقديم محاولة فهم طبيعة الشرك الذي كانت قريش تعتقده، وليتضح لنا موقف عبدالمطلب من هذه العقيدة.

لقد مرت على عبدالمطلب أحوال متقلبة، ورأى من الشدائد ما يذهل العقل، وهلمَّ إلى التاريخ فاسأله عن ملجئه في كل هذه المواقف الصعبة.

إن حادثة الفيل القادم من اليمن يعرفها كل قارئ لتاريخ الإسلام أو العرب، وقد رأينا قريشاً قد فرَّت من معقل عزّها هاربة على وجهها، ولم يكن ثمَّ إلا عبدالمطلب الذي كان قد رمى بطرفه نحو السماء، وقد ارتفع صوته مناجياً ربه:

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا  
يا ربّ فامنع منهم حِمَاكا

وقال:

لَهُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاْمْنَعُ رِحَالِكَ  
عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ جَهَلُوا وَمَا رَقَبُوا جَلَالَكَ<sup>(١)</sup>

(١) تفسير البغوي، ج ٤، ص ٥٢٦.

وأظنك -أيها القارئ الكريم- تطلب مني عدم التعليق لأن الشعر لا يعرض إيمان عبدالمطلب بربه فحسب، بل يعكس عمق المعرفة بخالقه، ولاشك أن عينيك تسمّرتا عند قوله: وما رقبوا جلالك.

إن المشركين -وقريش منهم- متى ما دهمهم عدو فإنهم يلجؤون إلى هبل وأمثاله، صارخين وطالبيين النصره، ولكننا هنا نقرأ شخصاً لا ينتمي لهؤلاء القوم.

ولا يظن الظان أن هذه الحادثة فريدة في تاريخه، بل لها نظائر، وقد رأيت خلال صفحات تاريخه المشرق ما يعاضد هذا القول، ويسير مع هذه الرواية في ركب واحد، وأكتفي بالإشارة إلى حادثة الاستسقاء التي كانت فيها الوسيلة إلى الله عز وجل نبينا الأكرم ﷺ وكان دعاؤه فيها:

اللهم سادّ الخلة، وكاشف الكربة، أنت عالم غير معلّم، ومسؤول غير مبخل، وهذه عبداؤك وإماؤك بعدارات حرمك، يشكون إليك سنتهم التي أذهبت الخفّ والظلف، فاسمعن اللهم، وأمطرن علينا غيثاً مغدقاً مريعاً سحاً طبقاً دراكاً<sup>(١)</sup>.

وهي الرواية التي تعددت مصادرها، وتنوعت الكتب الناقلة

(١) شرح نهج البلاغة، ج٧، ص٢٧٢، ورواها الطبراني في المعجم الكبير، ج٢٤، ص٢٦٠، وتخريج الأحاديث والآثار، ج٣، ص٢٣٤، ومصادر أخرى، مع اختلاف يسير في الألفاظ.



لها، ومن الواضح فيها أن المدعو هو الله عز وجل، وأن الداعي كان يحمل معرفة دينية واضحة عميقة، وليست المعرفة الفطرية العادية.

لقد ذكر في ثنايا دعائه أن الله غير معلم بل علمه ذاتي، وأنه جواد لا يبخل في ساحته وأنه...

وفي هذا ما يكفي البصير، وأما من طمس الله على بصيرته فلا يكتفي بشيء أبداً.

#### رابعاً: استجابة السماء لدعائه

قلّة أولئك الذين يرفعون أكفهم فلا ترد، ونوادر أولئك الذين يلوذ الزمان بهم فيكونون ركناً شديداً، وكان عبدالمطلب من أولئك القلة والنوادر.

لم يكن عبدالمطلب بصدد الدعاء لنفسه، بل كان يطلب أموراً ترتبط بالكون وقوانينه، ومع ذلك لم تكن السماء لتخذه.

لقد استسقى عبدالمطلب خمس مرات، وكانت النتيجة مطراً منهمراً ينعش الحياة، ولهذا كان العباس يفخر فيقول: أنا ابن المسقي ابن المسقي ابن المسقي ابن المسقي ابن المسقي<sup>(١)</sup>، ويكرر ذلك خمس مرات، مشيراً لعدد استجابة دعاء والده.

(١) السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٢٢٦.

بل واستسقى فوهبه الله زمزم<sup>(١)</sup>، والتي تقرأ في تفاصيل استخراجها عظمة عبدالمطلب.

إن تعامل السماء مع عبدالمطلب لا نقرؤه إلا في سير الأنبياء والمرسلين، وهو ليس بعيداً عنهم، فقد كان حجة لله سبحانه وتعالى.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٦، ص ٣٦٢.



## الفصل الثاني



### ساقى الحجيج وبئر زمزم

وقف عبدالمطلب أمام بقعة مقدسة، فقد حملت أوسمة الشرف، وتشاطرت في ذلك الأرض والسماء، وتكفيك أسماؤها، فهي: ركضة جبرئيل وحفيرة إسماعيل..<sup>(١)</sup>.

لقد اختصرت التسميتان تاريخها، وكفتنا مؤونة العرض لتاريخها.

#### زمزم

لقد سميت بهذا الاسم لحادثة منحتها هذه التسمية، فقد كانت هاجر على المروة تنظر إلى ولدها إسماعيل، فرأت الماء قد ظهر من تحت رجله، فعادت حتى جمعت حوله رملاً، فزمته بما جعلته حوله فإنه كان سائلاً، فلذلك سميت (زمزم)<sup>(٢)</sup>.

(١) الخصال، ص ٤٥٥.

(٢) تفسير القمي، ج ١، ص ٦١.

## الرؤيا الصادقة

مَنْ هذا العظيم النائم بجوار الكعبة، يستظل بظلها، ويغرف من يمينها؟ وَمَنْ هذا الذي أضحت السماء تخاطبه: احفر برة، فأجابها: وما برة؟... أترأه شخصاً من عامة الناس قد سمع طيفاً لغيره؟ أم يا ترى كان المخاطب ولي الله وحجته؟

لقد كان ذلك النائم في أفياء الحرم عبدالمطلب، وما اكتفت السماء في خطابه بهتاف واحد، بل عادت ثانية وفي يوم آخر لتقول له: احفر طيبة، ثم جاء الهتاف للمرة الثالثة قائلاً: احفر المصونة. قال: وما المصونة؟

حتى إذا كان اليوم الرابع جاء البيان مفصلاً: احفر زمزم، لا تنزح ولا تدم، سقي الحجيج الأعظم، عند الغراب الأعصم، عند قرية النمل. وأفاق عبدالمطلب من نومته، وتفاصيل الرؤيا ماثلة أمامه، بل يراها بعينه، فهذا حجر يخرج منه النمل، وهنا يأتي غراب مميز في ألوانه يلتقط النمل.

لقد وضحت الصورة بتمامها، فجاء نحو قريش يحمل معه الخبر العجيب، فقال: إني أمرتُ في أربع ليالٍ في حفر زمزم، وهي مأثرتنا، وعزّنا، فهلموا نحفرها.

لقد كان تجاوب قريش فاتراً، بل أعرضوا عن كلامه، ولم ينهضوا معه.

## العزم والإصرار

أترى صاحب العزيمة العالية يقعه تخاذل القوم عنه؟

كلا، فليس الأمر كذلك، بل أقبل بمفرده نحو زمزم، وما كان معه إلا ولده الحارث، وكان وحيداً.

لم يكن الأمر هيناً، إنه رَفَعُ لأنقاض لا يعرف ثقلها إلا من كابدها، وهما شخصان فريدان، يعملان بجدهما، لقد كان الأمر صعباً، فتوقف عبدالمطلب يتأمل وحدته مع ولده، ويرى عز الأبناء إذا كثروا، وحفوا بالدهم، فأقبل نحو باب الكعبة، ورفع يديه للسماء، ونذر لله عز وجل إن رزقه عشر بنين أن ينحر أحبهم إليه.

وعاد عبدالمطلب لعمله، يرفع كل ما يجده أمامه، وما كانت السماء لتكذب عليه، وما كان ليظن خذلانها له.

وصدق عبدالمطلب في رؤياه، فهاهو قد بلغ إلى موضع يرى فيه بناء البئر الذي شيّده إسماعيل، فلم يتمالك عبدالمطلب صبراً دون أن يرفع صوته مكبراً، وتجاوبت قريش معه فارتفع التكبير منها.

لقد ذهب العناء، وجاء الكسب والعطاء، وأقبلت المفاخر كلها، وهذا عبدالمطلب على بابها... فهل تتركه قريش يفوز بها وحده أم تشاطره؟

لقد جاءت قريش طامعة في المشاركة، وهي تقول: يا أبا

أحارث، هذه مأثرتنا ولنا فيها نصيب، فأجابهم: لم تعينوني على حفرها، هي لي، ولولدي إلى آخر الأبد<sup>(١)</sup>.

### الكنز المدفون

وأخذ عبدالمطلب يحفر حتى انتهى إلى قعرها، فهبت عليه من إحدى جوانب البئر رائحة منتنة أفضتته، ولكنه أبى أن ينثني، وأما ولده الحارث فلم يحتمل وخرج منها.

وأخذ عبدالمطلب يمعن في الحفر حتى بلغ إلى العين، فوجدها تهبُّ عليه برائحة المسك، فلم يحفر إلا ذراعاً بعد ذلك حتى غلبه النوم، فرأى رجلاً طويل اليدين، حسن الشعر، جميل الوجه، جيد الثوب، طيب الرائحة، وهو يقول: احفر تغنم، وجد تسلم، ولا تدخرها للمقسم.

ثم أخذ يوضح له وظيفته تجاه ما سيجده أمامه، فهنا أسياف متعددة، وهي ليست له، بل ستكون منه ذرية أولهم عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله، ويتلوه الولي، وبعده الأسباط من ذريته، وهذه السيوف لهم، فقد كان عددها ثلاثة عشر سيفاً.

لقد أفاق من نومه فوجد السيوف مسندة إلى جنبه، وكتم عبدالمطلب خبرها، ثم واصل حفره فبدا له قرن الغزال ورأسه، فاستخرجه، وفيه كلام قد طبع عليه، وهو «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، فلان خليفة الله» وبدأ الماء يخرج وانتهت مهمته الصعبة.

(١) الكافي، ج ٤، ص ٢١٩-٢٢٠.

وعاد عبدالمطلب يفكر في الأسياف، أترى ما رآه صحيحاً أم أضغاث أحلام؟ أتكون الأسياف من نصيب الكعبة أم لا؟ وجاء إلى الحجر فألقى الله عليه النوم، وعاد الرجل ثانية ليؤكد له أن الأسياف لأصحابها الذين بشر بهم، وقد أخبره أنهم سيأتون في القرن الثاني من بعده<sup>(١)</sup>.

لقد كانت حصيلة العمل الدؤوب غزاليين، وسيوفاً ودروعاً، فأما السيوف والدروع فكانت له، وأما الغزالان المصوغان من الذهب فقد كانا من نصيب الكعبة<sup>(٢)</sup>، صنع منهما باباً لها<sup>(٣)</sup>، وكان أول ذهب حليت به الكعبة<sup>(٤)</sup>.

وربما تسأل: ومن أين جاءت السيوف؟ ومن الذي أودع الغزاليين من الذهب في البئر؟

لقد أجابت الروايات بأن هذا التراث قد أودعته جرهم في بئر زمزم، وذلك بعد أن غلبتها خزاعة على أمر مكة، فألقوا هذا الكنز في البئر، وألقوا فيها الحجارة، وطمّوها وعمّوا أثرها<sup>(٥)</sup>.

وتحدد الروايات اسم الشخص الذي أودعها هنا، وهو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي<sup>(٦)</sup>.

(١) الكافي، ج ٤، ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٢) كنز الفوائد، ص ١٠٦.

(٣) البحار، ج ١٥، ص ٧٥.

(٤) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٤.

(٥) الكافي، ج ٤، ص ٢١٩.

(٦) سيرة ابن هشام، ج ١، ص ٧٥.

وأما كتب العامة فتنسب الحلبي والسيوف إلى بابل بن  
ساسان لما سار إلى اليمن، فدفن سيوف قلعتة وحلي الزمازمة في  
موضع بئر زمزم، ويعقبون على ذلك بأن التسمية بزمزم جاءت من  
حلي الزمازمة<sup>(١)</sup>.

وهذا ما لا أعوّل عليه، بل وستجد من ينصّ على أن مصدر  
الذهب ساسان ملك الفرس، وقد أهداه للكعبة، وقيل: سابور  
ولكن ينسب الدفن للجهمي<sup>(٢)</sup>.

### عبدالمطلب والقرعة

ولقد تكررت القرعة من عبدالمطلب، وسترى بوضوح أن  
ما يجريه بعيد كل البعد عن عمل الجاهلية، ولا يمتُّ لأصنامهم  
بصلة. لقد وجد عبدالمطلب ﷺ عند حفرة بئر زمزم ذهباً  
وفضة، فطلبت منه قريش أن يشركها في المال، فأجاب: إني لم  
أؤمر بالمال، إنما أمرت بالماء، فأمهلوني...

ولما استقام له الماء دعا ستة قداح، فجعل لله قدحين  
أسودين، وجعل للكعبة قدحين أبيضين، وجعل لقريش قدحين  
أحمرين، ثم أخذها بيده، واستقبل الكعبة، ثم أفاض، وهو يقول:

يا ربّ أنت الأحد الفرد الصمد

إن شئت ألهمت الصواب والرشد

(١) عمدة القاري، ج ٩، ص ٢٧٧.

(٢) راجع تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ق ١، ص ٣٣٨.



وزدتَ في المال وأكثرَ الولدُ  
إني مولاك على رَغْمِ مَعَدُ

ثم ضرب فخرج الأسودان لله، فقال: قال ربكم: هو مالي،  
ثم أفاض، وهو يقول:

لَهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ الْمَحْمُودُ  
وَأَنْتَ رَبِّي الْمَبْدِيُّ الْمَعِيدُ  
مِنْ عِنْدِكَ الطَّارِفُ وَالتَّلِيدُ  
إِنْ شِئْتَ أَلْهَمْتَ بِمَا تَرِيدُ

فخرج الأبيضان للكعبة، فقال: أخبرني ربي أن المال كله  
له، فحلّى به الكعبة، وجعله صفائح على باب الكعبة<sup>(١)</sup>.

إن الرواية توقفنا على مواطن مهمة، هي:

- إن عبدالمطلب عَلَيْهِ السَّلَامُ يعمل وفق الأوامر الإلهية، ولا  
يتصرف من تلقاء نفسه، فقد قال: إني لم أؤمر بالمال.

- استعمل عبدالمطلب عَلَيْهِ السَّلَامُ القرعة لمعرفة ما يطلب منه،  
وهي طريقة تقنع قريشاً، لأنهم سيرونها بأعينهم.

- لم يتوجه عبدالمطلب لهبل كما يصنع أهل الجاهلية، بل  
قصد الله سبحانه وتعالى.

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٤٧.

## وجاءت التهاني

لقي خويلد بن أسد عبدالمطلب فقال: يا بن سلمى، لقد سقيت ماء رعداً، ونثلت عادية حسداً.

فقال: يا بن أسد، أما إنك تشرك في فضلها، والله لا يساعدي أحد عليها ببر، ولا يقوم معي بارزاً إلا بذلت له خير صهر.  
فقال خويلد بن أسد:

أقولُ وما قولي عليهم بسبِّةٍ  
إليك ابن سلمى أنت حافرٌ زمزمِ  
حفيرةُ إبراهيمَ يومَ ابنِ هاجرِ  
وركضةُ جبريلِ على عهدِ آدمِ

فقال عبدالمطلب: ما وجدت أحداً ورث العلم الأقدم غير خويلد بن أسد<sup>(١)</sup>.

وقال حذيفة بن غانم:

وساقي الحجيجِ ثمَّ للخيرِ هاشمِ  
وعبدِ منافِ ذلك السيدِ الفهري  
طوى زمزماً عند المقام فأصبحت  
سقايتُهُ فخراً على كلِّ ذي فخرٍ<sup>(٢)</sup>

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢١٧.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ٩٧.

لقد كان ظهور زمزم سبباً في الإعراض عن كل بئر أخرى،  
فقد انصرف الناس إليها، فهي قريبة من الحرم، وأفضل من غيرها،  
وتحمل شرف الانتساب لإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولهذا كانت فخر بني  
عبد مناف على قريش كلها، بل وعلى سائر العرب<sup>(١)</sup>.

### سقاية الحجيج

وأقبل عبدالمطلب ومعه ولده الحارث، فبنيا على زمزم  
حوضاً، ثم أخذوا يستخرجان الماء، ويملآن الحوض، ويأتي  
الحجاج فيشربون منه.

وبدأ الحسد يوقد قلوب الآخرين، فاستجابوا له، وأقبلوا  
ليلاً فكسروا الحوض.

وأصبح عبدالمطلب فرآه مكسوراً فأصلحه، وتكرر الفعل  
منهم، فأقبل نحو ربه داعياً، وطالبا العون منه، فرأى في المنام قائلاً  
يقول: قل: اللهم إني لا أحلُّها لمغتسل، ولكن هي لشارب حلٌّ  
وَبَلٌّ.

فأقبل عبدالمطلب وقريش قد اجتمعت، فوقف عند زمزم،  
وصاح بما رآه في نومه.

وهنا ظهرت الكرامة الإلهية؛ فلقد أخبر التاريخ فيما بعد أن  
كل من اعتدى على ذلك الحوض رمي بداء في جسده، وكان هذا

(١) البداية والنهاية، ج ٢، ص ٣٠٥.

خير رادع لهم عنه<sup>(١)</sup>.

لقد انتهى تأريخ طويل كان فيه عبدالمطلب وآبؤه من قبل يسقون الناس في حياض من آدم، وأصبح السقي عند حوض زمزم، وكان يحمل ماءها إلى عرفة فيسقي الحجاج<sup>(٢)</sup>.

وأما الحياض فأصبحت للبن والعسل، يسقي فيهما الحجاج، وبذلك افتخر أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال:

أنا ابنُ ذي الحوضينِ عبدِالمطلبِ  
وهاشمِ المطعمِ في العامِ السَّغْبِ  
أوفي بميعادي وأحمي عن حسب<sup>(٣)</sup>

بل تجاوز عبدالمطلب الحد في الإكرام، يقول محمد البغدادي:

كان إذا كان أيام الحج أعدَّ للحجاج الطعام، ووضع الأعلاف للوحوش، وكان يسمَّى مطعم الناس في السهل والوحوش والسباع في الجبل<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع المصنف للصنعاني، ج ٥، ص ١١٤.

(٢) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٨٣.

(٣) الكافي، ج ٨، ص ١١٢.

(٤) كتاب المنق، ص ٢٨.



## الباب الثالث

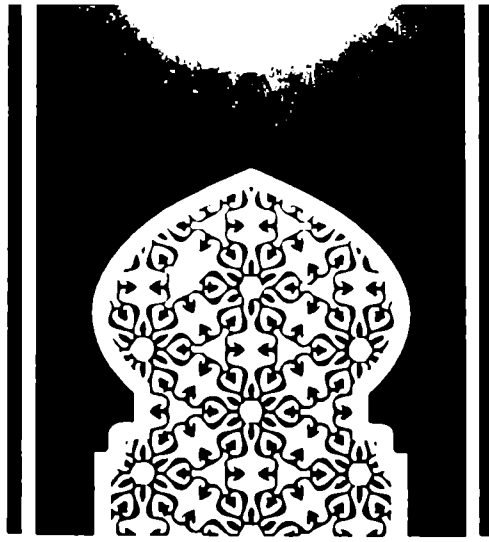


### قداسة القربان وفداء السماء

○ قصة الذبح

○ قدسية الحدث





## الفصل الأول



### قصة الذبح

ما الذي ألزم عبدالمطلب بالإقدام على ذبح ولده؟ وما الذي دعاه للتضحية بفلذة كبدته؟

لقد اتفقت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، وروايات المؤرخين على أن بداية الأمر كان نذراً قد ألزم به نفسه، ولكن اختلفت الروايات في الداعي لذلك، وهي على ثلاثة أقسام:

#### ١- ربط النذر بحفر بئر زمزم:

ورد في الكافي الشريف تفصيل لخبر حفر بئر زمزم، وما كان من عبدالمطلب من دعاء قومه لإعانتته على ذلك، فلم يجيبوه؛ فأقبل يحفرها هو بنفسه، وكان له ابن واحد وهو الحارث، وكان يعينه على الحفر، فلما صعب ذلك عليه تقدم إلى باب الكعبة، ثم رفع يديه ودعا الله عز وجل، ونذر له إن رزقه عشرة بنين أن ينحر

أحبهم إليه تقرباً إلى الله عزّ وجلّ<sup>(١)</sup>.

وورد في الفائق في غريب الحديث أن عبدالمطلب حين أخذ في حفر زمزم - وكانت قد اندفنت - جعلت قريش تهزأ به، فقال: اللهم إن سقيت الحجيج ذبحت لك بعض ولدي<sup>(٢)</sup>.

## ٢- ما تذكر النذر فقط:

وقد رواها الشيخ الصدوق في الخصال<sup>(٣)</sup>، وفيها:

لقد جاء عبدالمطلب إلى الكعبة فتعلق بحلقة بابها، ودعا الله أن يرزقه عشرة بنين، ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى ما أجاب الله دعوته.

وفي رواية أخرى: ولد له تسعة فنذر في العاشر إن رزقه الله غلاماً أن يذبحه<sup>(٤)</sup>.

## ٣- ربط النذر بموقف شخصي:

ف قيل: إن السبب يعود إلى أن عدي بن نوفل بن عبد مناف أبا

(١) الكافي، ج ٤، ص ٢١٩، وفي الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٨٨، قريب من ذلك.

(٢) الفائق في غريب الحديث، ج ٣، ص ٢٩١.

(٣) الخصال، ص ٥٦.

(٤) وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٩٠، وقد ذكر البيضاوي الرأي فقال: نذر أن يذبح ولداً إن سهل الله له حفر زمزم أو بلغ بنوه عشرة (تفسير البيضاوي،

ج ٥، ص ٢٠)



مطعم قال له: يا عبدالمطلب، تستطيل علينا، وأنت فذ لا ولد لك -أي متعدد- بل لك ولداً واحداً، ولا مال لك، وما أنت إلا واحد من قومك، فقال له عبدالمطلب: أتقول هذا؟ وإنما كان نوفل أبوك في حجر هاشم -أي لأن هاشماً كان خلف على أم نوفل وهو صغير- فقال له عدي: وأنت أيضاً قد كنت في يثرب عند غير أبيك، كنت عند أخوالك من بني النجار حتى ردّك عمُّك المطلب، فقال له عبدالمطلب: أو بالقلة تعيّرني؟! فلهه عليّ نذر لئن آتاني الله عشرة من الأولاد الذكور لأنحرّن أحدهم عند الكعبة، وفي لفظ: أن أجعل أحدهم لله نحيرة<sup>(١)</sup>.

وهذه رواية كثيرة العلل، نخر السقم فيها فأبدي كل عيب، ويكفي أن المؤرخين قد أجمعوا على أن الأمر مرتبط بحفر بئر زمزم، وجاءت هذه الرواية لتخرجها إلى محادثة عادية تجري عند أقزام الناس.

وتبدو الصنعة في الرواية غير متقنة، فإن عبدالمطلب يذكّره بما جرى من أبيه، حيث رباه صغيراً، فيردُّ عليه بأنك نشأت عند أخوالك، فماذا يضيره، وهو المتنازع على تربيته؟

والخلاصة التي يُطمئن لها أن النذر كان مرتبطاً بحفر بئر زمزم، أي أنه مرتبط بما له علاقة واضحة بمناسك الحج.

(١) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٥٧.

## وحيل بينه وبين الذبح

مفصل مهم في سير الحادثة، وهو المانع الذي وقف في وجه عبدالمطلب، فحال بينه وبين ذبح ابنه.

أما كتب الرواية فجاءت القضية فيها مختصرة موجزة، ولكن، عند المؤرخين أخذت مساحة واسعة.

### ١- حمل عبدالله لنور النبي ﷺ

وفي بعض الروايات تصريح بأن المانع عن الوفاء بالندى أن عبدالله قد حمل نور النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى أن العلة التي من أجلها دفع الله عز وجل الذبح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها دفع الذبح عن عبدالله، وهي كون النبي ﷺ والأئمة المعصومين صلوات الله عليهم في صلبهما، فبركة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام دفع الله الذبح عنهما<sup>(٢)</sup>.

إن هذا التعليل - كما تراه - غيبي، ولا بد له من أسباب خارجية ظاهرة، ولهذا لا تنافي بين ما ورد في هذه الرواية وما سيأتي، إذ أن الرواية الأولى ناظرة للعللة الواقعية، والرواية الآتية ناظرة للعللة الظاهرية.

(١) الخصال، ص ١٥٧، ونص الرواية: «فلما ولد عبدالله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله ﷺ في صلبه».

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ١، ص ١٩٠.

## ٢- اجتماع قريش على منعه

وتقول الرواية: «... فلما بلغوا عشرة أولاد، قال: قد وفى الله لي، فلافين لله عز وجل، فأدخل ولده الكعبة، وأسهم بينهم فخرج سهم عبدالله أبي رسول الله ﷺ، وكان أحب ولده إليه، ثم أجالها ثانية فخرج سهم عبدالله، ثم أجالها الثالثة فخرج سهم عبدالله، فأخذه وحبسه، وعزم على ذبحه؛ فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك، واجتمع نساء عبدالمطلب يبكين ويصحن، فقالت له ابنته عاتكة: يا أبتاه اعذر فيما بينك وبين الله عز وجل في قتل ابنك.

قال: فكيف أعذر يا بنية؛ فإنك مباركة؟ قالت: اعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب بالقداح على ابنك وعلى الإبل، وأعط ربك حتى يرضى.

فبعث عبدالمطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً، وضرب السهام فخرج سهم عبدالله، فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة، فضرب فخرج السهم على الإبل، فكبرت قريش تكبيرة ارتجت لها جبال تهامة.

فقال عبدالمطلب: لا، حتى أضرب بالقداح ثلاث مرات، فضرب ثلاثاً، كل ذلك يخرج السهم على الإبل، فلما كان في الثالثة اجتذبه الزبير وأبو طالب وإخوانه من تحت رجله، فحملوه وقد انسلخت جلدة خده الذي كان على الأرض، وأقبلوا يرفعونه،

ويقبّلونه، ويمسحون عنه التراب، وأمر عبدالمطلب أن تنحر الإبل بالحزورة، ولا يمنع أحد منها، وكانت مائة<sup>(١)</sup>.

وأوردت كتب الآثار رواية تختلف، ولكن فيها من الشعر الطريف والتفاصيل ما تتطلبه بعض القرائح، ولهذا سأذكرها.

لقد رووا أن عبدالمطلب قال لأبنائه:

يا بنيّ، ما تقولون في نذري؟

فقالوا: الأمر إليك ونحن بين يديك.

قال: فلينطلق كل واحد منكم إلى قدحه، وليكتب عليه اسمه. ففعلوا وأتوه بالقداح، فأخذها وقال:

عاهدته والآن أوفي عهده  
إذ كان مولاي وكنْتُ عبده  
نذرت نذراً لا أحبُّ ردهُ  
ولا أحبُّ أن أعيش بعده

فقدمهم ثم تعلق بأستار الكعبة، ونادى: اللهم رب البلد الحرام، والركن والمقام، ورب المشاعر العظام، والملائكة الكرام، اللهم أنت خلقت الخلق لطاعتك، وأمرتهم بعبادتك، لا حاجة منك إليهم.

(١) الخصال، ص ٥٦ - ٥٧.

ثم أمر بضرب القداح وقال: اللهم إليك أسلمتهم، ولك أعطيتهم، فخذ من اخترت منهم، فإني راضٍ بما حكمت، وهب لي أصغرهم سناً؛ فإنه أضعفهم ركناً، ثم أنشأ يقول:

يا ربَّ لا تُخْرِجْ عليه قِدْحِي  
واجعلْ له واقيةً من ذبْحِي

فخرج السهم على عبدالله، فأخذ عبدالمطلب الشفرة، وأتى عبدالله حتى أضجعه في الكعبة، وقال:

هذا بُنِيَ قد أريدُ نَحْرَهُ  
واللَّه لا يقدرُ شيءٌ قَدْرَهُ  
فإنْ تؤخِّرْهُ تقبَّلْ عُذْرَهُ

ثم همَّ بذبْحِه، فأمسك أبو طالب يده وقال:

كلا وربِّ البيتِ ذي الأنصابِ  
ما ذبِحُ عبدِ اللَّهِ بالتَّلْعابِ

ثم قال: اللهم اجعلني فديته، وهب لي ذبْحته، وقال:

خذها إليك هديَّةً يا خالقي  
روحي وأنتَ مليكُ هذا الخافقِ

وعاونه أخواله من بني مخزوم، وقال بعضهم:

يا عجباً من فعلِ عبدِ المطلبِ  
وذبِحِه إبناً كتمثالِ الذَّهَبِ

فأشاروا عليه بكاهنة بني سعد، فخرج في ثمانمائة رجل، وهو يقول:

تعاورني همّ فضيقتُ به ذرعا  
ولم أستطع فيما تجلّلتني دفعا  
نذرتُ ونذرتُ المرءَ دينٌ ملازمٌ  
وما للفتى مما قضى ربّه منعا  
وعاهدته عشراً فلما تكملوا  
أقربُ منهم واحداً ما له رُجعا  
فأكملهم عشراً فلما هممتُ أن  
أفيء بذاك النذرِ ثارَ له جمعا  
يصدونني عن أمرِ ربّي وأنني  
سأرضيه مشكوراً ليُكسبني نفعا

فلما دخلوا عليها قال:

يا ربّ إني فاعلٌ لِمَا تُردُّ  
إن شئتَ ألهمتَ الصوابَ والرّشدُ

فقالت: كم دية الرجل عندكم؟

قالوا: عشرة من الإبل.

قالت: فاضربوا على الغلام وعلى الإبل القداح، فإن خرج القدح على الإبل فانحروها، وإن خرج عليه فزيدوا في الإبل عشرة عشرة حتى يرضى ربكم.

فكانوا يضربون القداح على عبدالله وعلى عشرة، فيخرج السهم على عبدالله، إلى أن جعلها مائة، وضرب فخرج القدح على الإبل، فكبرَّ عبدالمطلب، وكبرت قريش، ووقع عبدالمطلب مغشياً عليه، وتوالت بنو مخزوم فحملوه على أكتافهم، فلما أفاق من غشيته قالوا: قد قبل منك فداء ولدك.

فبيناهم كذا، وإذا بهاتف من داخل البيت، وهو يقول: قبل الفداء، ونفذ القضاء، وأن ظهور محمد المصطفى.

فقال عبدالمطلب: القداح تخطئ وتصيب، حتى أضرب ثلاثاً، فلما ضربها خرج على الإبل، فارتجز يقول:

دَعَوْتُ رَبِّي مُخْلِصاً وَجَهراً  
يا رَبِّ لا يُنْحَرُ بُنْيَ نَحرا

فنحراها كلَّها، فجرت السنة في الدية بمائة من الإبل<sup>(١)</sup>.

### رواية مختصرة:

وقد جاءت في تاريخ الطبري، ويرويها عن رسول الله ﷺ: إن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليدبحن أحد ولده.

قال: فخرج السهم على عبدالله فمنعه أخواله، وقالوا: افد

(١) الدر النظيم، ص ٢٢ - ٢٤، البحار، ج ١٥، ص ١١١ - ١١٣، مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٢١ - ٢٣.

ابنك بمائة من الإبل، ففداه بمائة من الإبل<sup>(١)</sup>.

### تعقيب مهم

#### - وضوح الجنبه الإلهية

عرضت الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام أن محور تحرك عبدالمطلب كان التقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

فنذره كان لله عز وجل، وتقدمه لذبح ولده كان وفاءً لنذره، وكما قال: قد وفى الله لي فلاأفین لله عز وجل<sup>(٢)</sup>.

وأما الروايات الواردة في مصادر الإمامية فقد ذكرت من كلماته في المناجاة ما لا يعرفه إلا العارفون بالله عز وجل، بل ومن سخت أنفسهم بالبذل في جنب الله تعالى، ومن قدم رضاه على رضى نفسه.

ولو تأملنا رواية الطبري السالفة لرأينا أن النذر كان لله، وطلب التسهيل كذلك من الله عز وجل.

#### - التحريف المتعمد

هلم عزيزي القارئ، وسرّح طرفك فيما كتب في السيرة الحلبية من تحريف متعمد، فقد روى ضمن ما روى: ودفعت

(١) تاريخ الطبري، ج ١، ص ١٨٥، تخريج الأحاديث والآثار، ج ٣، ص ١٧٧.

(٢) مسند الإمام الرضا عليه السلام، ج ١، ص ٦٠.



تلك القداح للسادن والقائم بخدمة هبل... فيا ترى من أقحم اسم الصنم هنا؟ ولماذا ذكر؟ ثم قال: ثم أقبل به على إساف ونائلة، وألقاه على الأرض، ووضع رجله على عنقه، فجذب العباس عبدالله من تحت رجل أبيه<sup>(١)</sup>.

والأعجب من هذا المؤرخ أن يأتي أكاديمي متأخر فيترك كل الروايات التي رواها كبار المؤرخين، ويتخير هذه الرواية السقيمة العليلة، فيقول: فلما أراد تقريبه لهبل إله قريش - وكان صنمه في جوف الكعبة - قامت قريش تعترض عليه<sup>(٢)</sup>.

لقد استغل ذكر القائم بخدمة هبل ليعتبر الفداء والتضحية كانت لهبل، مع أن الرواية لا يغفل عن كذبها مؤرخ صغير.

وسأشير لك إشارة بل إيماءة تفهمها وأنت اللبيب. لو سألنا المؤرخين: متى كانت الحادثة؟ لأجابونا بأنها كانت قبل مولد رسول الله ﷺ بخمس سنين.

ولو سألناهم: متى ولد العباس بن عبدالمطلب؟ لقالوا: بعد هذه الحادثة بستين<sup>(٣)</sup> أو ثلاث<sup>(٤)</sup>.

(١) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٥٨.

(٢) تاريخ قريش، ص ١٥٠.

(٣) الوافي بالوفيات، ج ١، ص ٨٠؛ فإنه ذكر أن العباس أكبر من النبي ﷺ بثلاث سنين.

(٤) شرح الأزهار، ج ١، ص ٢٥؛ فإنه ذكر أن العباس أكبر من النبي ﷺ بستين أو ثلاث.

إنها رواية أرادت أن تقحم العباس، وأن تضع له دوراً في هذه الحادثة، وأن تسيء لعبدالمطلب إساءة كبيرة.

وإذا رجعنا للمصادر الإسلامية نجد أنهم إذا ذكروا القصة قالوا: وقال للسادن: اضرب بقداحهم<sup>(١)</sup>... ولا نجد لهبل ذكراً.

### كلمة لا بد منها

وقع عدد من الكتاب في الخلط بين ما قام به عبدالمطلب في اختيار الولد الذي سيذبح وبين ما كان العرب يمارسونه من الاستقسام بالأزلام، بل روى بعض كتابنا هذه القضية ظاناً أن هذا ما نهى القرآن الكريم عنه، فأراد أن يبرئ ساحة عبدالمطلب منه.

ولا شك أن هذا الخلط راجع إلى عدم معرفة ما قام به عبدالمطلب بالدقة، وإلى عدم معرفة الاستقسام بالأزلام الذي نهت الآيات عنه.

وقد عرض القرطبي ما كانت العرب تمارسه، فذكر أنه ثلاثة أنواع:

### الأول: قداح خاصة

وتكون عند الرجل في خريطة، وهي ثلاثة، قد كتب على أحدها (افعل)، وعلى الآخر (لا تفعل)، والثالث مهمل لاشيء

(١) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٨٩.

عليه، فإذا أراد فعل شيء أدخل يده -وهي متشابهة- فيعمل بما يخرج له، فإن خرج القدح الذي لا شيء عليه أعاد الضرب.

### الثاني: سبعة قداح

وكانت عند هبل في جوف الكعبة، مكتوب عليها ما يدور بين الناس من النوازل كالديات.

### الثالث: قداح الميسر

وهي عشرة، سبعة منها فيها حظوظ، وثلاثة غفل، وكانوا يضربون بها مقامرة لهواً ولعباً، وكان عقلاؤهم يقصدون بها إطعام المساكين والمعدم في زمن الشتاء، وكلب البرد وتعذر التحرف<sup>(١)</sup>.

وكانوا في الجذب يشتري عشرة أشخاص جزوراً، ثم تقسم الجزور ثمانية وعشرين جزءاً، كل جزء يعتبر سهماً، فمن خرج له سهم الفذ كان له سهم واحد، وأما التوأم فسهمان، حتى تصل إلى السهم السابع وهو المَعْلَى، وله سبعة أجزاء، وهؤلاء لا يتحملون من ثمن الجزور شيئاً، وإنما يتحملها من يخرج له سهم السفيح والمنيح والوغد، وهؤلاء من لا نصيب لهم من الجزور<sup>(٢)</sup>.

وهذا هو المعني في الآية الشريفة حينما قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ

(١) راجع تفسير القرطبي، ج ٦، ص ٥٨ - ٥٩.

(٢) راجع تفسير جوامع الجامع، ج ١، ص ٤٧٣.

وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرَدِّيةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ فِسْقٌ ﴿١﴾.

فإن الآية في مقام عدّ محرمات الأطعمة، فهي أحد عشر نوعاً، وقد بدأت الآية بالميتة وختمت بالاستقسام بالجزور.

فكيف يشك بعد هذا السياق الواضح والقرائن المتوالية في تعيين حمل اللفظ على استقسام اللحم قماراً؟! وهل يرتاب عارف بالكلام في ذلك؟! (٢).

### أين يقع عمل عبدالمطلب؟

عزيزي القارئ بدا الأمر جلياً وواضحاً، فيا ترى هل يصح أن نضع عمل عبدالمطلب ضمن المحرم في القرآن من الأطعمة... وأن نعتبره من الاستقسام بالأزلام؟ إن ذلك أمر غير صحيح.

فإذاً لا علاقة لعمل عبدالمطلب بالاستقسام بالأزلام المذكور في الآية الكريمة، بل عبدالمطلب ضمن من حرّم الاستقسام بالأزلام، فقد ذكر صاحب كتاب المنمق: من حرّم السكر والخمر والأزلام في الجاهلية من قريش، فكان أول اسم ذكره هو اسم عبدالمطلب (٣).

(١) سورة المائدة، آية ٣.

(٢) راجع تفسير الميزان، ج ٥، ص ١٦٥-١٦٧.

(٣) كتاب المنمق، ص ٤٢٢.

وفي حديث النبي ﷺ لعلي عليه السلام: يا علي، إن عبدالمطلب كان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام<sup>(١)</sup>.

وربما قال قائل: ألا يمكن أن نجعله من ضمن ما كان يفعله القرشيون إذا ما قصدوا هبل في النوازل؟

والجواب: إن قريشاً إذا قصدت هبل تكون في قضية كتحمّل الدية ليعرفوا المتحمل، وتكون هناك سهام قد كتب على أحدها «العقل من أم الديات» وفي ثالث «منكم» وفي رابع «من غيركم» وفي آخر «ملصق». وهذا عمل مختلف تمام الاختلاف عما قام به عبدالمطلب كما ستري.

### ماذا عمل عبدالمطلب؟

لقد صرّح عبد الرزاق الصنعاني - ويعبر عنه بالمحدث والحافظ والفقهاء<sup>(٢)</sup> - بأن عبدالمطلب أجرى قرعة، فقال: ثم أقرع بينه وبين مئة من الإبل<sup>(٣)</sup>.

وكذلك قال السرخسي، وهو من فقهاء المذهب الحنفي، فقال: فأقرع بينه وبين عشر من الإبل، فخرجت القرعة عليه، فما زال يزيد عشراً عشراً والقرعة تخرج عليه حتى بلغت الإبل

(١) الخصال، ص ٣١٣.

(٢) معجم المؤلفين، ج ٥، ص ٢١٩.

(٣) المصنف، ج ٥، ص ٣١٦.

مائة فخرجت القرعة عليها ثلاث مرات، فنحر مائة من الإبل<sup>(١)</sup>.

ولو رجعنا إلى التاريخ فإننا نجد أن عبدالمطلب قد طلب من أبنائه أن يكتبوا أسماءهم في قداح، ثم أجرى اختياراً ليرى الاسم الذي يخرج، فكان الاختيار يقع على سهم عبدالله<sup>(٢)</sup>.

وفي تعبير الرواية الواردة في مصادرنا: وأسهم بينهم فخرج سهم عبدالله أبي رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وما أجمل ما ذكره ابن أبي الحديد، فقد قال عن قول عبدالمطلب: اللهم إني كنت نذرت لك نحر أحدهم، وإني أقرع بينهم، فأصيب بذلك من شئت، فأقرع بينهم، فطارت القرعة على عبدالله<sup>(٤)</sup>.

لقد كانت قرعة يقوم بها عبدالمطلب، وعينه ممدودة للسماء كي تختار ما تريد، وفيما ذكرناه تحت عنوان (عبدالمطلب والقرعة)<sup>(٥)</sup> ما يكشف عن طريقته في القرعة بالتفصيل، وكان ذلك عندما ظفر بالماء أثناء حفره بئر زمزم.

ولا تستوحش من كلمة القدح، فإن الأقداح هي السهام قبل

(١) المبسوط، ج ٨، ص ١٣٩-١٤٠.

(٢) راجع الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٨٩.

(٣) الخصال، ص ٥٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢١٧.

(٥) انظر: ص ٤٨ من الكتاب.

أن تراش وتُنصَل، وتسمّى الأزلام، ويطلق عليها الأقلام<sup>(١)</sup>.

وعمله شبيه بما جرى في اختيار كفالة مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾<sup>(٢)</sup>.

والقلم -بفتحتين- القدح الذي يضرب به القرعة، ويسمّى سهماً أيضاً، وجمعه أقلام، فقوله: ﴿يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ أي يضربون بسهامهم ليعيّنوا بالقرعة أيهم يكفل مريم<sup>(٣)</sup>.

وقال الزجاج:

الأقلام ههنا القداح، وهي قداح جعلوا عليها علامات يعرفون بها من يكفل مريم على جهة القرعة، وإنما قيل للسهم القلم لأنه يُقْلَمُ أي يُبرى<sup>(٤)</sup>.

وستقرأ كعمل عبدالمطلب ما جرى ليونس عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد قال تعالى: ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

والمساهمة المقارعة، والإدحاض الغلبة، أي فقارع من في السفينة فكان من المغلوبين، وقد كان عرض لسفيتهم الحوت

(١) راجع في ذلك كتاب العين، ج ٣، ص ٤١، ج ٧، ص ٣٧٠، والصحاح، ج ١، ص ٣٩٤، ج ٥، ص ١٩٤٣، ٢٠١٤.

(٢) سورة آل عمران، آية ٤٤.

(٣) تفسير الميزان، ج ٣، ص ١٩٠.

(٤) لسان العرب: ج ١٢، ص ٤٩٠.

(٥) سورة الصافات، آية ١٤١.

فاضطروا إلى أن يلقوا واحداً منهم في البحر لبتلعه ويخلى  
السفينة، فقارعوا فأصاب يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

---

(١) تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٦٣.





## الفصل الثاني



### قدسية الحدث

عزيزي القارئ.. لست أمام حدث تاريخي مجرد، ولست أمام فكرة خطرت على ذهن رجل عادي، ولم يشأ أن يتراجع عن تنفيذها بعد أن جهر بها، وسمع الناس منه ذلك، فأصبح أمام محك يكشف مقدار التزامه بما يقول.

وربما طالبني بالدليل على قدسية هذا العمل، وشرف هذا الإقدام من عبدالمطلب على ذبح ابنه العزيز عبدالله، ولك الحق في ذلك، فدونك فاقرأ ما طلبت:

#### قدسية الحدث

هناك عدة مؤشرات تشير إلى قداسة ما قام به عبدالمطلب، بل وتكشف عن كونه عملاً إلهياً عظيماً.

## أولاً: الافتخار النبوي

هناك ذبيح يعرفه القارئ للتاريخ وهو إسماعيل عليه السلام، ويحقُّ لأبنائه أن يفخروا به، فإنه كان مظهر التسليم لله سبحانه وتعالى، ومصداق الانقياد لأوامره عز وجل، ويكفيك في هذا المضممار قوله لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَحِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

لقد كان لإسماعيل من الأبناء ما لا يحصى، وكلهم يفخرون بالذبح أو يحقُّ لهم ذلك، فلو قال أحد منهم: أنا ابن الذبيح، لقال الآخر من بني عمومته: وأنا كذلك.

ولكن حينما نسمع من مفتخر يقول: أنا ابن الذبيحين<sup>(٢)</sup>، فإن ذلك ما لا يمكن أن يتفوه به غير شخص واحد وهو النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد فخر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأبيه عبدالله وجده إسماعيل فقال: أنا ابن الذبيحين، ولو لم يكن ما تعرض له أبوه عملاً إلهياً شريفاً لما افتخر صلى الله عليه وآله وسلم به.

ولا أظنك ممن يخفى عليه السر في ذلك، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يقدر شيئاً بعيداً عن الله عز وجل، إذ أن الأشياء تكتسب

(١) سورة الصافات، آية ١٠٢.

(٢) الخصال، ص ٥٦.

قداستها بارتباطها بالله سبحانه وتعالى، وكلما كانت خالصة لله عز وجل أصبحت ذات قدسية أعلى.

بل لا أبتعد عن الحقيقة حينما أقول إن الذبح كان عملية مقدسة ومقدمة على غيرها، ودليلي في ذلك أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه مفاخر بعدد نجوم السماء وأكثر، فترك كل ذلك وأعرض عنه وتخير هذه المكرمة فقال: «أنا ابن الذبيحين».

إن هذا الفخر النبوي كشف لنا عن قدسية العمل الذي قام به عبدالمطلب، ولولا أنه عمل إلهي لاستحق أن يعتبر حماقة من حماقات التي يقوم بها شذاذ الآفاق، ولأصبحت مغمزاً في العشيرة كلها، ولا يبعد أن يكون صاحب هذا العمل ومن وأد البنات في قائمة واحدة.

ولكن العمل بما أنه يضاف في قائمة يتصدّرها إبراهيم الخليل ﷺ اكتسب بعداً آخر؛ فأصبح محل إكبار وإجلال، فقد أشبه عبدالمطلب إبراهيم الخليل ﷺ، وأشبه عبدالله جده إسماعيل.

لقد روي عن إمامنا الرضا ﷺ أنه قال: ولولا أن عبدالمطلب كان حجة، وأن عزمه على ذبح ابنه عبدالله شبيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل لما افتخر النبي ﷺ بالانتساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان في قوله ﷺ: «أنا ابن الذبيحين»<sup>(١)</sup>.

(١) الخصال: ص ٥٧.

## ثانياً: التخليد الإلهي للفداء

لقد ألفت هذه الحادثة بظلالها على تشريع من التشريعات الإسلامية، ألا وهو دية القتل.

لقد كانت الدية أمراً معمولاً به عند العرب، فكان القاتل يتحمل دية مقدارها عشر من الإبل.

فلما جاء الإسلام تضاعف العدد ليصبح مائة ناقة، ولو سألت عن اختيار هذا الرقم بالخصوص لأجبت بأن ذلك مما أقره الإسلام من أفعال عبدالمطلب عليه السلام يوم فدى ولده عبدالله بمائة من النياق<sup>(١)</sup>.

## وقفه تأمل

تأمل -عزيزي القارئ- في تعامل السماء مع الحدثين العظيمين، فقد اهتم الدين بما قام به إبراهيم عليه السلام واهتم كذلك بما صدر من عبدالمطلب عليه السلام.

لقد خلّدت السماء عمل إبراهيم عليه السلام وما صاحبه من الفداء بالذبح العظيم عندما أمرت المسلمين بتقديم الضحايا لله سبحانه وتعالى، وخلّدت كذلك عمل عبدالمطلب وفداءه لولده بمائة من الإبل بجعل عددها دية القتل<sup>(٢)</sup>.

(١) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٥٩.

(٢) الخصال، ص ٥٧.

وأما رسول الله ﷺ فقد تعامل مع الحدثين وكأنهما توأم واحد فقال: أنا ابن الذبيحين، مفتخراً بإسماعيل وعبد الله ﷺ.

### مناقشة لتعليق

ستجد وأنت تقرأ في كتاب من لا يحضره الفقيه تعليقات على بعض الروايات، وقد كتبها الغفاري غفر الله له.

ومن ضمن الروايات التي تناولها بالتعليق رواية تتحدث عن ذبح عبد الله والد النبي ﷺ (١).

وخلاصة تعليقاته على هذا الحدث ما يلي:

أولاً: لقد تضمنت الرواية أمراً غريباً، بل منكرأ لا يجوز أن ينسب إلى أحد من أوساط الناس والسذج منهم، فضلاً عن عبدالمطلب صاحب الكياسة والمقام العالي وحسن التدبير، فكيف يصح أن يقال: إنه نذر أن يذبح سليله وثمره مهجته وقره عينه قرية إلى الله سبحانه؟ وكيف يتقرب إلى الله تعالى بفعل يستقل العقل بقبحه، بل يعدُّه من أعظم الجنایات، وهو فعل منهي عنه في جميع الشرايع؟

الجواب: لاشك أن الكاتب قد حرَّكه حماسه الديني ليدفع عن ساحة عبدالمطلب ما لا يليق به حسب تصوره، وسعى لتزييه عما سينسب إليه من الشرك، وخصوصاً أن من المفسرين من

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٨٩.

حاول أن يدرج قصة عبدالمطلب مع ولده لتفسير قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ولم تصدر الجناية من مفسر واحد، بل صدر من الزمخشري<sup>(٢)</sup> والرازي<sup>(٣)</sup> والنيشابوري من المتقدمين، ومن المراغي وسيد قطب وزمرة كثيرة من المتأخرين.

لقد كانت محاولتهم جعل عبدالمطلب مصداق الآية الشريفة، انتصاراً لمذهبهم الباطل في اعتقاد الشرك في آباء النبي ﷺ وأجداده<sup>(٤)</sup>.

عزيزي القارئ، إن حسن النية من المعلق لا يعني صحة العمل الذي قام به، فأحترمه في نيته، وأبدي ما يلاحظ على كلامه وتعليقه.

لقد قال: إن الإقدام على ذبح الولد فعل قبيح وحرام، فكيف أقدم عليه عبدالمطلب مع إيمانه وكمال عقله؟!!

فأقول: لاشك أن هذه العبارة تليق بشخص عادي من أهل الإيمان ممن كان على دين إبراهيم عليه السلام، أو كان على دين عيسى عليه السلام.

(١) سورة الأنعام، آية ١٣٧.

(٢) الكشف ٢ / ٥٣ - ٥٤.

(٣) تفسيره ١٣ / ٢٠٦.

(٤) راجع من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٨٩.

فإن هذا الموحد محكوم بشرع معروف، وقانون لا يصح تجاوزه، فيصبح إقدامه على النذر أو الذبح عملاً حراماً وقبيحاً. لكن علينا أن نضع عبدالمطلب في موقعيته المناسبة وهي أنه موحد ومرتبط بالسماء، ومن حجج الله سبحانه وتعالى، وقد حركه نحو هذا العمل ما لا نقف على تحديده، ولكن نعرف ظرفه من خلال الرواية التالية:

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: ولولا أن عبدالمطلب كان حجة، وأن عزمه على ذبح ابنه عبدالله شبيه بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل لما افتخر النبي ﷺ بالانتساب إليهما لأجل أنهما الذبيحان<sup>(١)</sup>.

إن هذه الرواية تفتح لنا باباً لقبول أصل العمل، وهو الإقدام على تقديم عبدالله عليه السلام قرباناً لله تعالى؛ فقد شابه عمل عبدالمطلب عمل جده إبراهيم عليه السلام، فكما تقع ممارسة إبراهيم موقع القداسة لصلتها بالله عز وجل، ولولا هذه الصلة لكان عمله عملاً لا نجد له مبرراً - كذلك ما قام به عبدالمطلب يقع موضع التقدير لصلته بالله سبحانه وتعالى.

لقد بحث المعلق عن رواية أخرى ورد فيها ذكر الذبح، «وهي أنا ابن الذبيحين» فردّها لضعفها، وعلل الضعف بضعف الرواة أو كونهم مجهولين أو مهملين أو على غير مذهبنا.

(١) الخصال، ص ٥٧.

وهو محق في كلامه، ولكنه لم يبحث كل الروايات المتحدثة عن الذبح لعبدالله.

فقد روي في الكافي ما يدل على أصل القضية، والرواية صحيحة السند<sup>(١)</sup>، وفيها التصريح بالذبح، فقد قال:

ولكنه قد ارتجز على بنيه يوم أراد نحر عبدالله<sup>(٢)</sup>.

مع أننا لسنا بحاجة لكل هذا العناء؛ لأن الخبر ينقله الأعلام، ويرسلونه إرسال المسلمات، فقد ذكر الافتخار من النبي ﷺ بالذبيحين الشريف المرتضى في الفصول المختارة<sup>(٣)</sup>، والشيخ الطوسي في أماليه<sup>(٤)</sup>، وابن البطريق في العمدة<sup>(٥)</sup>، وعدد من علماء العامة.

إن هذا النوع من النقل يبعث على الاطمئنان بخبر تاريخي، ومع ذلك بحثنا في الروايات لنقف على رواية صحيحة تذكر خبر الذبح.

إن هذا العرض يجعلنا نصل إلى نتيجة وهي:

(١) رواها عدة ومنهم علي بن إبراهيم القمي عن أحمد بن محمد وهما ثقتان، عن القاسم بن يحيى عن جده الحسن بن راشد، وقد وردا في سند زيارة صححها الشيخ الصدوق بل اعتبرها أصح زيارة، ولهذا فالسند صحيح لا خدش فيه.

(٢) الكافي، ج ٤، ص ٢٢١.

(٣) ص ٦٠، وهو ما اختاره ثنثك من كتاب العيون والمحاسن لأستاذه الشيخ المفيد.

(٤) ص ٤٥٧.

(٥) ص ٢٤.



إن أصل القضية أمر لا مفر من الإذعان إليه والإقرار به، فقد ورد في مصادر الفريقين، ونصت عليه الكتب الحديثية كالكافي، بل ورد برواية صحيحة.

وإذا كان ثمَّ اعتراض فإنه لا يوجَّه لأصل القضية، بل يكون تجاه التفاصيل الموجودة في بعض الروايات، وفرق بين أن يناقش أصل الحدث وأن يناقش في التفاصيل.

وليس هناك مبرر لردِّ الرواية، ولا يمكن الميل لذلك لمجرد أن هناك من أساء الفهم لما قام به عبدالمطلب عليه السلام فصنَّفه ضمن ما يفعله المشركون بأولادهم.

وإنما علينا أن نتبنى فهماً آخر ينزّه عبدالمطلب عن الشرك، ولا يردُّ أصل القضية من خلال الفهم لمقام عبدالمطلب عند الله سبحانه وتعالى.

ولا أراني أذيع سرّاً إذا ما قلت: إن تفاصيل الحادثة لم ترد في كثير من الروايات، وهذا ما خلَّف ضبابية تتاب صورة الحادثة، بحيث تحجب الرؤية الصحيحة.

ولهذا لا نملك أمام هذه المعطيات إلا أن نقول:

إننا نقبل الحادثة بخطوطها العريضة، ونقف وقفة أخرى لمعالجة الروايات المتحدّثة عن تفاصيل الحدث.

ثانياً: لقد افترض الغفاري إشكالاً موجهاً إليه، وهو أنه قد

يقال: لعل عبدالمطلب كان مأموراً من جانب الله سبحانه، كما كان جده إبراهيم عليه السلام مأموراً.

ثم ردّ هذا الإشكال بقوله:

١- إن هذا التوجيه مخالف لظاهر الروايات فقد صرّح في جميعها بأنه نذر.

٢- إنه لو كان مأموراً فلا محيص له عنه، ويجب عليه أن يفعله كما أمر، فكيف فداه بالإبل؟! ولم لم يقل في جواب من منعه - كما في الروايات -: إني مأمور بذلك؟<sup>(١)</sup>.

لا شك أنك لاحظت أن النقد موجّه لتفاصيل القضية، وهذه الملاحظات - كما قلنا - لا تضر بصحة أصل الحدث.

ويمكن لقائل أن يجيب كذلك: إن عبدالمطلب عليه السلام أمر بذبح ولده امتحاناً من الله سبحانه وتعالى، وكان الأمر قد جاءه برؤيا صادقة (كما في حفر زمزم)، أو بإلهام (كما في معرفته بعذاب أصحاب الفيل)، فلما عزم على ذبح ولده ألهمه الله تعالى أن يفديه بالإبل، وشاء الله أن يجري هذا الاقتراح على ألسنة الناس؛ لأنه لو انفرد عبدالمطلب بهذا الاقتراح لقاتل الناس: إن عبدالمطلب تراجع عن الوفاء بنذره، ولم يكن ملهماً بذلك، فقد ورد في إحدى خطب أمير المؤمنين عليه السلام: ثم نقلته - أي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - من

(١) راجع من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٨٩.

هاشم إلى عبدالمطلب، فأنهجه سبيل إبراهيم، وألهمته رشداً للتأويل وتفصيل الحق، ووهبت له عبدالله وأبا طالب وحمزة، وفديته في القربان بعبدالله كسمتك في إبراهيم بإسماعيل<sup>(١)</sup>.

### الآثار العظيمة لقربان عبدالمطلب

إننا أمام توجيهين يمكن من خلالهما فهم القيمة التي ينطوي عليها عمل عبدالمطلب عليه السلام.

أحدهما: أن هذا العمل مرتبط بعلاقة عبدالمطلب بالله سبحانه وتعالى، كما أن حادثة تقديم إبراهيم عليه السلام ولده للذبح ذات ارتباط جلي وواضح بالله سبحانه وتعالى، فإن الله عز وجل قد قال: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكان من ابتلائه أن يكلف بهذا الامتحان الإلهي الصعب، والذي تجاوزه إبراهيم عليه السلام، ونال بذلك المرتبة العظيمة، وهي مرتبة الإمامة، وعبدالمطلب عليه السلام كذلك كانت بينه وبين ربه علاقة اقتضت منه ذلك العمل، ثبت عنده أن ذبح الولد من أفضل القربات؛ لما علم من حال إسماعيل، فنذر أنه متى رزق عشرة أولاد ذكوراً أن ينحر أحدهم في الكعبة شكراً لربه<sup>(٣)</sup>.

وقال آخر: إنه كان ولياً ملهماً كالأنبياء، وإن الله تعالى

(١) بحار الأنوار، ج ٢٥، ص ٣١.

(٢) سورة البقرة: آية ١٢٤.

(٣) مستدرک الوسائل، ج ١٦، ص ٩٨، نقلاً عن ابن شهر آشوب.

امتحنه، فأمره بذبح أحد أبنائه<sup>(١)</sup>.

وقيل: ربما كان الباعث يعلمه عبدالمطلب عليه السلام، ونجهله نحن، فاختبر كما اختبر جده الأكبر، فلما علم الله صدقه وإخلاصه فداه بما فداه<sup>(٢)</sup>.

التوجه الآخر: ويسعى هذا التوجه لمعرفة الظروف التي استدعت من عبدالمطلب أن يقوم بهذا العمل، وكان أصحابه يبحثون عن ثمرة العمل لا في نفس عبدالمطلب، بل في المحيط من حوله.

ف قيل: إنه أراد أن يكون ذلك دعوة عملية لعبدة الأصنام، أن يعبدوا رب هذا البيت، رب إبراهيم وإسماعيل، ويقدموا لله قرابينهم عنده، لا لأصنامهم.

لقد بعث الكاتب على تبني ذلك أن عبدالمطلب كان يعيش في مجتمع وثني يتقرب إلى الأصنام بالقرابين، وقد يذبح أحدهم ولده قرباناً لصنمه!! فمن المعقول أنه قابل ذلك بنذر أحد أولاده قرباناً لله تعالى وتعظيماً لبيته الحرام<sup>(٣)</sup>.

وقيل: إن المنذر بن ماء السماء ملك المناذرة المعاصر لعبدالمطلب، والذي كان أعظم ملك وثني في العرب، قد أسر ابن الحارث بن شمر ملك الغساسنة النصراني في حربه معه، فذبحه

(١) العقائد الإسلامية، ج ٣، ص ٤١٣.

(٢) من إفادات ساحة العلامة الشيخ محسن المعلم حفظه الله.

(٣) الانتصار، ج ٧، ص ١٠٩.

قرباناً للعزى. فلا يبعد أن يكون نذر عبدالمطلب أن يذبح واحداً من أولاده لرب البيت سبحانه، تعزيراً لدين إبراهيم ورداً على عمل المنذر في عبادة صنم العزى<sup>(١)</sup>.

وقيل: إن عملية الفداء زادت من تفكير الناس الوثنيين بإله إبراهيم وعبدالمطلب وهياتهم للدعوة إلى عبادته بدل أصنامهم<sup>(٢)</sup>.

(١) الانتصار، ج٧، ص١٠٩، وقد نقل خبر المنذر من كتاب تاريخ الأدب

العربي للدكتور شوقي ضيف، ص٤١.

(٢) العقائد الإسلامية، ج٣، ص٤٤٢.





## الباب الرابع



# إشراق النبوة في رحاب عبدالمطلب

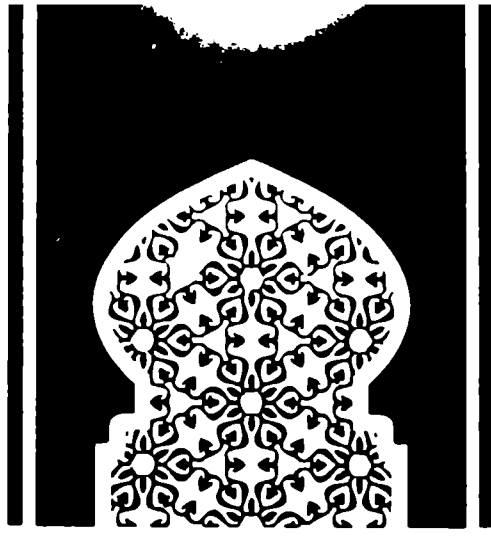
○ عندما أشرق نور النبي ﷺ

○ مع النبي ﷺ في نشأته

○ قصص نبوية







## الفصل الأول



### عندما أشرق نور النبي ﷺ

#### آمنة وهالة

امرأتان من بني زهرة لحقتا ببیت الفخر والجلال، إحداهما كانت لعبدالله، وهي آمنة، والأخرى هالة وقد تزوّجها أبوه عبدالمطلب، أما آمنة فكانت أمّاً للنبي الأكرم ﷺ، وأما هالة فكانت أمّاً لسيد الشهداء الحمزة وأخته صفية، وهذا أمر لم أجد فيه خلافاً يذكر عند المؤرخين.

ولكن الخلاف حول نسب هالة وقرابتها من آمنة، فمن قائل: هي هالة بنت وهب<sup>(١)</sup>، وكانت أختاً لآمنة، ومن قائل: هي هالة بنت وهيب<sup>(٢)</sup> فهي ابنة عم آمنة، وهذا هو الأقرب؛ إذ لم

---

(١) المستدرک، ج ٢، ص ٦٠١، شرح صحيح مسلم للنووي، ج ١٦، ص ٤٨، الإصابة ج ٨، ص ٢١٣، وقد صرح بأن هالة خالة رسول الله ﷺ.

(٢) المستدرک، ج ٤، ص ٥٠، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٧٣، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٩٥، الثقات، ج ٣، ص ٧٠، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١.

نجد في ثنايا التاريخ التعبير عن الحمزة بأنه كان عمّاً للنبي ﷺ وابن خالته، مع أنا نجد التصريح بأنهما كانا أخوين من الرضاعة، ويضاف لذلك تصريح المؤرخين بأن رسول الله ﷺ لم تكن له خالة ولا خال<sup>(١)</sup>.

وقد روى المؤرخون لهذا الزواج قصة، فقد حكوا أن عبدالمطلب كان إذا ورد اليمن نزل على عظيم من عظماء حمير، فنزل عليه مرة من المرات، فوجد عنده رجلاً من أهل اليمن قد أمهل له في العمر، وقد قرأ الكتب، فقال له: يا عبدالمطلب، تأذن لي أن أفتش مكاناً منك؟

قال: ليس كل مكان مني آذن لك في تفتيشه، قال: إنما هو منخراك، قال: فدونك، قال: فنظر إلى يار - وهو الشعر في منخريه - فقال: أرى نبوة، وأرى ملكاً، وأرى أحدهما في بني زهرة.

فرجع عبدالمطلب فتزوج هالة بنت وهيب بن عبدمناف بن زهرة، وزوج ابنه عبدالله آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة، فولدت محمداً ﷺ فجعل الله في بني عبدالمطلب النبوة والخلافة، والله أعلم حيث وضع ذلك<sup>(٢)</sup>.

(١) إعلام الوري، ج ١، ص ٢٨٥ وعبارته هكذا: «آمنة بنت وهب لم يكن لها أخ ولا أخت؛ فيكون خالاً له أو خالة إلا أن بني زهرة يقولون: نحن أخواله لأن آمنة منهم.

(٢) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٨٦، وفي المعجم الكبير، ج ٣، ص ١٣٨ ولكن بصورة مختلفة.

ويروى أن آمنة بنت وهب كانت في حجر عمها وهيب بن عبدمناف بن زهرة، فمشى إليه عبدالمطلب بن هاشم بابنه عبدالله، فخطب عليه آمنة بنت وهب، فزوَّجها عبدالله بن عبدالمطلب، وخطب إليه عبدالمطلب في مجلسه ذلك ابنته هالة على نفسه فزوَّجها إياها، فكان تزوج عبدالمطلب بن هاشم وتزوج ابنه عبدالله في مجلس واحد.

وكان دخول عبدالله على آمنة في أهلها؛ فأقام عندهم ثلاثة أيام، وكانت تلك سيرة العرب إذا دخل الرجل على امرأته في قومها<sup>(١)</sup>.

ويبدو من بعض المؤرخين أن ذلك كان في شعب أبي طالب، حيث كانت آمنة مع أهلها يسكنون هنالك<sup>(٢)</sup>، ثم انتقل عبدالله إلى بيته، والذي كان بمنى عند الجمرة الوسطى، وقد حملت آمنة بالنبي ﷺ هناك<sup>(٣)</sup>.

وقد أعرضت عن تفاصيل ذكرها الواقدي للخطبة والزواج، وهي أقرب إلى السرد القصصي المتكلف منه إلى الرواية التاريخية، وفيها ما لم أجد له ما يساعد على قبوله<sup>(٤)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٩٥.

(٢) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٦٤.

(٣) الدروس، ج ٢، ص ٦.

(٤) البحار، ج ١٥، ص ٢٨٢-٢٨٤.

## وجاءت بشارة الأنبياء

طالما فتح الفجر عينيه باحثاً عن خيوط النور، وطالما  
أشرقت الشمس وهي ترنو نحو البيت العتيق، وما أكثر ما طاف  
القمر حول الكعبة علّه يسمع استهلال صغير.

لقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يتقاسم شرف  
الارتباط بالنبي ﷺ رجال هم صفوة الله من خلقه.

لقد نال شرف الأبوة عبدالله ﷺ، ثم مضى ونال فضل  
الرعاية عبدالمطلب، وحاز السبق في المؤازرة والنصرة أبو طالب.

لقد كان هؤلاء الثلاثة على ميعاد مع النبي ﷺ، فلم يكن  
واحد منهم يجهل قدره ﷺ، بل كانوا على معرفة ودراية.

وإذا اجتمعت المعرفة بالعلاقة القرابية فلا بد أن يكون لذلك  
مظاهر واضحة، وهلمّ إلى أبي طالب لنسمع منه ما يقول:

لقد كان عبدالمطلب نائماً في الحجر، فرأى رؤيا هالته، فأتى  
كاهنة قريش، وعليه ثوب خز في طرفيه علمان، وهو المسمّى بالمِطرف،  
وشعره قد انسدل على منكبيه، فلما نظرت الكاهنة عبدالمطلب عرفت  
من ملامح وجهه التغير فاستوت مستقبلة سيد قريش وقالت:

ما شأن سيد العرب متغير اللون؟ هل رابه من حدثان الدهر  
ريب؟ فقال لها: بلى، إني رأيت الليلة وأنا نائم في الحجر كأن  
شجرة قد نبتت على ظهري، قد نال رأسها السماء، وضربت

بأغصانها الشرق والغرب، ورأيت نوراً يزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفاً، ورأيت العرب والعجم ساجدة لها، وهي كل يوم تزداد عظماً ونوراً.

ورأيت رهطاً من قريش يريدون قطعها، فإذا دنوا منها أخذهم شاب من أحسن الناس وجهاً وأنظفهم ثياباً، فيأخذهم ويكسر ظهورهم، ويقلع أعينهم، فرفعت يدي لأتناول غصناً من أغصانها، فصاح بي الشاب وقال: مهلاً، ليس لك منها نصيب، فقلت: لمن النصيب والشجرة مني؟ فقال: النصيب لهؤلاء الذين قد تعلّقوا بها وسيعود إليها، فانتبهت مذعوراً فزعاً متغير اللون.

يقول عبدالمطلب بعد أن فرغ من قصّه لرؤياه إنه رأى لون الكاهنة قد تغير، ثم قالت: لئن صدقت ليخرجنّ من صلبك ولد يملك الشرق والغرب، وينبأ في الناس فتسرّى عني غمي.

ثم التفت إلى أبي طالب قائلاً: لعلك تكون أنت، ويقصد به ذلك الشاب المحامي.

وربما كان كذلك، فإن الشباب رمز للقوة والتحمل في الدفاع، وربما كان المعني بذلك أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد كان أبو طالب ينقل هذا الخبر وقد بعث النبي ﷺ، وكان يقول: كانت الشجرة -والله- أبا القاسم الأمين<sup>(١)</sup>.

(١) البحار، ج ١٥، ص ٢٥٤-٢٥٥، أمالي الصدوق، ص ٢١٦.

## ساعة الولادة

كانت آمنة في شعب أبي طالب<sup>(١)</sup>، ويحدد التاريخ تلك الليلة أنها كانت ليلة جمعة، وقد أشرقت الدنيا في صباحها بولادة النبي الأعظم ﷺ.

وصاحبت الولادة آيات كثيرة أعرض عن ذكر أكثرها؛ وأشير إلى ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام عن آمنة عليها السلام فقد قالت: إن ابني -والله- سقط فاتقى الأرض بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء فنظر إليها، ثم خرج مني نور أضاء له كل شيء، وسمعت في الضوء قائلاً يقول: إنك قد ولدت سيد الناس فسمّيه محمداً، وأُتي به عبدالمطلب لينظر إليه، وقد بلغه ما قالت أمه، فأخذه فوضعه في حجره ثم قال:

الحمدُ لله الذي أعطاني  
هذا الغلامَ الطيّبَ الأرداني  
قد ساد في المهدي على الغلمانِ

ثم عوّذه بأركان الكعبة، وأخذ ينشد فيه الأشعار<sup>(٢)</sup>.

ولما نقل لعبدالمطلب أن هذا الوليد لم يحتاج أن تجري موسى عليه، فقد ولد مختوناً، عرف أن هذه علامة يختص بها

(١) كشف الغطاء، ج ١، ص ٥، الدروس، ج ٢، ص ٥.

(٢) البحار، ج ١٥، ص ٢٥٨.

الله عزّ وجلّ هذا المولود، فقال: ليكونن لابني هذا شأن<sup>(١)</sup>.

وعتق عبدالمطلب عنه يوم السابع بكبش وسمّاه محمداً، ولم يسمّه بأسماء آبائه، وقال: أردت أن يحمده الله في السماء، ويحمده الناس في الأرض<sup>(٢)</sup>.

وصدق عبدالمطلب فيما ابتغاه، فقد حقق الله مناه، ورأى بأم عينيه علامات ذلك واضحة في الأفق، وفي هذا المضمّار يقول العلامة الشاعر السيد محمد جمال الهاشمي رَحِمَهُ اللهُ:

سائلي البطحاء ماذا راعها  
وهي في عالمها المنعزل؟  
واسألي الأصنام من عليائها  
مَنْ رماها للحضيض الأسفل؟  
واسألي فارس كيف انخمدت  
نارها؟ هل جفّ زيت المشعل؟  
وادخلي البيت ففي جانبه  
أمّة مجموعة في رجل  
شبيهة الحميد، وما أعظمه  
قائداً حاز وسام البطل  
كم له دون العلا من موقف  
سار في الدهر مسير المثل

(١) البحار، ج ١٥، ص ٢٧٤.

(٢) إمتاع الأسماع، ج ٤، ص ٩٦.

وانظري الوفاَدَ تسعى حوله  
 وتُحيِّي كفه بالقُبَلِ<sup>(١)</sup>

### أين كان والد النبي؟

لقد قرأنا في مرويات التاريخ فوجدنا المتصدي لاستقبال النبي ﷺ يوم ولادته جده عبدالمطلب ﷺ، ولم تقع عيني على ذكر لأبيه عبدالله ﷺ، ولهذا فإن من الواضح أنه كان غائبا عن مكة ساعة الولادة، ولكن ما هو سبب غيابه؟

### ١- السفر

يبدو أن الرأي الذي تدور حوله كلمات المؤرخين هو القول بسفر عبدالله ﷺ وإن اختلفوا في مدة بقاءه بعد ميلاد النبي ﷺ، فقد قيل:

١- توفي بعد ميلاد النبي ﷺ بشهرين، وقال بذلك الكليني<sup>(٢)</sup> واليعقوبي؛ وقد نسب الأخير هذا القول للإمام الصادق ﷺ<sup>(٣)</sup>.

٢- توفي بعد سبعة أشهر من الميلاد المبارك.

٣- توفي بعد سنة.

(١) مستدرک أعيان الشيعة، ج ٢، ص ٢٨٨.

(٢) الكافي / ١ / ٤٣٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي / ٢ / ١٠.



٤- توفي بعد ثمانية وعشرين شهراً.

٥- توفي بعد سنتين وأربعة أشهر، وتبنى هذا القول الطبرسي في إعلام الوري<sup>(١)</sup>، والذهبي في تاريخ الإسلام<sup>(٢)</sup>.

### ب- الموت

وهذا قول لا يعتمد عليه قبال إجماع المؤرخين على وجود عبدالله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

إن الذي يهمننا في هذا العرض التاريخي أن والد النبي ﷺ لم يكن حاضراً ساعة الولادة، ولا نجد رواية تتحدث عن لقاء بين النبي ﷺ ووالده، إلا ما يمكن أن يستشعر من كلمة الطبرسي والإربلي رحمهما الله، فقد قال الطبرسي: عاش ﷺ مع أبيه سنتين وأربعة أشهر، وكرّر الإربلي العبارة ذاتها، وهي مشعرة باللقاء بينهما، لا مجرد الوجود في زمان واحد.

(١) إعلام الوري، ج ١، ص ٥٢.

(٢) ج ١، ص ٥٠.

(٣) راجع موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١، ص ٢٦٠، فقد فصل القول في المسألة.





## الفصل الثاني



### مع النبي ﷺ في نشأته

إنها ثمان سنين قضاها النبي ﷺ في رحاب جده عبدالمطلب، ولكنها مترعة بالحوادث، ومليئة بالمكاره والكروب.

ويمكننا أن نقسمها إلى ثلاث مراحل:

#### الأولى: الرضاعة والحضانة

وامتدّت خمس سنين، وكانت من نصيب حليلة السعدية، فقد كان معها رضيعاً، وبقي عندها ناشئاً.

#### الثانية: في كنف آمنة

ولم تطل المدة، بل كانت كطيف عابر، فقد عاش معها سنة وثلاثة أشهر، وفارقها في الأبواء مع جده عبدالمطلب.

### الثالثة: تفرد عبدالمطلب

وبقي النبي ﷺ في رعاية جده سنة وتسعة أشهر، يحوطه ويرعاه، وتقرّ عينه بقربه.

وسأعرض بين يديك ما سنح لي من نوادر التاريخ، مما يخصُّ كل فترة.

### الرضاعة الميمونة

يا ابنة السعد، طاب دهرك، وطلعت أنجم سعدك، فهذا سيد الوادي المقدس قد ارتضاك لابنه مرضعة.

لله أنتِ، ماذا صنعت في سواف أيامك حتى تخيرت السماء حجرك مهداً لسيد الأنبياء؟

أترى الصدفة قادت مطيتك إليه؟ أم الحاجة أقلقتك فارتضيتِ يتيماً لترضعيه؟ أم لا ذا ولا ذاك، بل مدّت الأعناق لترى سعيدة الحظ التي سيرتضيها زعيم مكة، وأخذت الأبصار تلاحق المرضعات واحدة بعد أخرى، فيا ترى من ستستقر العين عندها، لتراها حاضنة لأشرف المخلوقات؟

هكذا أرادت السماء، وهكذا نسجت الأقدار بواكير أيام النبي الأكرم ﷺ.

### وتنازعت المرضعات

زعيم مكة يطلب لولده مرضعة، وسيد الوادي المملوء

بالكرم في انتظار سعيدة الحظ.

لقد تسامعت المرضعات بالخبر، فتناولت النساء لرضاعته،  
وتربيته<sup>(١)</sup>، بل وتنازعن على إرضاعه، فخص الله عز وجل حليمة  
بذلك<sup>(٢)</sup>.

إن هذا العرض يتناسب مع الجانب التاريخي لعبدالمطلب،  
وهكذا يمكن أن يتصور حتى من لم يقرأ هذه الروايات.

ولا أظن أنني بحاجة للوقوف عند تلك الروايات التي تصور  
عبدالمطلب يعرض ولده على المرضعات، وهن يرفضن، بل  
وتصرّح له المرضعات بأنهن لن يحصلن على الكرامة لأن والده  
غير موجود، ويقرهن على ذلك بصمته.

وأظن الراوي يجهل مقام عبدالمطلب في العرب، ولا  
يعرف عمن يتحدث.

ودونك الرواية لتقف على سقمها من قرب، وتأمل في هذا  
الحوار الذي دار بين عبدالمطلب وحليمة:

قال عبدالمطلب: يا حليمة، إن عندي غلاماً يتيماً، وقد  
عرضته على نساء بني سعد فأبين أن يقبلن، وقلن: ما عند اليتيم  
من الخير، إنما نلتمس الكرامة من الآباء، فهل لك أن ترضعيه،

(١) البحار، ج ١٥، ص ٣٧١.

(٢) البحار، ج ١٥، ص ٣٨٥.

فعى أن تسعدي به<sup>(١)</sup>.

لا شك أنك تخال أن الحوار كان بين رجل يجلس على قارعة الطريق، ولا يملك من الدنيا شيئاً، ويبحث عن مرضعة ترضع ولده بالمجان.

إنها روايات سقيمة، لا تنسجم مع ما اتفق عليه المؤرخون من جلالة عبدالمطلب، وسعة جاهه.

### وقفة مع الصورة المحرفة

لقد رسمت صورة البداية لحليمة مع النبي ﷺ عدة روايات، وهي تركز على نقاط أهمها:

- أن النبي ﷺ كان مزهوداً فيه ليطمه.
  - أن المرضعات كن مجموعة، وقد عرض عليهن فلم يقبلنه.
  - اضطرت حليمة لأخذ النبي ﷺ لأنها لم تجد غيره<sup>(٢)</sup>.
- وفي هذه الصورة المرسومة نقاش جلي، لا يغيب عن ذهن القارئ:
- هل كان رسول الله ﷺ يتيماً؟

لقد توفي عبدالله بالمدينة عند أخواله، وكان عمر النبي ﷺ

شهرين<sup>(٣)</sup>.

(١) السيرة الحلبية، ج ١، ص ١٤٧.

(٢) راجع مجمع الزوائد، ج ٨، ص ٢٢٠، السيرة الحلبية، ج ١، ص ١٤٧.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٣٩.

وأعتقد أن هذه الحقيقة التاريخية تنسف الخبر، وتمزق الصورة التي حاولت تلك الروايات رسمها.

- الرحلة الجماعية:

إن الصورة المرسومة تعرض مجموعة من النساء قد أقبلن في وقت واحد، من حي واحد، إلى بلد معين، ويخال إليّ أنني أقرأ خبراً لمجموعة من الصيادين يأتون في موسم التكاثر ليصطادوا ما يشاؤون.

إن طبيعة الولادة في البشر بعيدة عن هذا التصور، ولا أقول إنه ممتنع، ولكن سير الحياة الطبيعي يقتضي الولادة المتفرقة من الأمهات، ويستدعي وجود المرضعات في أوقات متفرقة، والذي يبدو أن حبكاً قصصياً استلزم هذه الإضافة.

- الاضطرار وما يصنع:

إن رجوع حليلة مضطرة، وأخذها للنبي ﷺ بتلك الصورة مما يستلزمه رسم المفاجأة غير المتوقعة، والبركة غير المحسوبة.

**وجاءت ساعة العودة**

لقد مكث رسول الله ﷺ في حي بني سعد خمس سنين<sup>(١)</sup>.  
وقيل أقل من ذلك<sup>(٢)</sup>، وقد شاهدوا من آياته ما بهر العقول، ودل

(١) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٠.

(٢) إمتاع الأسع، ج ١، ص ١٣.

على أن هذا الصغير في عمره صفوة مختارة، ودرّة منتجة.

لقد أصبح حي بني سعد يرى السعد في كل شيء من حوله، وخصت حليلة بالبركة، فكانت الرحمة تتلو الرحمة في دارها، ولكن لكل سفر أمداً، ولا بد أن ترد الأمانة إلى أهلها، فهم يتطلعون إلى ساعة عودته.

هذه أمه آمنة تنتظر أوبته، فهو وحيدها، وثمره فؤادها، وذلك جده يرى فيه دلائل النبوة، وعلقة السماء بالأرض، فيتمنى قربه.

### في حضن آمنة

وعاش رسول الله ﷺ في كنف أمه، بعد عودته من حي بني سعد سنة وثلاثة أشهر<sup>(١)</sup>، ثم جاء موعد الرحيل لزيارة قبر عبدالله في المدينة، فخرجت ومعها ولدها، وتصحبهم أم أيمن، وكان زعيم الركب عبدالمطلب، وقيل: أبو طالب هو الذي كان معهم.

فلما قضوا ما أرادوا، عادوا قاصدين رحاب مكة، فلما بلغوا منطقة الأبواء عاجل الموت آمنة، فكانت نهايتها هناك، فماتت ودفنت بعيدة عن وطنها<sup>(٢)</sup>، ولم تبلغ من العمر إلا ثلاثين سنة فقط، وفارقت ولدها وله من العمر ست سنين وثلاثة أشهر<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠.

(٢) معجم البلدان، ج ١، ص ٧٩-٨٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٠.



لقد عادت أم أيمن تحمله وتحتضنه، بعد خمسة أيام قضتها في الطريق نحو مكة.

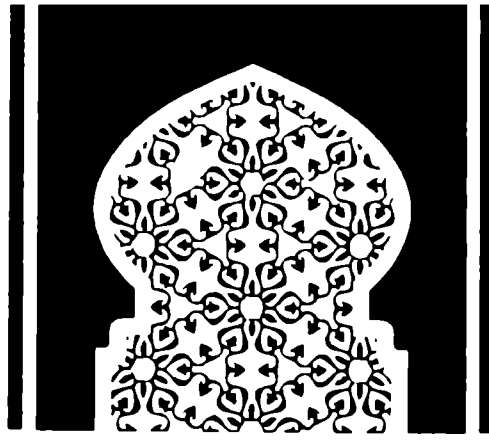
وخاطبها عبدالمطلب قائلاً:

يا بركة، لا تغفلي عن ابني، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة.

وكانت هذه المرحلة الأخيرة من عمر عبدالمطلب مع النبي الأكرم ﷺ، وقد امتدت سنة وتسعة أشهر فقط، يحوطه بعطفه وحنانه، فكان لا يأكل الطعام إلا قال: عليّ بابني، فيؤتى به إليه<sup>(١)</sup>.

(١) البحار، ج ١٥، ص ٤٠٢.





## الفصل الثالث



### قصص نبوية

#### مرض النبي ﷺ في صفره

لقد ذكر الإمام الباقر عليه السلام حدثاً وقع في زمان عبدالمطلب، وحدد عمر رسول الله ﷺ آنذاك، وهو اثنان وعشرون شهراً من يوم ولادته.

وتنصُّ الرواية على أن رمداً أصاب عيني الرسول ﷺ، فقال عبدالمطلب لأبي طالب: اذهب بابن أخيك إلى عرّاف الجحفة، وكان راهباً طبيباً في صومعته، فحمله غلام له في سفظ هندي، حتى أتى به الراهب، فوضعه تحت الصومعة، ثم ناداه أبو طالب: يا راهب، فأشرف عليه فنظر حول الصومعة إلى نور ساطع، وسمع حفيف أجنحة الملائكة، فقال له: من أنت؟ قال: أبو طالب بن عبدالمطلب، جئتك بابن أخي لتداوي عينه، فقال:

وأين هو؟ قال: في السفط قد غطّيته من الشمس، قال: اكشف عنه، فإذا هو بنور ساطع في وجهه قد أذعر الراهب، فقال له: غطّه فغطاه، ثم أدخل الراهب رأسه في صومعته فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله حقاً حقاً، وأنت الذي بشرّ به في التوراة والإنجيل على لسان موسى وعيسى، فأشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسوله.

ثم أخرج رأسه، فقال: يا بني، انطلق به فليس عليه بأس، فقال له أبو طالب: ويحك يا راهب، لقد سمعت منك قولاً عظيماً، فقال: يا بني، شأن ابن أخيك أعظم مما سمعت مني، وأنت معينه على ذلك ومانعه ممن يريد قتله من قريش.

لقد سمع أبو طالب هذه الأحاديث فعاد إلى أبيه عبدالمطلب وأخبره بذلك، فقال له عبدالمطلب: اسكت يا بني، لا يسمع هذا منك أحد، فوالله ما يموت محمد حتى يسود العرب والعجم<sup>(١)</sup>.

### إجلاله للنبي ﷺ

روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عبدالمطلب يفرش له بفناء الكعبة، لا يفرش لأحد غيره، وكان له ولد يقومون على رأسه، فيمنعون من دنا منه، فجاء رسول الله ﷺ وهو طفل يدرج حتى جلس على فخذيّه، فأهوى بعضهم إليه لينحّيه عنه،

(١) البحار، ج ١٥، ص ٣٥٨-٣٥٩.

فقال له عبدالمطلب: دع ابني فإن الملك قد أتاه<sup>(١)</sup>.

وفي المضممار ذاته بل هو قريب من الرواية ما يذكره ابن عباس، فقد قال:

كان يوضع لعبدالمطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد إلا هو إجلالاً له، وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج عبدالمطلب، وكان رسول الله ﷺ يخرج وهو غلام فيمشي حتى يجلس على الفراش، فيعظم ذلك على أعمامه، ويأخذونه ليؤخروه، فيقول لهم عبدالمطلب إذا رأى ذلك منهم: دعوا ابني فوالله إن له لشأناً عظيماً، إني أرى أنه سيأتي عليكم يوم وهو سيدكم، إني أرى غرته غرة تسود الناس، ثم يحمله فيجلسه معه، ويمسح ظهره ويقبله، ويقول:

ما رأيت قبلة أطيب منه ولا أظهر قط، ولا جسداً ألين منه، ولا أطيب منه، ثم يلتفت إلى أبي طالب - وذلك أن عبدالله وأبا طالب لأم واحدة - فيقول: يا أبا طالب، إن لهذا الغلام لشأناً عظيماً فاحفظه، واستمسك به، فإنه فرد وحيد، وكن له كالأم، لا يصل إليه بشيء يكرهه، ثم يحمله على عنقه فيطوف به أسبوعاً<sup>(٢)</sup>.

ويحدث العباس كذلك فيقول: كان عبدالمطلب أطول الناس قامة، وأحسنهم وجهاً، ما رآه أحد قط إلا أحبه، وكان له

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٤٨.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة، ص ١٧١ - ١٧٢.

مفرش في الحجر لا يجلس عليه غيره، ولا يجلس عليه معه أحد، وكان الندي من قريش حرب بن أمية فمن دونه يجلسون حوله دون المفرش، فجاء رسول الله ﷺ وهو غلام لم يبلغ فجلس على المفرش، فجبذه رجل فبكى؛ فقال عبدالمطلب - وذلك بعد ما كفَّ بصره-: ما لابني يبكي؟ قالوا له: إنه أراد أن يجلس على المفرش فمنعوه، فقال: دعوا ابني يجلس عليه، فإنه يحسُّ من نفسه شرفاً، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده<sup>(١)</sup>.

### بشائر النبوة ودلائلها

- كان النبي ﷺ قد بلغ من العمر خمس سنين، وقد قدمت المرضع به إلى عبدالمطلب، وكانت تأتي به في كل عام، فنظر إليه الكاهن مع عبدالمطلب، فقال: يا معشر قريش، اقتلوا هذا الصبي، فإنه يفرِّقكم ويقتلكم...

- ووفد قوم من بني مدلج فقالوا لعبدالمطلب: احتفظ به، فإننا لم نرَ قدماً أشبه بالقدم التي في المقام منه، فقال عبدالمطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء...

- وقال عبدالمطلب لأم أيمن - وكانت تحضن رسول الله ﷺ -: يا بركة، لا تغفلي عن ابني، فإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الأمة، وكان عبدالمطلب لا يأكل الطعام إلا قال:

(١) تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٥٤.

عليّ بابني، فيؤتى به إليه.

وهذه الأحداث يرى المؤرخون أنها مما وقع وعمر النبي ﷺ قد بلغ سبع سنين<sup>(١)</sup>.

- بينا عبدالمطلب يوماً في الحجر وعنده أسقف نجران - وكان صديقاً له - وهو يحادثه ويقول: إنا نجد صفة نبي بقي من ولد إسماعيل، هذا البلد مولده، من صفته كذا وكذا، وأتى رسول الله ﷺ فنظر إليه الأسقف وإلى عينيه وإلى ظهره وإلى قدميه، فقال: هو هذا، ما هذا منك؟ قال: ابني، قال الأسقف: لا، ما نجد أباه حياً، قال: هو ابن ابني، وقد مات أبوه وأمه حبلى به، قال: صدقت، قال عبدالمطلب لبنيه: تحفظوا بابن أخيكم، ألا تسمعون ما يقال فيه؟!<sup>(٢)</sup>.

### التماس عبدالمطلب لبركات النبي ﷺ

روي عن كندير بن سعيد عن أبيه قال: حججت في الجاهلية، فإذا أنا برجل يطوف بالبيت، وهو يرتجز ويقول:

يا ربّ رُدّ راكبي محمدا  
رُدّ إليّ واصطنع عندي يدا

فقلت: من هذا؟

(١) البحار، ج ١٥، ص ٤٠٢.

(٢) أبو طالب حامي الرسول ﷺ وناصره، ص ٧١.

قيل: هو عبدالمطلب بن هاشم، ذهبت إبل له فأرسل ابن ابنه في طلبها، ولم يرسله في حاجة قط إلا جاء بها، وقد احتبس عليه.

قال: فما برحت أن جاء النبي ﷺ، وجاء بالإبل، فقال له: يا بني، لقد حزنت عليك حزناً لا يفارقني أبداً<sup>(١)</sup>.

(١) الدر النظيم، ص ٨٠ - ٨١.





## الباب الخامس



### ألم تر كيف فعل ربك؟

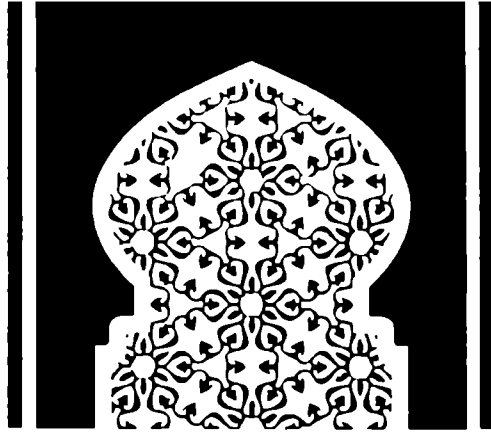
● ما الذي حرَّك جيش أبرهة؟

● وجاء أبرهة بجيشه

● إن للبيت رباً يحميه

● هوامش لا بد منها





## الفصل الأول



### ما الذي حرَّك جيش أبرهة؟

ملوك عاصرهم عبدالمطلب

إن تفاصيل الحوادث المرتبطة بعبدالمطلب عليه السلام تدعونا إلى ذكر المفاصل المهمة للسياسة الذين عاصروه؛ فإننا سنقرأ في مطاوي البحث وقفات له مع بعض الملوك، ولا بد أن نكون على اطلاع بسيط وموجز لنسير مع السيرة المباركة سيراً صحيحاً.

فقد عاصر نهاية اليهود في اليمن، ثم شهد قيام دولة النصارى بعد استيلاء الحبشة عليها، ثم عاصر سقوط دولة الحبشة وتملك سيف بن ذي يزن.

أولاً: ذو نواس اليهودي

وهو امتداد لملوك حمير، استولى على الحكم بقتل ملك

حمير الظالم، وملّكه الحميريون عليهم لذلك، ثم تهوّد وسمّي نفسه يوسف، وكان شديد البطش، ويكفي أنه قاتل أصحاب الأخدود<sup>(١)</sup>.

وقد دوّن مجزرتة الرهبة على جبل حماطة، وترجمت الكتابة فكان في ضمنها التوقيت للواقعة، والتي حصلت قبل الهجرة بمئة سنة تقريباً، وقد قتل ١٢٥٠٠ رجل، وسبى ١١٠٠٠ امرأة<sup>(٢)</sup>.

وكان ذلك سبباً لهجوم الأحباش على اليمن، والاستيلاء على الحكم من بعدهم.

### ثانياً: ملوك دولة الأحباش

لقد اعتذر المؤرخون اعتذاراً حسناً حينما قدّموا بين يدي أبحاثهم أن تاريخ الأحباش في اليمن تكتفه الضبابية<sup>(٣)</sup>.

### مدة الحكم

ذكر الطبري أن مدة حكمهم اثنتان وسبعون سنة، وشاطره الرأي عدد من المؤرخين<sup>(٤)</sup>.

(١) الموسوعة العربية، ج ٩، ص ٦٥٤، نسخة كمبيوترية.

(٢) راجع جريدة عكاظ ٤ / ٤ / ١٤٣١ هـ، العدد ٣١٩٨.

(٣) راجع المعارف، ص ٦٣٨.

(٤) راجع تاريخ الطبري، ج ١، ص ٥٥٨، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٥٠ وغيره.

وملوكتهم أربعة، وهم:

١- أرياط.

٢- أبرهة.

٣- يكسوم بن أبرهة.

٤- مسروق بن أبرهة<sup>(١)</sup>.

وقد اختلف المؤرخون في تقسيم السنوات على هؤلاء الأربعة، ولا داعي للخوض في ذلك، وأكتفي بما أفاده صاحب المفصل:

إن عدد سنين حكم الأحباش فيه مبالغة وزيادة، إذا ما اعتبرنا نهاية حكمهم في حوالي سنة ٥٧٥ م<sup>(٢)</sup>.

ولقد انتهى حكم الأحباش، وسقطت دولتهم على يد الفرس، وعاد الحكم بعد ذلك إلى الحميريين.

### سيف بن ذي يزن

وعلى يديه عاد الحكم إلى الحميريين، وسنقرأ عنه مفصلاً عند ذكر وفادة عبدالمطلب ﷺ عليه.

### أبرهة الحبشي

لقد اتفق المؤرخون على أن أبرهة جاء من الحبشة في

(١) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٥٥٨.

(٢) راجع المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ٢١٥.

الجيش الذي بعثه النجاشي لحرب ذي نواس، ولكنهم اختلفوا في مكانته في هذا الجيش.

فهل كان أبرهة جندياً تحت قيادة أرياط<sup>(١)</sup>؟ أم أنهما كانا أميرين للجيش<sup>(٢)</sup>؟

إن المؤرخين مختلفون في ذلك، وإن كان أكثرهم على القول بأن أبرهة كان تحت إمرة أرياط، وهذا ما يساعده سير الأحداث بعد ذلك.

لقد كانت تلك الأحداث في زمان ملك الحبشة المسمّى «كالب» ويعرفه الواقدي بأنه جد النجاشي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وللمؤرخين حديث مفصل ومتعدد في عرض الأحداث التي انتهت بقتل أرياط وتولي أبرهة، ولا أجد حاجة لذكر ذلك، وإنما يهمنا أن الأمور قد سارت حتى وصل أبرهة للحكم.

### شخصية أبرهة

لم يكن أبرهة شخصاً عادياً كما قد يتصور، بل كان صاحب

(١) تفسير السمرقندي، ج ٣، ص ٥٩٣، تاريخ يعقوبي، ج ١، ص ١٩٩، تاريخ

الطبري، ج ١، ص ٥٤٦، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٣١.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٥٨٧.

(٣) بحار الأنوار، ج ١٥، ص ١٣٣، تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٤٢.

شهرة واسعة، ومكانة كبيرة، وقد تضخمت شخصيته حتى أحيط بالأساطير.

ويكفينا للتعرف على مكانته التي كان يشغلها أن لبيد بن ربيعة العامري قد ضرب به المثل في وجوب الاتعاظ بهذه الدنيا الفانية التي لا تدوم لأحد، فقال:

لو كان حيُّ في الحياةِ مخلِّداً  
في الدهرِ ألفاه أبو يكسومِ  
والتُّبَّعَانِ كلاهما ومحرقُ  
وأبو قيسِ فارسُ الـيحمومِ<sup>(١)</sup>

والمعني بأبي يكسوم أبرهة الحبشي، فقد كان له ولد يدعى يكسوم.

ولقد بلغ أبرهة من المكانة أن وفدت إليه الوفود من النجاشي، وملك الروم، وملك فارس، ومن المنذر، والحارث بن جبلة ملك الغساسنة، ومن أبكر بن جبلة عامل قيصر يوسطيانوس على فلسطين، ومن رؤساء القبائل.

ولا يخفى على القارئ مقدار المعاناة التي تحملها أولئك يوم قطعوا المسافات الطويلة عبر الصحراء أو فوق البحار حتى وصلوا لليمن.

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ١٧٣.

إن في هذا الأمر إشعاراً بأهمية أبرهة سياسياً، فإن الحضارات الكبرى في زمانه كانت تقيم له وزناً، وتتعامل معه تعاملًا يحمل في طياته علامات التقدير.

ولعل القارئ يسأل عن سبب مكانته التي يستحق بها كل هذا التعامل السياسي، فتجيبه النظرة التأملية للبلاد التي كان يحتلها، فلقد كان مسيطراً على البحر الأحمر وفمه عند باب المندب، وعلى المحيط الهندي.

ولهذا فلا نتعجب من تلقيبه نفسه بألقاب الملوك التي كان يتلقب بها ملك اليمن، وكان في تسميته لنفسه وألقابه ما يبين مقدار سلطانه، فقد كان يكتب في التعريف بنفسه هكذا:

«ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت (اليمن) وأعرابها في الطود (الهضبة) وفي تهامة (المنخفضات)».

وكان ملكه يمتد إلى مجموعة من القبائل العربية، وقد تمرّد عليه بعضها، ومنها: بنو عامر، ومراد، ومعد، وتعددت القيادات المشاركة في إخماد تمرّدهم. فقبيلة معد كانت خاضعة لحكم الحميريين، وقد تمرّدت هذه القبيلة على أبرهة، فسار إليها في قوة لتأديبها، وبلغ منها مأربه، وكان ذلك سنة ٥٤٧ م.

وفي هذا النقل التاريخي ما يكفي القارئ لمعرفة امتداد سلطانه، وتعدد الخاضعين له.



لقد ترك أبرهة كتابة على سد مأرب بعد تشييده، وقد أصبحت مستنداً في تحديد الأحداث، وتتألف هذه الكتابة من ١٣٦ سطراً، ومن حوالي ٤٧٠ كلمة، وتحدث عن ترميم سد مأرب الذي قام به أبرهة منذ سنة ٥٤٢م، وحتى سنة ٥٤٣م، وتحدث عن افتتاح أبرهة لكنيسته المعروفة، عندما كانوا يحضرون لبناء سد مأرب، وذلك سنة ٥٤٢م.

وقد افتتح هذه الوثيقة بعبارات تعبر عن ديانته المسيحية القائلة بالتثليث، فقد قال:

بحول وقوة ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطروا  
هذه الكتابة...

وفي نص آخر افتتح كلامه بجملة مشابهة، وهي: بحول  
الرحمن ومسيحه<sup>(١)</sup>.

### أسباب تحرك أبرهة الأشرم

تعددت الروايات المتحدثة عن السبب الذي دعا أبرهة  
للتحرك من اليمن قاصداً نحو البيت الحرام.

وتعددت كذلك تحليلات المؤرخين المتأخرين، والذين  
حاولوا أن يفهموا الحدث بشكل أبعد مما تذكره الروايات،

(١) راجع المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ١٧٠ وما بعدها،  
وحديثه مفصل عنه.

وسنحاول أن نعرض الأمرين، ولا أعتقد إمكانية القطع والجزم بأحد هذه الأسباب، ولكن تبقى احتمالات ومؤشرات.

## أولاً: الروايات تحكي سبب التحرك

### الرواية الأولى

وتقول: إن أبرهة لما استتمّ بنيان القليس كتب إلى النجاشي: إنني قد بنيت لك -أيها الملك- كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك، ولست بمنتبه حتى أصرف إليها حج العرب.

فلما تحدث العرب بكتاب أبرهة الذي أرسله إلى النجاشي غضب رجل من النساء<sup>(١)</sup> أحد بني فقيم بن عدي الكناني، فخرج الفقيمي حتى أتى القليس، وقعد فيها -يعني: أحدث- وأطلى حيطانها، ثم خرج حتى لحق بأرضه، فأخبر أبرهة فقال: من صنع هذا؟ ف قيل له: هذا فعل رجل من أهل البيت الذي تحج إليه العرب بمكة؛ لما سمع قولك: أصرف إليها حج العرب، غضب فجاء فقعد فيها، أي أنها ليست لذلك بأهل، فغضب أبرهة، وحلف

(١) هم الذين كانوا ينسئون الشهور على العرب في الجاهلية، أي يحلون فيؤخرون الشهر من الأشهر الحرم إلى الذي بعده، ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل، ويؤخرون ذلك الشهر، مثاله أن المحرم من الأشهر الحرم فيحللون فيه القتال ويحرمونه في صفر، وفيه قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾.

ليسيرنَّ حتى يهدمه<sup>(١)</sup>.

إن أبرهة كان قد عزم على توجيه الحج نحو الكنيسة التي بناها، وقد سعى لإنجاح مخططه بأن توجَّج محمد بن خزاعي، وأمره على مضر، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حج القليس، كنيسة التي بناها، فسار محمد بن خزاعي، حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة - وقد بلغ أهل تهامة أمره، وما جاء له - بعثوا إليه رجلاً من هذيل، يقال له: عروة بن حياض الملاصي، فرماه بسهم فقتله، وكان مع محمد بن خزاعي أخوه قيس، فهرب حين قتل أخوه، فلحق بأبرهة، فأخبره بقتله، فزاد ذلك أبرهة غضباً وحنقاً، وحلف ليغزون بني كنانة وليهدمنَّ البيت<sup>(٢)</sup>.

### تعقيب

إن الروايتين ذكرهما الطبري كرواية واحدة، وقد تجد من الكتاب من يفصل بينهما.

وهما تشتركان في كون السبب المحرّك لأبرهة هو الوقوف بوجه مشروعه الذي كان ينوي تحقيقه، وهو تحويل الأنظار من الكعبة المشرفة إلى كنيسة بصنعاء.

ويمكننا أن نقول: إن الخطوة الأولى كانت بناء الكنيسة

(١) معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٢) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٥٥٠ - ٥٥١.

والخطوة الثانية كانت بتعيين زعيم لمضر، ومعهم أهل مكة، فإذا ما ضمن توجه المضريين وأهل مكة نحو صنعاء فقد ضمن نجاح مشروعه؛ لأن العرب ستبعضهم.

ولا شك أنك قد رأيت ملامح المشروع الذي كان ينوي أبرهة تحقيقه، فقد خطأ خطوتين واضحتين فيه، وكانت ردود الفعل أمام مشروعه واضحة ومقصودة، فما عمل الكناني إلا رسالة موجهة لأبرهة، تقول له: إن الكنيسة لا تستحق أن تقصد بالعبادة، وكذلك كان قتل ابن خزاعي، فقد كان قتله رسالة تحمل في طياتها رفض الانصياع والانقياد لحكم أبرهة، وهو رفض لدخول منطقة مكة تحت حكم أحد.

لقد أراد أبرهة بعمله أن يكسر إحدى مميزات مكة المكرمة وهي أنها أرض لا تخضع لحكم أحد قط، وتسمى عندهم باللقاح.

يقول الشاعر:

أبا مطر هلمَّ إلى صلاح  
فتكفيك الندامى من قريش  
وتأمنُ وسطهم وتعيشُ فيهم  
أبا مطرٍ هُدَيْتَ بخيرِ عيشٍ  
وتسكنُ بلدةً عزَّتْ لِقَاحاً  
وتأمنُ أن يزورك ربُّ جيشٍ<sup>(١)</sup>

وروي أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر في الجاهلية

(١) لسان العرب، ج ٢، ص ٥١٧.

فتوجه وولاه أمر مكة، فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا الملك، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى: ألا إن مكة هي لقاح لا تدين لملك، فلم يتم له مراده<sup>(١)</sup>.

ويمكن لنا أن نتعرف على بعض ملامح المشروع بما ذكر من نشاطات كان الأحباش يقومون بها في سبيل نشر النصرانية بين الناس، وبناء الكنائس، ويحدثنا قزما الرحالة (cosmas indicopleustef) في نحو سنة ٥٣٥ م - أي بعد اندحار ذي نواس - عن كثرة الكنائس في العربية السعيدة، وعن كثرة الأساقفة والمبشرين، الذين بشروا بين الحميريين والنبط وبني جرم. وقد ورد أن القيصر يوسطين «جستين» كان قد أرسل كريكنيتوس من الإسكندرية إلى ظفار؛ ليكون أسقفاً على نصاراها<sup>(٢)</sup>.

إن هذا المقطع التاريخي يضيء لنا ناحية مهمة من المشروع، فإن أبرهة كان يسعى لكسب أهل مكة في جانبه، من خلال التبشير بالمسيحية، وحينما ينضمون لدينه، يصبحون أتباعاً لمملكته، ولهذا فإنه حينما أخفق في ذلك اتخذ إجراءه الآخر بشن الحملة على البيت الحرام لتقويض أركانه، فكانت عاقبته أسوء عاقبة.

## الرواية الثانية

هناك من الروايات ما يصور القضية تصويراً يحتمل نوعاً من

(١) أديان العرب في الجاهلية، ص ٢٤.

(٢) راجع الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ١٩٦.

البساطة، فتقول تلك الروايات: إن فتية من قريش دخلوا القليس، فأججوا فيها ناراً، وكان يوماً فيه ريح شديدة، فاحترقت، وسقطت إلى الأرض، فغضب أبرهة<sup>(١)</sup>.

ويفصّل الخبر آخرون فيقولون:

إن فتية من قريش خرجوا تجاراً إلى أرض النجاشي، فساروا حتى دنوا من ساحل البحر<sup>(٢)</sup>، وفي حقف من أحقادها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل، ويسميها النجاشي وأهل أرضه ماسرخشان، فنزل القوم فجمعوا حطباً، ثم أججوا ناراً فاشتتوا لحماءً، فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف، فذهبت الرياح بالنار فاضطرم الهيكل ناراً، فغضب النجاشي لذلك، فبعث أبرهة لهدم الكعبة<sup>(٣)</sup>.

### تعقيب

إن هذه الروايات تصور الحدث أمراً عابراً، لا يحمل أي بعد سياسي أو ديني، فلا الفتية كانوا قاصدين بعملهم هدفاً معيناً، ولا أبرهة يتجاوز تصرفه التفاعل غير المناسب، والذي يعتبر على

(١) المفصل، ج ٦، ص ٢٠٠.

(٢) ليس المقصود أنهم عبروا البحر إلى أرض الحبشة، ولكن يبدو أنهم يريدون أن الركب نزل عند الساحل في شبه الجزيرة العربية، والمقابل للحبشة، فإن قسماً من الكتاب ظن أن الحادثة كانت في أرض الحبشة.

(٣) البحار، ج ١٥، ص ١٣٧.

أساسه شخصاً أهوج التفكير.

وأظنك قد لمحت ما تريد الرواية أن تقوله من كون أبرهة تابعاً للنجاشي، وهو تصور بعيد عن التحقيق التاريخي.

### ثانياً: وللمؤرخين تحليل آخر

وتعتمد هذه التحليلات على التأمل في الأحوال السياسية التي تحكم ذلك الزمان، فإن اليمن لم تكن بلاداً منقطعة عن البلدان الأخرى، ولم يكن أبرهة شيخاً من شيوخ القبائل، بل هو ملك يرتبط بالدول المحيطة، وله علاقة بالروم والفرس والحبشة.

إن شخصاً بهذه المنزلة لا يمكن التعامل مع تحركاته بسذاجة وبساطة، وخصوصاً أننا نعرف أن تحالفات كانت قائمة حينئذ، فالروم ترتبط بالحبشة من حيث وحدة الديانة، وقد بلغ التحالف مقداراً واضحاً، فإن حادثة الأخدود قد أخذت مأخذها من قلوب النصارى، وجاء رجل من أهل نجران، حتى قدم على ملك الحبشة، فأعلمه ما ركبوا به، وأتاه بالإنجيل وقد أحرقت النار بعضه، فقال له: الرجال عندي كثير، وليست عندي سفن، وأنا كاتب إلى قيصر في البعثة إليّ بسفن أحمل فيها الرجال، فكتب إلى قيصر في ذلك، وبعث إليه بالإنجيل المحرق، فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة<sup>(١)</sup>.

(١) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٤٥٠.

## عرض التحليل

لقد كان أبرهة الأشرم بصدد مشروع خطير، يتم من خلال هدم الكعبة والاستيلاء على مكة المكرمة، ويتمثل مشروعه في ربط الروم بحلفائها من الحبشة، وخصوصاً بعدما تحولت اليمن إلى مستعمرة للحبشة، تتبعها بالاسم ولكنها مملكة نصرانية كذلك.

إن ذلك يحقق حلم الإسكندر الأكبر وأغسطس ومن فكر في الاستيلاء على هذا الجزء الخطير من العالم من بعدهم.

إن نجاح هذا المشروع يعني تغير الوضع السياسي في شبه الجزيرة العربية من غير شك.

ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، فإن مكة التي أريد هدمها هي التي هدمت ملك الحبشة في اليمن، وملك من جاء بعدهم لنجدة أهل اليمن، وملك البيزنطيين في بلاد الشام وملك الفرس في العراق وفي كل مكان<sup>(١)</sup>.

إن ما دونّه التأريخ يعارض هذا القول، ويشير إلى أن أبرهة لم يكن تصرفه انفعالياً غير مدروس، فقد نقل التاريخ أنه قال: إذا قضيت قضائي من تهامة سرت حتى أغير على أهل نجد، وصادف ذلك قوله طرفة بن العبد، وهو يومئذ بنجران، فلما رأى تلك

(١) راجع المفصل، ج ٦، ص ١٩٣، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢٠٨.



العدة، وسمع ما يقول الأشرم، إنه يغير على نجد، قال أبياتاً، فبعث بها إلى قتادة بن مسلمة الحنفي، وهي هذه:

ألا أبلغا قتادة الخير آية  
 فإن الحذر لابد منجيكاً  
 بنجران ما قضى الملوك قضاءهم  
 فليت غراباً في السماء يناديكاً  
 فريقان آت كعبة الله منهم  
 وآخر إن لم تقطع البحر آتيكاً<sup>(١)</sup>

إن السبب مرتبط بمشروع سياسي خطير من المشروعات العالمية القديمة، والتي وضعها ساسة العالم للسيطرة على الطرق الموصلة إلى المياه الدافئة، وإلى الأراضي المنتجة لأهم الموارد المطلوبة في ذلك العهد.

إنها خطة ترمي إلى ربط اليمن ببلاد الشام؛ لجعل العربية الغربية والعربية الجنوبية تحت حكم النصرانية؛ وبذلك يستفيد الروم والحبش - وهم نصارى وإن اختلفوا مذهباً - ويحققون لهم بذلك نصراً سياسياً واقتصادياً كبيراً، فيتخلص الروم بذلك من الخضوع للأسعار العالمية التي كان يفرضها الساسانيون على السلع التجارية النادرة المطلوبة التي احتكروا بيعها لمرورها ببلادهم، إذ سترد إليهم من سيلان والهند رأساً عن طريق بلاد

(١) كتاب المنق، ص ٧١.

العرب، ويكون في إمكان السفن البيزنطية السير بأمان في البحار العربية حتى سيلان والهند وما وراءهما من بحار.

ولا يحاول هذا الرأي نسف ما ذكره المؤرخون، ولكن يقول لا بد من عدم الجمود عنده، ولا بد من السعي إلى ما وراء هذا الحدث، ولذلك فقد قال صاحب المفصل: قصة تدنيس القليس قد تكون حقيقية، وقعت وحدثت، وقد تكون أسطورة حيكت ووضعت على كل حال، وفي كلتا الحالتين فلا يعقل أن يكون السبب المباشر الذي دفع النجاشي إلى السير إلى مكة لهدم البيت ونقضه من أساسه ورفع أحجاره حجراً حجراً على نحو ما يزعمه أهل الأخبار، بل يجب أن يكون السبب أهم من التدنيس وأعظم، وأن يكون فتح مكة بموجب خطة أهم عندهم من فكرة تهديم البيت وتخريبه<sup>(١)</sup>.

### وقفه مع الدكتور حسين مؤنس

لقد كتب هذا المؤرخ حول السبب المحرّك لأبرهة نحو بيت الله الحرام، وكانت كتابته تتسم بالسطحية الغريبة، والتي لا تتوقع من مثله، وسأذكر ما كتبه بعد أن وصم تفسير الرواة لهذا الحدث بالسذاجة، فقد قال:

وأبرهة لم يكن يريد هدم البيت لأنه بيت الله الحرام الذي بناه إبراهيم عليه السلام، فما كان له بذلك علم، ولو علمه وأيقن به لما

(١) راجع: المفصل، ج ٦، ص ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٣، ٢٠٧، ٢٠٨.

فكّر في هدمه، وهو المسيحي الذي يعرف عن إبراهيم عليه السلام أحسن مما يعرف عبدالمطلب - وفي العهد القديم - ولا بد أن يكون أبرهة على علم به إذا كان مسيحياً تقياً يبني الكنائس كما تقول النصوص.

وليس من المعقول أن رجلاً يبلغ به الإخلاص للمسيحية أن يبني كنيساً في نجران ثم يقدم على هدم بيت بناه نبي الله إبراهيم الخليل، ولكن أبرهة أتى ليهدم بيتاً قيل له: إنه رمز الوثنية ومجمع الأوثان.

ثم يقول عنه: إن أبرهة كان ملكاً يوسّع ملكه، ويريد الناس جميعاً أن يدخلوا في دينه، ويصلّوا في الكنائس، فأحب أن يقضي على ذلك الحج الوثني في رأيه، دون أن يعلم أنه بيت الله الذي بناه إبراهيم عليه السلام فردّه الله سبحانه عن ذلك بما أرسل على جيشه حفاظاً على بيته المكرم<sup>(١)</sup>.

ألا فاعجب معي - أيها القارئ - من هذا المؤرخ، الذي يكتب بقلم صحفي عادي، يتوقع دون دليل، ويستنتج دون مقدمات صحيحة.

إن المعالجة التي قام بها للحدث لم تكن موفقة، وهلم معي لنلاحظ عليه الهفوات التي لا تغتفر:

(١) راجع تاريخ قريش، ص ١٥٧-١٥٨.

أولاً: لقد افترض في أبرهة السذاجة الكاملة، مع أنه رجل قد احتل مكانة سياسية عالية، ولم يكن جديداً في الحكم ليرتكب هذه حماقة، فادعى أنه لا يعرف أن الكعبة قد بناها إبراهيم الخليل عليه السلام فما أعجب هذا القول في ملك قد ملك أربعين سنة، ولا يعرف عن المناطق المجاورة شيئاً، بل ويجهز جيشاً جراراً لهدم بيت لم يعلم عنه شيئاً.

إن التفكير بالعقل السياسي يرفض هذا القول جملة وتفصيلاً، ويعتبره هرطقة لا قيمة لها.

ولو تنزلنا مع هذا القول، وافترضنا هذه الفرضية، فإن التاريخ لا يوافقنا على ذلك، فإن أبرهة بعث حناطة الحميري إلى مكة رسولاً، ليلتقي بسيد مكة فجاء إلى عبدالمطلب فقال له: إن الملك يقول لكم: إني لم آتٍ لحربكم، وإنما جئت لهدم البيت؛ فإن لم تعرضوا دونه بحرب، فلا حاجة لي بدمائكم.

فأجابه عبدالمطلب برسالة يحملها لأبرهة فقال: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة؛ هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم (١).

لقد وضع عبدالمطلب هوية البيت بما لا مزيد عليه، فالبيت بيت الله وبيت خليله إبراهيم عليه السلام.

(١) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٥٥٢ - ٥٥٣.

ثانياً: لقد افترض من عند نفسه أن أبرهة كان يسعى لهدم معبد الأوثان ومجمعها، ولو كان يفكر بعقلية المؤرخ، ويستعمل أدواته لرجع إلى التاريخ ليعرف صحة كلامه من خطئه.

ألم يعلم هذا المؤرخ الشهير أن أبرهة في مسيره نحو مكة قد مرَّ بالطائف فخرج له مسعود بن معتب في رجال ثقيف لإبعاد أبرهة عن معبدهم، والذي كان محلاً للتلذذات؟! (١).

وكانوا يريدون أن يجعلوه منافساً للكعبة الغراء، وقد قيل له: إن ههنا بيتاً للعرب تعظمه، فما باله يمر على معابد الأوثان والأصنام فيتركها، ويجعل همته على البيت الحرام؟!!

ثالثاً: لقد غاب عن الكاتب أن أبرهة كان ممن يقول بالتثليث، وهو ما كشفت الآثار، حيث يفتح كتاباته بالرحمن ومسيحه وروح القدس (٢)، وقد روي في كتاب المنمق أنه كان يأمر بالسجود للصليب (٣).

وهذا يعني أن الرجل لا يلتقي مع إبراهيم الخليل عليه السلام في خط توحيد، ولا يعجبه أن تكون العبادة لله وحده، بل يريد أن

(١) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٥٥٢، لقد روى أن مسعود قال له: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد - يعنون اللائ - إنما تريد البيت الذي بمكة - يعنون الكعبة - ونحن نبعث معك من يدلك، فتجاوز عنهم.

(٢) المفصل، ج ٦، ص ١٧٣-١٧٤.

(٣) كتاب المنمق، ص ٧٢.

تكون العبادة تثليثية، ولهذا فلا تعارض بين أن يبني معبداً للتثليث، ويسعى لهدم بيت التوحيد، بل هذا العمل منسجم تمام الانسجام عند من يعرف المعطيات التاريخية.

رابعاً: لو كان أبرهة شخصاً يحمل كل هذا الإخلاص، وقد انطوت نفسه على كل هذه النوايا الحسنة، فهو بصدد مشروع توحيدي عظيم يزيل به الأصنام عن البيت الحرام، فكيف كان جزاؤه من الله سبحانه وتعالى الرمي بحجر السجيل؟!

إننا هنا أمام طريق قد تسمع فيه صوت المشركين يقولون إن هبل المنصوب على الكعبة قد رد أبرهة، ورماه بالعذاب، فقد كان يسعى لهدم البيت وهدم الأصنام من حوله.

إن الكاتب دوّن تصوره وكأنه يكتب عن ملحمة من ملاحم الموحدين لله تعالى، والباذلين مهجهم في سبيله، فأصبح أبرهة في نظر القارئ مسكيناً، حملته نيته الحسنة، وعقيدته الصحيحة إلى أن يسلك هذا الطريق، فما قدّرت السماء عمله، وكافأته شر مكافأة يوم أرسلت له شكرها محملاً بطير أباييل ترميه بحجارة من سجيل.

وختاماً أقول: يا لبؤس الخذلان يوم وازن بين أبرهة وعبدالمطلب، فاعتبر أبرهة أكثر معرفة من عبدالمطلب بإبراهيم عليه السلام، وما علم أن عبدالمطلب هو المسمى بإبراهيم الثاني، وما لمؤرخ عذر حينما يكتب دون أن يقرأ ما قاله المؤرخون من قبله.

## وقفه تأمل

إن مخططاً بهذه الضخامة والسعة، سيحوّل المسيحية إمبراطورية لا تقاوم، فمن الواقف في وجهها؟ وإن شخصاً بحجم أبرهة الأشرم مرهوب فهو ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت واليمن وأعرابها في الهضبة وتهامة، فمن المبارز له؟

إن قائد حملة المواجهة، والمتصدي لهذا التخطيط العظيم بطل التوحيد، وحجة الله في أرضه سيدنا عبدالمطلب ﷺ.

إنني - وأنت معي أيها القارئ - لا نملك إلا أن نقف إجلالاً لشيبة الحمد، ووارث أمجاد الآباء الأكارم، ومعيد موقف إبراهيم ﷺ يوم وقف أعزل أمام نمرود، وسلاحه خالص توحيده.

إن حركة الإسلام ونجاحه مدين لهذا البطل الذي أبقى المنطقة حرة لا تخضع لإمبراطورية الشرق والغرب، فإن صوت مناجاته قد سمعه التاريخ ووعاه، وهو عند البيت الحرام طالباً من الله سبحانه وتعالى النصر وعينه ممدودة نحو الأفق، ينتظر ما تتمخض عنه السماء من الأعاجيب، فكان ما سرّ به الموحدون.

## إجابة لتساؤل مرتقب

لم تكن هذه المواجهة التي حسمت السماء أمرها مواجهة بين ديانيتين سماويتين صحيحتين.

إن أبرهة الأشرم لو كان يسعى لنشر المسيحية الحققة لما كان

هدفه هدم البيت الحرام، ولاكتفى باحتلال مكة المكرمة للدعوة إلى دين المسيحية، وكان بذلك بطلاً من أبطال الدعوة إلى الله عز وجل، واستوجب الشكر والثناء على السنة الموحدية.

ولكن أبرهة كان يعتقد بالتثليث ويأمر بالسجود للصليب من دون الله تعالى<sup>(١)</sup>، وقد جاء لينشر شركيات في بلاد الحنيفية، وسعى ليحل التثليث مكان التوحيد، وأراد أن يبعد بقية النبوة وحملة الدعوة الإبراهيمية الموحدة ويجعل مكانها دعوات شركية.

إنها مواجهة الحق والباطل، فهذا عبدالمطلب ممثل خط الموحدية وزعيم مكة والقائم بأمر الكعبة، وذلك أبرهة المنحرف عن عقيدة عيسى بن مريم عليه السلام.

لقد أراد أن يزيع عبدالمطلب عن مكانه، وأن يسلم الرئاسة لابن خزاعي، فيتولى البيت منحرف يسير بالناس نحو الهاوية، وتنطفئ بذلك شعلة أوقدها إبراهيم عليه السلام يوم جاء بذريته لوادٍ غير ذي زرع، فكانت السماء فيصل الأمر والحاكم في القضية فأردت عدو الله صريعاً يتعل الخيبة، ويرتدي الذل والهوان يوم جعلته وأصحابه كعصف مأكول.

### نقطة مثيرة

تساؤل يطرح نفسه بين يدي الرواية التي تنص على أن أبرهة

(١) كتاب المنمق، ص ٧٢.



قد اختار لرئاسة مضر شخصاً اسمه محمد بن خزاعي، ولكي ينجلي الغموض عما أريد الإشارة إليه أذكرك -عزيزي القارئ- بما عرف عن العرب من أنهم لما علموا ببعثة نبي يكون اسمه محمداً سَمَّوا أبناءَ لهم بمحمد رجاء أن يكون هو المبعوث من العرب<sup>(١)</sup>، وقد عد الصفدي<sup>(٢)</sup> أشخاصاً ممن سَمَّوا رجاء ذلك، فكان منهم محمد بن خزاعي، بل نص صاحب فتح الباري على ذلك، فروى عن محمد بن إسحاق، قال: سمي محمد بن فزاعي طمعاً في النبوة<sup>(٣)</sup>.

وأظنك قد سبقتنني بفكرك نحو ما أريد، فإن الرجل محل طمع في النبوة، وقد جاء لأبرهة صاحب المطامع، وكان على دين النصراني، فاختر له أبرهة رئاسة مضر، حتى قال فيه أخوه قيس:

فذلكم ذو التاج منا محمداً  
ورايته في حومة الموت تخفق<sup>(٤)</sup>

إن الأمر لو تم لأبرهة لأصبح محمد بن خزاعي رئيس مضر، وشيخ مكة، وقد نصت البشارات على مكان ظهور النبي المرتقب والذي حمل اسم محمد ﷺ، فإن كان النبي الموعود

(١) قاموس الرجال، ج ٩، ص ٩٢.

(٢) الوافي بالوفيات، ج ١، ص ٦٢.

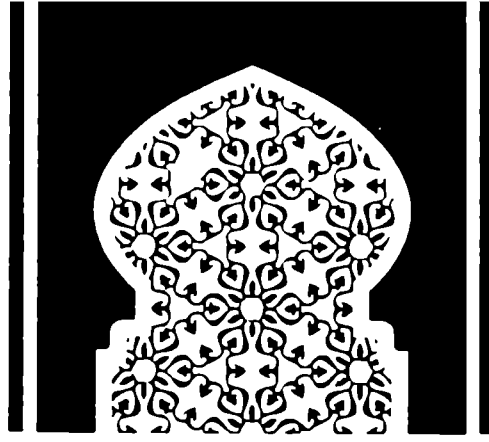
(٣) فتح الباري، ج ٦، ص ٤٠٥ وكذلك نص عليه محمد بن سعد في الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٦٩.

(٤) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ١٦٩.

به اسمه محمد فاسم ابن خزاعي محمد، وإن كانت دعوته في مكة فهذا ابن خزاعي يدعو في مكة.

لقد تمت عناصر التخطيط لهيمنة كبرى، ولتحريف عظيم لمواعيد السماء، فها هي أزمة الرسائل تكاد أن تكون في مهب الريح، ولكن السماء كانت بالمرصاد، فقد بعثه أبرهة عيناً له في نفر، فأشرفوا على جبل، وأرسل الله عليهم صاعقة فهلكوا أجمعون<sup>(١)</sup>.

(١) كتاب المنق، ص ٧٣.



## الفصل الثاني



### وجاء أبرهة بجيشه

#### جيش أبرهة

لقد جمع أبرهة فساق العرب، وسقطه من الناس ليكونوا وقود جيشه، وتبعته من القبائل خثعم، وهم يشكلون الأكثرية ممن تبعه، وعلى رأسهم نفيل بن حبيب الخثعمي، وبنو منبه بن كعب، ويشترك الفريقان في عدم تحريم الحرم، وكانوا لا يحجون البيت، وقد كان من بني منبه الأسود بن مقصود الذي يقول:

يا فرس اعدي بيه إذا سمعت التلبيه

ولا عجب في ذلك، فإنه كان ممن يقطع على الحاج والعمار

سبيلهم.

وأقبل معه كذلك رجالان من بني سليم، وكانا خليعين،

فلحقا بنجران، فأقبلا معهم، يقال لأحدهما محمد، وللآخر قيس،

ابنا خزاعي بن حزابة<sup>(١)</sup>.

وقد ضم جيشه كذلك قوماً من كندة، وأشير إلى اشتراك  
خولان والأشعرين فيها، وذكروا أن خندفاً كانوا ممن اشترك في  
جيش أبرهة، وكذلك خميس بن أد<sup>(٢)</sup>.

إن هذا التعداد يشير إلى أن عدداً كبيراً قد سار لهدم الكعبة،  
وخصوصاً إذا ما عرفنا أن السيطرة على مكة ليست الغاية، بل كانت  
المبتدأ، وسوف يثني بالذهاب لنجد، فإن في حساباته البسيطة أن هناك  
خسائر بشرية في الجيش ستقع، ولهذا فلا بد من أخذ الحيلة في الأمر.  
ولكن كل ما ذكرته احتمالات لا تعتمد على دليل ملموس،  
وليس بين يدي إلا بيت شعر لابن الزبعرى يذكر فيه عدد الجيش،  
فيقول:

سائل أمير الجيشِ عنها ما رأى  
فلسوف يُنبي الجاهلين عليمُها  
ستون ألفاً لم يؤوبوا أرضهم  
بل لم يَعش بعد الإيابِ سقيمُها<sup>(٣)</sup>

وربما كانت مبالغة الشعر قد جمحت به نحو هذا العدد، وربما  
كان العدد صحيحاً، لاختياره التعبير بستين ألفاً دون سبعين ألفاً.

(١) راجع كتاب المنق، ص ٧١-٧٢.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ٢٠٩.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٥٩٠.

### وسار أبرهة بجيشه

لقد تهيأ أبرهة للخروج، وقد أخذ معه الفيل، وتحرك جيشه قاصداً البيت الحرام.

وتناقلت الألسن ما يجري في اليمن من تحرك نحو هدم البيت الحرام، فأعظموا هذا الأمر، ورأوا أن جهاده حق عليهم، فكانت المواجهة الأولى مع رجل من أشرف اليمن وملوكهم، ويسمى بذي نفر.

### الموقف الأول: مع ذي نفر

لقد أهاب ذو نفر بقومه، ودعاهم، ودعا غيرهم لحرب أبرهة وجهاده عن بيت الله، فأجابه من أجابه لذلك، فكانت له مع أبرهة وقفة تقاتل فيها الفريقان، وكانت الهزيمة من نصيب ذي نفر وأصحابه، وأخذ ذو نفر أسيراً، فأتي به إلى أبرهة، فقال له ذو نفر: أيها الملك، لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون كوني معك خيراً لك من قتلي، فقبل أبرهة بذلك، وحبسه عنده في وثاق<sup>(١)</sup>.

وقد خالف الواقدي المؤرخين فزعم أن (ذا نفر) قد خرج مع أبرهة مشاركاً له في الحرب<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٥٥٢، ومصادر الخبر متعددة في كتب التاريخ والتفسير.

(٢) إمتاع الأسماع، ج ٤، ص ٧٣.

## الموقف الثاني: مع الشعراء

لقد تكلم أبرهة فأفصح عن مخططه الذي يروم تحقيقه فقال: إذا قضيت قضائي من تهامة سرت حتى أغير على أهل نجد، وصادف ذلك قوله طرفة بن العبد وهو يومئذ بنجران، فلما رأى تلك العدة، وسمع ما يقول الأشرم إنه يغير على نجد قال أبياتاً فبعث بها إلى قتادة بن مسلمة الحنفي، وهي هذه:

ألا أبلغا قتادة الخير آية  
فإن الحذر لابدَّ منجِّيكَا  
بنجران ما قضى الملوك قضاءهم  
فليت غراباً في السماء يناديكَا  
فريقان آت كعبة الله منهم  
وآخر إن لم تقطع البحر آتيكَا<sup>(١)</sup>

وقال كلثوم بن عميس من بني عامر بن عبد مناة بن كنانة، وأخذه الأشرم وكبَّله عنده، فقال وهو في الحديد:

ألا ليت إن الله أسمع دعوة  
وأرسل بين الأخشيين<sup>(٢)</sup> مناديا  
أتكم جموع الأشرم الفيل فيهم  
وسود رجال يركبون السعاليا

(١) كتاب المنمق، ص ٧١.

(٢) الأخشبان: جبلان بمكة، أحدهما أبو قبيس، والآخر قعيقعان.

ورُجِلٌ<sup>(١)</sup> جِسامٌ لا يُكْتُ<sup>(٢)</sup> عديدهم  
 يهزّون واللاتِ الحرابِ الصواديا  
 أتوكم أتوكم تَبْشَعُ<sup>(٣)</sup> الأرضُ منهم  
 كما سال سُؤْبُوبٌ فأبشع واديا

وأقبل معه رجلان من بني سليم وكانا خليعين، فلاحقا  
 بنجران فأقبلا معه، يقال لأحدهما محمد، وللآخر قيس ابنا  
 خزاعي بن حزابة بن مرة بن هلال، فدعا الأشرم قيس بن خزاعي  
 فقال: امدحني واذكر مسيري، فقال:

حيّ المدامَ وكأسها للأشرم الملك الحلاجِل<sup>(٤)</sup>  
 أنبيتُ أنك قد خرجت فقلت: ذكرٌ غيرُ حاملٍ  
 أولادُ حبشة حوله متلحّفون على المراجِل  
 بيضُ الوجوه وسودها أشعارهم مثلُ الفلافل<sup>(٥)</sup>

### الموقف الثالث: مع نفيل بن حبيب الخثعمي

لقد تحدث المؤرخون عن رجل اسمه نفيل بن حبيب  
 الخثعمي، وستجدهم مختلفين في موقفه تمام الاختلاف، بل  
 وحتى في النقل الواحد تجد صعوبة في فهم هذه الشخصية.

(١) رجل: جمع راجل.

(٢) لا يكت: لا يحصر.

(٣) تبشع الأرض منهم: تضايقت منهم وغصت بهم.

(٤) الحلاجل: بضم الحاء الأولى وكسر الثانية: السيد في عشيرته والشجاع التام.

(٥) كتاب المنمق، ص ٧١-٧٢.

فمن المؤرخين محمد بن حبيب البغدادي، وقد ذكر أن نفيـل بن حبيب ممن اتبع أبرهة في مسيره، وقد خرج في بشر كثير من خثعم<sup>(١)</sup>.

بينما أكثر المؤرخين يتحدثون عن موقف آخر كان له، فهم يذكرون أن أبرهة لما تحرك نحو مكة المكرمة ومرّ بقبيلة خثعم، تعرّض له نفيـل بن حبيب الخثعمي، وقد خرج في قبيلي خثعم: شهران وناهس، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتل أبرهة، وكانت العاقبة هزيمة نفيـل بن حبيب بل وأخذه أسيراً؛ ولما أتى به لأبرهة همّ بقتله، فقال له نفيـل: أيها الملك، لا تقتلني فإنني دليلك بأرض العرب، وهاتان يداي لك على قبيلي شهران وناهس بالسمع والطاعة، فأعفاه وخلّى سبيله، وخرج به معه يدُّه على الطريق<sup>(٢)</sup>.

إن هذه الرواية ستجد معانيها متناقلة في كتب التاريخ بشكل كبير، ولكن يستوقف القارئ اختلاف الموقف لهذا الرجل، فبينما يصوره أول الرواية مجاهداً عن البيت الحرام إذ آخرها يصوره دليلاً لأبرهة، قد عرض خدماته بين يديه.

### الموقف الرابع: وفي الطائف حديث

لقد سار أبرهة قاصداً مكة المكرمة ومعه أسيران حتى جاء

(١) كتاب المنمق، ص ٧٠.

(٢) تاريخ الطبري، ج ١، ص ٥٥٢.



إلى الطائف، وكثير من الأخبار تذكر أن ذلك كان سيراً طبيعياً اقتضاه خط السير، ولكن هناك من يذكر أن الأسيرين - وهما: نفيل بن حبيب وذو نفر - قد تأمرا ومن معهما قد تأمروا، فقالوا: يذهبون إلى بيت الله الذي ليس له في الأرض بيت غيره لهدمه؟! ألفتوه، واشغلوه بثقيف عسى أن يجد عندهم ما يكره، فمالا به إلى الطائف<sup>(١)</sup>.

لقد خرج رجال من الطائف وعلى رأسهم مسعود بن معتب، فقالوا: أيها الملك، إنما نحن عبيدك، سامعون لك مطيعون، ليس عندنا لك خلاف، وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد - يعنون اللات<sup>(٢)</sup> - إنما تريد البيت الذي بمكة، ونحن نبعث معك من يدلك عليه، فتجاوز عنهم، فبعثوا معه أبا رغال يدلّه على الطريق إلى مكة<sup>(٣)</sup>.

واعذر الدليلان لأبرهة بأن قالوا: لو أتينا مكة، هوّلاء وراء ظهورنا، فخشينا أن نؤتى من خلفك، فأردنا أن تبدأ بهم حتى لا يكون من ورائك أحد، فصدّقهما ثم انصرف عن الطائف<sup>(٤)</sup>، وقيل: بل قالوا: هوّلاء عدو وأولئك عدو<sup>(٥)</sup>.

(١) إمتاع الأسباع، ج ٤، ص ٧٤. وألفتوه: من الإلفات.

(٢) اللات: بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة، راجع السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ٣١.

(٣) السيرة النبوية، لابن هشام، ج ١، ص ٣١.

(٤) إمتاع الأسباع، ج ٤، ص ٧٥.

(٥) إمتاع الأسباع، ج ٤، ص ٧٤.

## الموقف الخامس: ونزلوا المغمس

لقد سار أبرهة بجيشه من الطائف يدُّهُ أبو رغال، حتى إذا بلغوا المغمس مات هناك، فرجمت قبره العرب<sup>(١)</sup>.

## رسول أبرهة لمكة المكرمة

لم يكن عبدالمطلب ﷺ قد ذهب من تلقاء نفسه للمطالبة بما أخذه أبرهة، بل كان أبرهة هو من طلب لقاءه، فقد أرسل رسولاً لأهل مكة، وقد حمَّله رسالة واضحة يحملها لسيد البلد وشريفها. فجاء حناطة الحميري متسائلاً عن سيد مكة فدَّلوهُ على عبدالمطلب ﷺ، فلما لقيه ونظر إلى وجهه خضع حناطة، وتلجلج لسانه، وخرَّ مغشياً عليه، فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه<sup>(٢)</sup>. وعندها أبلغه رسالة أبرهة، والتي تحمل تهديداً بهدم الكعبة المشرفة، وتعطي تأميناً لأهل مكة، ما داموا لا يقفون بوجهه،

(١) السيرة النبوية، لابن هشام، ج ١، ص ٣١. أبو رغال شخص يكثر ذكره في التاريخ، وهو قسي بن منبه بن النبيت بن يقدم من بني إباد، وكان في الطائف، وهي ديار ثقيف، وكانت ثقيف تعير به، قال حسان:  
إذا الثقيفيُّ فاخركم فقولوا هلمَّ نعدَّ شأن أبي رغالِ  
راجع الأعلام للزركلي، ج ٥، ص ١٩٨.

وقبره يرجه الناس بين مكة والطائف، وهو مختلف فيه، فهل هو وافد عادٍ أم من بقية ثمود أم دليل أبرهة لمكة؟ وقد رجَّح الأخير، راجع معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٣-٥٤.

(٢) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٩٦.

وقد جعل مسالمة أهل مكة شرطاً لعقد لقاء بينه وبين سيد قريش .  
فأجابه عبدالمطلب قائلاً: والله، ما نريد حربته، وما لنا بذلك  
من طاقة، هذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه  
فهو يمنع بيته وحرمة، وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا من دفع عنه .  
فقال له حنيفة: انطلق معي إلى الملك، فانطلق معه  
عبدالمطلب<sup>(١)</sup>.

وفي رواية السيرة الحلبية ما يكشف لنا ترتيب الأحداث  
بشكل متسلسل، فقد ذكر خبر حنيفة الحميري حتى بلغ إلى  
قوله لعبدالمطلب: قد أمرني -أي أبرهة- أن آتية بك. فقال  
عبدالمطلب: أفعل.

فجاءه راعي إبله وخيله، وأخبره أن الحبشة أخذت الإبل  
والخيل التي كانت ترعى بذئ المجاز<sup>(٢)</sup>.

### طلائع جيش أبرهة

لقد كثر النقل بين المؤرخين أن مائتي بعير قد ساقتها طلائع  
جيش أبرهة، وأنها كانت ملكاً لعبدالمطلب عليه السلام، وكان قائد هذه

(١) السيرة النبوية لابن كثير، ج ١، ص ٣٣، السيرة النبوية لابن هشام، ج ١،  
ص ٣٢، إمتاع الأسماع، ج ٤، ص ٧٥، تاريخ الطبري، ج ١، ص ٥٥٣،  
الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٤٣، ومصادر كثيرة تنص على هذا المضمون .  
(٢) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٩٧ .

العملية رجلاً يدعى الأسود بن مقصود<sup>(١)</sup>.

وستجد أنهم يختلفون بعد ذلك في تفاصيل هذه العملية، فمنهم من يقول: إن أبرهة بعث الأسود بن مقصود على خيل له، حتى انتهى إلى مكة، فساق إليه أموال أهلها من قريش وغيرهم وأصاب فيها مائتي بعير لعبدالمطلب<sup>(٢)</sup>.

ومنهم من يقول: إن جيش أبرهة أغار على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها، فأخذها، وكان في السرح مائتا بعير لعبدالمطلب، وكان الذي أغار على السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة، وكان يقال له الأسود بن مقصود<sup>(٣)</sup>.

وقيل: أرسل الأشرم الأسود بن مقصود في خيل، فأخذ إبلاً لقريش بناحية بئر، فيها مائتا ناقة لعبدالمطلب<sup>(٤)</sup>.

وحدّد بعضهم المنطقة التي كانت فيها الإبل، بالأراك<sup>(٥)</sup>.

قال مقاتل بن سليمان: فركب الراعي فرساً له أعوجياً، كان يعدّه لعبدالمطلب، فأمعن في السير حتى دخل مكة، فصعد إلى الصفا فرقى عليه، ثم نادى بصوت رفيع: يا صباحاه، يا صباحاه،

(١) جامع البيان، ج ٣٠، ص ٣٨٨، وقيل: أربعائة ناقة، كما في السيرة الحلبية ج ١، ص ٩٧، فقد ذكر القولين.

(٢) ن.م، تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٢٩٠، تفسير القرطبي، ٢٠، ص ١٨٩.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٥٨٨.

(٤) كتاب المنمق، ص ٧٥.

(٥) الثقات، ج ١، ص ١٨.

أنتكم السودان معها فيلها، يريدون أن يهدموا كعبتكم، ويدعوا عزكم، ويبيحوا دماءكم، ويتهبوا أموالكم، ويستأصلوا بيضتكم، فالنجاى النجاى، ثم قصد عبدالمطلب، فأخبره الأمر كله<sup>(١)</sup>.

لقد سمعت قريش بمقدم الجيش القادم من اليمن فخرجوا من مكة، وأخلوها<sup>(٢)</sup>، وتحرزوا في الجبال والشعاب<sup>(٣)</sup>، ولم يبق إلا عبدالمطلب وشيبة<sup>(٤)</sup>.

وما رجعت قريش إلا بعد أن ركب عبدالمطلب فيهم إلى جبل ثبير، فاستدار النور في وجه عبدالمطلب كالهلال، وألقى شعاعه على البيت الحرام مثل السراج، فلما نظر عبدالمطلب لذلك قال: يا معشر قريش، ارجعوا، فقد كفيتم هذا الأمر، فوالله ما استدار هذا النور مني إلا أن يكون الظفر لنا؛ فرجعوا<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٣، ص ٥٢١.

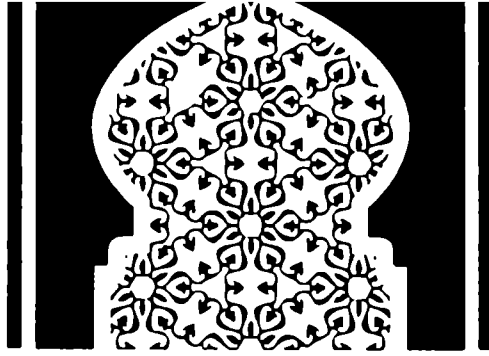
(٢) الخرائج والجرائح، ج ١، ص ١١٤.

(٣) جامع البيان، ج ٣٠، ص ٣٨٩.

(٤) سيرة ابن إسحاق، ج ١، ص ٣٩.

(٥) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٩٦.





## الفصل الثالث



### إن للبيت رباً يحميه

وجاء عبدالمطلب

لم يكن موقف عبدالمطلب مقتصراً على المطالبة بإبله كما قد يصوّره بعض الكتاب، بل كان دوره أكبر من ذلك؛ وسنقف عند بعض مما ذكره التاريخ، مع اعتقادي أن بعد المسافة جعل المشاهد مختصرة في كلمات معدودة.

أولاً: إن قدوم أبرهة بجيش كبير، ويقدمه فيل مهيب كان مدعاة لذعر قريش، فتهاربت في رؤوس الجبال.

لقد كان هذا موقف قريش، ولكن كان صوت عبدالمطلب عليه السلام صوت قيادة فدائية، فقد قال: لو اجتمعنا، فدفعنا هذا الجيش عن بيت الله<sup>(١)</sup>؟

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٥٢، وتمة الخبر: فقالت قريش: لا بد لنا به،

ثانياً: إن ذهاب عبدالمطلب لم يكن لطلب إبله، وإنما كان بدعوة من أبرهة، وقد استجاب لدعوته قبل أن يعلم بأن إبله قد استولى عليها جيش أبرهة.

ثالثاً: لقد بقي عبدالمطلب عند البيت الحرام، واجتمعت إليه من قريش جماعة ليقاتلوا معه إن أمكنهم ذلك<sup>(١)</sup>، بل إن صاحب السيرة الحلبية نقل: أن عبدالمطلب جمع قومه، وعقد راية وعسكر بمنى، ... ثم إن أبرهة أمر رجلاً من قومه يهزم الجيش، فلما وصل مكة ونظر إلى وجه عبدالمطلب خضع<sup>(٢)</sup>.

### وقفه تأمل

لقد روى مقاتل بن سليمان أن عبدالمطلب قدّم عرضاً مقابل رجوع هذا الجيش، فقد قال: هل لك إلى أن أعطيك أهلي ومالي، وأهل قومي وأموالهم ولقاحهم على أن تنصرف عن كعبة الله؟ قال: لا<sup>(٣)</sup>.

ويعاضد هذا النقل ما رواه الرازي في تفسيره، فقد قال: خرج إليه عبدالمطلب، وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع

والجواب غريب، فإن مقتضاه الخروج للقتال، لا الفرار إلى رؤوس الجبال، ولعل فيه تصحيفاً، فربما كانت لا يد لنا به، أو لا قبل لنا به.

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٥٣.

(٢) السيرة الحلبية، ج ١، ص ١٠٠.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٣، ص ٥٢١، وفي روايته أشياء تفرد بها من بين المؤرخين، لا تقبل بحال.



فأبى وعبأ جيشه<sup>(١)</sup>.

ولكن هذا لا يتفق مع كثير من الروايات الدالة على عدم تعرضه لذلك.

### اللقاء بأبرهة

لقد حفَّ أبرهة نفسه بمظاهر الأبهة؛ فكان يجلس في قبة الديباج على سرير له<sup>(٢)</sup>، فلما دخل عليه عبدالمطلب انحنى سريره ومال<sup>(٣)</sup> وارتعب، وعظم عبدالمطلب في نفسه، وكبر عليه.

فقال لمن حوله: من هذا الرجل العظيم؟

فقالوا: سيد قريش، وأفضل بني هاشم، وأشرف العرب نفساً ونسباً، وهو صاحب هذا البيت<sup>(٤)</sup>.

لقد ألقى عبدالمطلب السلام على أبرهة فردَّ عليه السلام، وجعل ينظر في وجهه، فراقه حسنه وجماله وهيئته؛ فقال له الملك -أي أبرهة-: هل كان في آبائك مثل هذا النور الذي أراه لك والجمال؟

قال: نعم أيها الملك، كل آبائي كان لهم هذا النور والجمال والبهاء.

(١) تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ٩٦.

(٢) مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٣٣٨.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي، ص ٦٨٢.

(٤) الهداية الكبرى، ص ١٧٥.

فقال له أبرهة: لقد فقتم الملوك فخراً وشرفاً، ويحق لك أن تكون سيد قومك<sup>(١)</sup>.

ثم أجلس عبدالمطلب معه، وتنازل عن كل أبهته باتفاق المؤرخين، وإن كانوا يختلفون في الطريقة التي تمت بها تلك المعاملة. فهناك من يذكر أن أبرهة أجلس عبدالمطلب معه على سريره<sup>(٢)</sup>، وهناك من يقول: أجلّه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلسه على سرير ملكه؛ فنزل عن سريره، وأجلسه معه على البساط<sup>(٣)</sup>.

### محاولة أبرهة إرهاب عبدالمطلب

لقد تحدثت المصادر عن محاولة قام بها أبرهة لإرهاب عبدالمطلب، فقد عرض عليه الفيل، وهو حيوان لا عهد لأهل الحجاز به، ولكن خاب سعي أبرهة، فقد سجد الفيل الأعظم لعبدالمطلب، والذي ما كان يسجد إلا للنجاشي فقط، فتطير أبرهة من هذا الحدث الذي جاء على غير مراده.

وأنطق الله الفيل فقال: السلام على النور الذي في ظهرك، يا عبدالمطلب<sup>(٤)</sup>.

(١) أمالي الشيخ المفيد، ص ٣١٢-٣١٣.

(٢) الدر النظيم، ص ٢٨.

(٣) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٩٧.

(٤) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٩٧-٩٨.

وفي رواية أنه سلّم على عبدالمطلب، وفي نقل آخر قال: يا نور خير البرية، ويا صاحب البيت والسقاية، ويا جد سيد المرسلين. وفي بعضها قال له: معك العز والشرف، ولن تذلل، ولن تغلب أبداً!

لقد كان ردُّ فعل أبرهة أمام هذا المشهد مذهلاً، فقد ارتاع لذلك وظنه سحراً، وقال: ردُّوا الفيل إلى مكانه<sup>(١)</sup>.

### الحديث المتبادل بين الطرفين

لقد تعددت نقولات المؤرخين والرواة للكلام الدائر بين الطرفين، وسأختار بعضها، مما يُكوّن صورة متكاملة.

### الرواية الأولى

قال أبرهة لعبدالمطلب: فيمَ جئت؟ فقد بلغني سخاؤك وكرمك وفضلك، ورأيت من هيبتك وجمالك وجلالك ما يقتضي أن أنظر في حاجتك، فسلني ما شئت، وهو يرى أنه يسأله في الرجوع عن مكة.

فقال له عبدالمطلب: إن أصحابك غدوا على سرح لي فذهبوا به، فمرهم برده عليّ.

قال: فتغيّظ الحبشي من ذلك، وقال لعبدالمطلب: لقد

(١) الدر النظيم، ص ٢٨-٢٩.

سقطت من عيني، جئتني تسألني في سرحك، وأنا قد جئت لهدم شرفك، وشرف قومك، ومكرمتكم التي تتميزون بها من كل جيل، وهو البيت الذي يحج إليه من كل صقع في الأرض، فتركت مسألتي في ذلك، وسألتنني في سرحك!!

فقال له عبدالمطلب: لست برّب البيت الذي قصدت لهدمه، وأنا ربُّ سرحي الذي أخذه أصحابك؛ فجئت أسألك فيما أنا ربُّه، وللبيت رب هو أمتع له من الخلق كلهم، وأولى به منهم.

فقال الملك: ردُّوا عليه سرحه، وازحفوا إلى البيت فانقضوه حجراً حجراً، فأخذ عبدالمطلب سرحه، وانصرف إلى مكة<sup>(١)</sup>.

### الرواية الثانية

فصار عبدالمطلب إلى أبرهة، وكان ترجمان أبرهة والمستولي عليه ابن داية لعبدالمطلب، فقال الترجمان لأبرهة: هذا سيد العرب، وديانها، فأجلّه وأعظمه، ثم قال لكاتبه: سله ما حاجته؟ فسأله، فقال: إن أصحاب الملك طردوا لي نعماً؛ فأمر بردها.

ثم أقبل على الترجمان، فقال: قل له: عجباً لقومك سوّدوك ورأسوك عليهم! حيث تسألني في غيرك، وقد جئت لأهدم شرفك ومجدك، ولو سألتني الرجوع عنه لفعلت.

(١) مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٣٣٩.

فقال: أيها الملك، إن هذه العير لي، وأنا ربها، فسألتك إطلاقها، وإن لهذه البنية رباً يدفع عنها.

قال: فإني (غاد) لهدمها حتى أنظر ماذا يفعل<sup>(١)</sup>.

### نذير القوم

لقد أجاب عبدالمطلب أبرهة إجابة تحمل في طياتها الإنذار الشديد، ولهذا كان رد الفعل من أبرهة متناسباً مع اللغة التي استعملها عبدالمطلب في إنذاره.

ولا شك أن الأسلوب الذي نهجه عبدالمطلب كان مؤثراً وفيه استدراج لمواجهته بالإنذار الشديد، فقد طالب بإبله وسكت عن البيت الحرام، فكان طلبه باعثاً لدهشة أبرهة، وكان سكوته أبلغ في الإنذار، فإنه كان يقول بلسان حاله: إن حفظ البيت أمر مفروغ منه، وتبعته كلماته الشديدة عندما قال:

أيها الملك، إنما أكلمك في مالي، ولهذا البيت رب هو يمنعه، لست أنا منه في شيء، فراع ذلك أبرهة<sup>(٢)</sup>، وداخله ذعر لكلام عبدالمطلب<sup>(٣)</sup>.

لقد رأيت -عزيري القارئ- كيف تدرّج في الإنذار من خلال:

(١) مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٣٤١.

(٢) سيرة ابن إسحاق، ج ١، ص ٣٩.

(٣) تاريخ يعقوبي، ج ١، ص ٢٥٢.

- ١ - سكوته عن المطالبة بالرجوع عن هدم البيت.
- ٢ - المطالبة بالإبل.
- ٣ - تعليله لمطالبته بأنها نابعة من مسؤوليته عنها.
- ٤ - إيقاف أبرهة على حقيقة واضحة وهي أن الله عز وجل هو رب البيت وحاميه، وكما أحامي عن إبلي سيحامي الله عن بيته.

لقد تصاغرت نفس أبرهة أمام عبدالمطلب عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث لم يره أهلاً لأن يطلب منه الرجوع، وحينها أوقفه على حقيقة ما يريد صنعه، وأن النتيجة محسومة بهزيمة ستحل به وبأصحابه.

ولهذا فقد أراد أبرهة تدارك الموقف حينما قال: ولو سألتني الرجوع عنه لفعلت<sup>(١)</sup>، مع أنه كان كاذباً في دعواه، وما كان ليعود دون تحقيق مطامعه.

### وقفه تأمل

عزيزي القارئ، ستكون قراءتك للأحداث مختلفة حينما تتابعها، وقضية قدوم عبدالمطلب قد عرفت سببها، فإنه جاء بطلب من أبرهة، ولم يكن لأجل الإبل المأخوذة.

وأظنك قد قرأت ما في خاطري من أن أبرهة كان يريد أن يساوم عبدالمطلب سيد قريش، وما كان ليجلبه حتى يعرض عليه خدماته.

(١) مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٣٤١.

ولكن عبدالمطلب عليه السلام قطع الطريق عليه، وساقه للمواجهة مع السماء.

تأمل في هذه الكلمات:

فيم جئت؟ فقد بلغني سخاؤك وكرمك وفضلك، ورأيت من هيبتك وجمالك وجلالك ما يقتضي أن أنظر في حاجتك، فسلني ما شئت، وهو يرى أنه يسأله في الرجوع عن مكة<sup>(١)</sup>.

مع أن الحوار يعيد لأذهاننا وقوف موسى بن عمران عليه السلام أمام فرعون الذي ملأ الأرض بجنوده، ويذكرنا بوقوف إبراهيم عليه السلام أمام نمرود الطاغية، فها هو حجة الله يقف أمام جبار من الجبابرة، وما كان حجة الله ليساوم في دينه، أو يعطي الدنية من نفسه.

إنه يريد أن ينذر هذا الجيش وصاحبه، فكان منه هذا الأسلوب المؤثر، لو كان في أبرهة بارقة أمل.

### روايات فيها نظر

لقد مرّ بنا أن عبدالمطلب قد استدعاه أبرهة، ولم تكن الإبل هي التي حرّكته نحوه، بل علم بها وهو في طريقه لأبرهة.

وسنعرف من الروايات الأخرى أن الإبل لم تكن تمثل

(١) مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٣٣٩.

نعبدالمطلب مطلباً مهماً، فإنه بعد استلامها قلدها النعال، وأشعرها وجعلها هدياً وبثها في الحرم<sup>(١)</sup>.

عزيزي القارئ، ضع صورة عبدالمطلب وقد ذهب بطلب أبرهة عن يمينك، وضع صورته وقد أخذ إبله وجعلها هدياً عن شمالك، ثم ضع بينهما ما يذكره المؤرخون من روايات تتحدث عن رحلته نحو أبرهة، فإنهم قد جعلوها رحلة طلب لإرجاع الإبل فقط، والعجيب أن المؤرخين بينما هم يصورون عبدالمطلب خارجاً من الحرم مع حناطة الحميري مستجيباً لطلب أبرهة إذ هم يصورونه ملتمساً للدخول على أبرهة، وقد وقف على بابه وقوف الغريب، حتى أن أبرهة لم يعرف سبب قدومه.

إن سير الأحداث يقتضي التوقف أمام هذه الروايات التي سنذكرها لك، والتي تصور عبدالمطلب شخصاً متهاكاً أمام مائتي ناقة، يبحث عن يتوسط عند أبرهة، ويتشفع له في قضاء حاجته.

### عرض للروايات

١- وكان نفيل صديقاً لعبدالمطلب فكلمه في إبله، فكلم نفيل أبرهة، فقال: أيها الملك، قد أتاك سيد العرب، وأفضلهم قدراً، وأقدمهم شرفاً، يحمل على الجياد، ويعطي الأموال، ويطعم

(١) تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٢٩٥، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٩٢، تاريخ الطبري، ج ١، ص ٥٥٧.



الناس، فأدخله على أبرهة، فقال: حاجتك؟ قال: تردُّ عليَّ إبلي<sup>(١)</sup>.

٢- وكان ذو نفير صديقاً لعبدالمطلب، فأتاه فقال: يا ذا نفير، هل عندك من غناء فيما نزل بنا؟ فقال: ما غناء رجل أسير، لا يأمن أن يقتل بكرة أو عشياً؟! ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل، فإنه لي صديق، فأسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير، ويعظم خطرك ومنزلتك عنده.

قال: فأرسل إلى أنيس فأتاه، فقال له: إن ذا سيد قريش، صاحب عير مكة، الذي يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، وقد أصاب له الملك مائتي بعير، فإن استطعت أن تنفعه عنده فانفعه، فإنه صديق لي، أحب ما وصل إليه من الخير، فدخل أنيس على أبرهة فقال: أيها الملك، هذا سيد قريش، وصاحب عير مكة، الذي يطعم الناس في السهل، والوحوش في رؤوس الجبال، يستأذن إليك، وأحب أن تأذن له فيكلمك، وقد جاء غير ناصب لك، ولا مخالف عليك، فأذن له<sup>(٢)</sup>.

وتسير على وفق هاتين الروايتين روايات متعددة، وقد لاحظت فيهما أن الصورة التي تعرض لعبدالمطلب صورة مشوشة؛ فلا هي متناسقة مع سير الأحداث، ولا هي متفقة مع ملامح صورة عبدالمطلب التي رسمها التاريخ له، ولهذا فإنها

(١) تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٢٩٥.

(٢) تفسير البغوي، ج ٤، ص ٥٢٦.

محل شك، ولا أجد لها وجهاً في القبول، وستجد من الروايات ما يوغل في البعد عن سير الأحداث حينما تقول:

... وكان حاجب أبرهة رجلاً من الأشعريين، وكانت له بعبدالمطلب معرفة قبل ذلك، فلما انتهى إليه عبدالمطلب، قال له الأشعري: ما حاجتك؟ فقال: حاجتي أن تستأذن لي على الملك، فدخل عليه حاجبه، فقال له: أيها الملك، جاءك سيد قريش<sup>(١)</sup>.

### وعاد عبدالمطلب منذراً

لقد خرج عبدالمطلب من عند أبرهة بعد أن ملأ قلبه رعباً، وبعد أن أنذره وخوفه عاقبة سوء عمله، وحاز على إبله كذلك، فمر بالفيل في منصرفه، فقال للفيل: يا محمود، فحرك الفيل رأسه، فقال له: أتدري لم جاؤوا بك؟ فقال الفيل برأسه: لا، فقال: جاؤوا بك لتهدم بيت ربك، أفتراك فاعل ذلك؟ فقال برأسه: لا، فانصرف عبدالمطلب إلى منزله<sup>(٢)</sup>، فلما كان في السحر الأكبر، سمع هاتفاً يقول:

يا أهل مكة، أتاكم أهل عكة، بجحفل جرار، يملأ الأندار  
ملء الجفار، فعليهم لعنة الجبار، فأنشأ عبدالمطلب يقول:

أيها الداعي لقد أسمعني كل ما قلت وما بي من صمم  
إن للبيتِ لرباً مانعاً مَنْ يُرِدهُ بأثامٍ يصطلم

(١) سيرة ابن إسحاق، ص ٣٩.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٤٤٧.

رامه تبّع في أجناده  
 هلكت بالبغي فيهم جرهم  
 وكذلك الأمر فيمن كاده  
 نحن آل الله فيما قد خلا  
 نعرف الله وفينا شيمة  
 لم يزل لله فينا حجة  
 ولنا في كل دور كرة  
 فإذا ما بلغ الدور إلى  
 بكتاب فصلت آياته  
 حمير والحي من آل إرم  
 بعد طسم وجديس وجشم  
 ليس أمر الله بالأمر الأمم  
 لم يزل ذلك على عهد إبراهيم  
 صلة الرحم ونوفي بالذم  
 يدفع الله بها عنها النقم  
 نعرف الدين وطوراً في العجم  
 منتهى الوقت أتى الطين قدم  
 فيه تبيان أحاديث الأمم<sup>(١)</sup>

وأما أبرهة وأصحابه فقد عزموا على أن يسيروا ليلاً؛ لكي يصبحوا بمكة، وقال أبرهة لساسة الفيلة: احملوا على البيت فاجعلوه سحيقاً<sup>(٢)</sup>، فوجهوا فيلهم إلى مكة، فربض، فضربوه فتمرغ، فلم يزالوا كذلك حتى كادوا أن يصبحوا، ثم إنهم أقبلوا على الفيل، فقالوا: لك الله أن لا نوجهك إلى مكة، فانبعث، فوجهوه إلى اليمن راجعاً، فتوجه يهرول، فعطفوه حين رأوه منطلقاً حتى إذا ردّوه إلى مكانه الأول ربض<sup>(٣)</sup>.

لقد كان الفيل يتجاوب مع طلبهم إن وجهوه إلى اليمن أو إلى الشام أو وجهوه نحو المشرق، ولكنه يتوقف حينما يوجهونه

(١) البحار، ج ١٥، ص ١٤٠-١٤١.

(٢) الهداية الكبرى، ص ١٧٥.

(٣) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٤٤.

تجاه مكة المكرمة<sup>(١)</sup>.

بل ويلقي بنفسه كما يصنع الفيل عند نومه في أمان، فضربوه ليقوم فأبى، فضربوا رأسه بالطبرزين فأبى<sup>(٢)</sup>، وتعددت المحاولات حتى ضربوه بالمعول على رأسه، وأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه<sup>(٣)</sup>، فما حصدوا إلا الندامة.

لقد روي عن عطاء بن يسار، قال: حدّثني من كَلَم قائد الفيل وسائسه، قال لهما: أخبراني خبر الفيل. قالوا: أقبلنا، وهو فيل الملك النجاشي الأكبر، لم يسر به قط إلى جمع إلا هزمهم، فاخترت أنا وصاحبي هذا لجلدنا، وحرقتنا بسياسة الفيل.

قال: فلما دنونا من الحرم جعلنا كلما وجّهناه إلى الحرم يربض، فتارة نضربه فينهض، وتارة نضربه حين برك ثم نتركه، فلما أتينا إلى المغمس ربض فلم يقم، وطلع العذاب<sup>(٤)</sup>.

لقد استغرقت منهم هذه المحاولة ليلة كاملة، فقد بدأت المحاولة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر<sup>(٥)</sup>.

(١) جامع البيان، ج ٣٠، ص ٣٩٠.

(٢) تفسير السمرقندي، ج ٣، ص ٥٩٦.

(٣) تفسير الثعلبي، ج ١٠، ص ٢٩٢.

(٤) إمتاع الأسماع، ج ٤، ص ٨٠، وفي تنمة الخبر فقلت: نجا غيركما؟ قالوا: نعم،

ليس كلهم أصاب العذاب.

(٥) الهداية الكبرى، ص ١٧٦.

## وربض الفيل

لقد مثلت كلمة «ربض» أو «برك» إشكالاً لدى بعض الكتاب، وسبب ذلك أن الإبل حينما تبرك تثني قوائمها، وأما الفيل فإنه يشاهد دائماً في حالة وقوف، وهو لا يبرك أو يربض.

إن هذا الكلام الذي قيل، لا ينبع من تخصص لدى القائل، بل هو منبعث من معرفة بسيطة بالفيلة وحياتها.

ولو رجعت للمصادر العلمية لوجدت خلاف ذلك، فقد ذكرت هذه العبارة حينما تحدثوا عن طرق دفاع الفيلة عن نفسها وهي: كما تسحق عدوها عن طريق البرك عليه<sup>(١)</sup>، ولنا أن نتصور الآن ما ورد في الروايات من تصرف قام به الفيل، وهو يمتنع عن الذهاب نحو الكعبة المشرفة.

## ولاذ عبدالمطلب بالبيت

لقد عادت لقريش سكينتها بعد أن جاءها سيدها عبدالمطلب عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورجعت لمكة المكرمة، فجمعهم بمنى مكوّناً بذلك جيشاً يقارع أبرهة إذا ما حل بساحتهم، وقد علم أبرهة بذلك فأرسل من جيشه من يقاتله<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن هيا عبدالمطلب الأسباب للدفاع عن البيت لاذ

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج ١٧، ص ٦٨٠.

(٢) راجع تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٥٣، والسيرة الحلبية، ج ١، ص ١٠٠.

بالبیت الحرام، وأخذ بحلقة الباب قائلاً:

يا ربّ لا أرجو لهم سواكا يا ربّ فامنع منهم حماكا  
إن عدوّ البيت من عاداكا امنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضاً:

لَهُمْ إِنْ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فامنع رحالك  
لا يغلبنّ صليبيهم ومحالهم عدواً محالك

فانجلي نوره على الكعبة، فقال لقومه: انصرفوا، فوالله ما  
انجلي من جيبني هذا النور إلا ظفرت، وقد انجلي عنه<sup>(١)</sup>.

وعند المؤرخين اختلاف في الوقت الذي توسل فيه  
عبدالمطلب ﷺ لربه بهذه الأبيات، فمنهم من يجعله قبل ذهابه  
لأبرهة، ومنهم من يجعله بعد ذهابه لأبرهة كما تقدم، ولربما تكرر  
الموقف منه قبل ذهابه وبعده<sup>(٢)</sup>.

لقد بقي عبدالمطلب بموضعه من البيت، ينتظر وعداً إلهياً،

(١) مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٣٤٢-٣٤٣.

(٢) ذكر في مجمع البيان ما يلي:

فجعل عبدالمطلب يأخذ بعضادتي الباب، ثم يقول:

لَهُمْ إِنْ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فامنع خالك  
لا يغلبوا بصليبيهم ومحالهم عدواً محالك  
لا يدخلوا البلد الحرام إذا فأمر ما بدا لك

ثم إن مقدمات أبرهة أصابت نعماً لقريش. (راجع مجمع البيان، ج ١٠،

فقد كان على معرفة بالجهة التي سيقبل من خلالها النصر الإلهي، بل وكان على دراية بنوعها.

وقد اختلفت الروايات في الطريقة التي استطلع بها علائم العذاب، فقد أشارت بعض الروايات إلى أن خبر مقدم الطير الأبايل قد حمله عبدالله والد النبي ﷺ، ولكنها اختلفت كذلك في الطريقة التي أرسل بها، فقول:

إن عبدالمطلب نادى غلمانه قائلاً: ادعوا لي ابني، فجيء بالعباس، فقال: ليس هذا أريد، ادعوا لي ابني، فجيء بأبي طالب، فقال: ليس هذا أريد، ادعوا لي ابني، فجيء بعبد الله أبي النبي ﷺ، فلما أقبل إليه قال: اذهب يا بني، حتى تصعد أبا قبيس ثم اضرب ببصرك ناحية البحر، فانظر أي شيء يجيء من هناك وخبرني به<sup>(١)</sup>.

وقيل: بل أرسل أولاده مبتدئاً بالأكبر منهم وهو الحارث إلى أعلى أبي قبيس، فكانوا يعودون دون أن يروا شيئاً، فدعا بعبدالله - وإنه لغلام حين أيفع وعليه ذوابة تضرب إلى عجزه - فقال له: اذهب فداك أبي وأمي، فاعلُ أبا قبيس، فانظر ماذا ترى يجيء من البحر<sup>(٢)</sup>.

لقد استجاب عبدالله ﷺ لطلب والده، فصعد أبا

(١) مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٣٣٩-٣٤٠.

(٢) مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٣٤٢.

قيس، فما لبث أن جاء طير أبايل مثل السيل والليل، فسقط على أبي قبيس، ثم صار إلى البيت فطاف به سبعاً، ثم صار إلى الصفا والمروة، فطاف بهما سبعاً، فجاء عبدالله إلى أبيه<sup>(١)</sup> مسرعاً فقال:

يا سيد النادي، رأيت سحاباً من قبل البحر مقبلاً، يستفل تارة، ويرتفع أخرى، إن قلت غيماً قلته، وإن قلت جهاماً خلته، يرتفع تارة، وينحدر أخرى<sup>(٢)</sup>، فقال عبدالمطلب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ورب عبدالمطلب ما تريد إلا القوم<sup>(٣)</sup>.

ثم قال: انظر - يا بني - ما يكون من أمرها بعد، فأخبرني به. فنظرها، فإذا هي قد أخذت نحو عسكر الحبشة، فأخبر عبدالمطلب بذلك، فخرج عبدالمطلب وهو يقول: يا أهل مكة، اخرجوا إلى العسكر فخذوا غنائمكم<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية قال: يا معشر قريش ادخلوا منازلكم، فقد أتاكم الله بالنصر من عنده<sup>(٥)</sup>.

(١) مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٣٤٠.

(٢) مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٣٤٢.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٤٨.

(٤) مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٣٤٢.

(٥) مستدرك الوسائل، ج ٩، ص ٣٤٠.



## الطير الأبايل

### وقفه مع كلمة (أبايل)

إن كلمة أبايل لا تعني طائراً بعينه، وليست اسماً يطلق على نوع خاص، بل هي وصف للطيور عند طيرانها.

فمن اللغويين من ذكر أن القطعة من الطير أو الخيل أو الإبل يطلق عليها: إبيّل وإبول وإباله، فإذا ما جمعناها كانت أبايل، أي جماعات.

ومنهم من قال: إن أبايل كلمة لا مفرد لها، ومع ذلك يتفق مع السابقين بأن معناها جماعات في تفرقة<sup>(١)</sup>، أو هي التي يتبع بعضها بعضاً، أو هي الجمع بعد الجمع<sup>(٢)</sup>، وقد قال القرطبي - بعد أن ذكر كلمات اللغويين، كقولهم: مجتمعة، أو متتابعة بعضها في أثر بعض، أو مختلفة متفرقة، تجيء من كل ناحية من ها هنا وها هنا-: قال النحاس: وهذه الأقوال متفقة، وحقيقة المعنى: أنها جماعات عظام<sup>(٣)</sup>، وستجد أن هذه الكلمة وصف بها الطير

(١) راجع لسان العرب، ج ١١، ص ٦، وفي السيرة النبوية لابن هشام ج ١، ص ٣٦.

(٢) راجع إمتاع الأسماع، ج ٤، ص ٦٤.

(٣) راجع جامع البيان، ج ٣٠، ص ٣٨٢ وما بعدها، وستجد نقلاً متعدداً لآراء تنص على أنها جماعات متتابعة، وقد نص على هذا المعنى صاحب الميزان، ج ٢٠، ص ٣٦٢، وصاحب الأمثل، ج ٢٠، ص ١٢.

ووصفت بها الإبل، قال الأخفش: يقال: جاءت إبلك أبايل<sup>(١)</sup>.

### وقفة مع الطير

لم يحدّد القرآن الكريم نوع الطيور التي أرسلها الله سبحانه وتعالى لعذاب أبرهة وأصحابه، وإنما اقتصر على وصف حالتها عندما جاءت، فقد أقبلت أبايل، أي جماعات، جماعات.

وأما كتب السيرة والتفسير فقد توسّعت في وصفها، وما ذكرته مجرد نقولات عن أشخاص لم يحضروا الواقعة، وإنما يعتمدون على ما سمعوه؛ ولهذا فإن كلامهم لا يعدو كونه خبراً منقولاً قد يخضع لمشاعر من شاهد الطيور القادمة بالعذاب، وستجد من يقول: إنها كأمثال رجال الهند سود، معها حجارة، وستقرأ لآخر أنها العنقاء المغربية، ترميهم بحجارة مثل التين، تخرج من مخالبتها وأفواهها، لا تصيب منهم شيئاً إلا حرقتة، حتى كان يموت منهم في اليوم مائة ألف<sup>(٢)</sup>.

لقد رأيت -عزيزي القارئ- خيلاً خصباً في تصوير هذه الطيور، ولو كان الرأي لمتأخر لاتهم بالتأثر بالرسوم المتحركة.

وهناك أقوال أخرى كذلك سأبتعد عنها؛ إذ لا فائدة من ذكرها، وسأقف عند المروي عن الإمام الصادق عليه السلام فقد كشف

(١) راجع تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ١٩٧.

(٢) تفسير مجاهد، ج ٢، ص ٧٨٣ - ٧٨٤، ولعل العبارة: لا تصيب منهم شيئاً إلا فرقته.

عن نوعها، وذكر أنها مثل الخطاف أو نحوه<sup>(١)</sup>.

ولعلك لاحظت أن الرواية لم تقل: هي خطاف، وإنما هي مثل الخطاف أو نحوه، وهذا التعبير يثير تساؤلاً مهماً، وهو:

هل كانت الطيور أرضية عادية، ولكنها جاءت من مكان بعيد، وليس لها اسم عند العرب معروف؟ أم أنها طيور غيبية كانت تظهر بمظهر يشبه الخطاف؟ أو أنها كانت مثل الخطاف في السرعة؟

لم أجد بين يدي من الروايات ما يكشف عن هويتها، ولكن قد يبدو من بعضها أن للغيب تدخلاً واضحاً وجلياً يتجاوز إرسال الطير محمّلة بحجارة السجيل، حيث تحدثت عن مقدمها نحو الكعبة طائفة بها سبعاً، وساعية نحو الصفا والمروة سبعاً<sup>(٢)</sup>، فلعل في هذا إشعاراً بأنها مخلوقات جاءت من وراء الغيب.

وأما إذا ما رجعت لما دوّن عن اعتقادات الناس حولها، فستجد من يدعي أن الحمام الموجود في الحرم المكي من نسل تلك الأبايل<sup>(٣)</sup>، وستجد كذلك من يدعي أن الطيور الموجودة في مكة وقرب البيت هي الأبايل المعذب بها أصحاب الفيل، وتسمّى السمائم أو السنونو<sup>(٤)</sup>.

(١) البحار، ج ١٥، ص ١٣٨.

(٢) مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٣٤٠.

(٣) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٩٩.

(٤) البحار، ج ٦١، ص ٢٩٤.

## والحجارة من سجيل

ستجد حيرة علماء اللغة في فهم هذه الحجارة، فمنهم من استوحى من القرآن الكريم معناها، فقال: هي حجارة من طين، طبخت بنار جهنم، مكتوب عليها أسماء القوم<sup>(١)</sup>.

ومنهم من عرضها عرضاً لغوياً من خلال كلمات أخرى، فقال: هي الكثيرة الشديدة، أو المرسله عليهم، أو مما كتب لهم<sup>(٢)</sup>.

ومنهم من ذكر معناها دون الاستيحاء من آية أو كلمة أخرى فقال: السجيل: الصلب من الحجارة الشديدة<sup>(٣)</sup>.

وستجد في المصادر اللغوية محاولة لمعرفة أصل الكلمة، حيث قال أهل اللغة: هذا فارسي، والعرب لا تعرف هذا<sup>(٤)</sup>.

وقيل في معناها وفق التعريب: إن سجيل فارسية الأصل، وهي مركبة من سنك ومعناها الحجارة، وگل ومعناها الطين، فعلى هذا هي شيء لا صلباً كالحجارة، ولا رخواً كالزهرة، وإنما هي برزخ وسط بينهما، وباختصار هي الطين المتحجر<sup>(٥)</sup>، وفي وصف ابن عباس: حجارة سوداً عليها الطين<sup>(٦)</sup>.

(١) الصحاح، ج ٥، ص ١٧٢٥.

(٢) راجع لسان العرب، ج ١١، ص ٣٢٧.

(٣) مجمع البحرين، ج ٥، ص ٣٩٣.

(٤) لسان العرب، ج ١١، ص ٣٢٧.

(٥) تفسير الأمثل، ج ٧، ص ٢٣ - ٢٤.

(٦) البحار، ج ١٥، ص ١٣٨.

ولعلك رأيت شدة الاختلاف بين الأقوال، غير أننا نعلم أن المروي عن أهل البيت عليهم السلام وصفها بأنها حجارة مثل العدس<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن الذي تفيدته الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام أن الطير كانت صغيرة الحجم، والحجارة كانت غاية في الصغر، وقد دمرت القوم تدميراً، وذلك أكثر تعبيراً عن ضعف الإنسان وعظيم القدرة الإلهية، حيث كان زوال ملك أبرهة المتجبر بطير وحجر صغيرين.

### الانتقام الإلهي

لقد أقبلت الطيور حاملة الحجارة، ففي الرجلين حجران وفي المنقار حجر، يرمي بها الطائر أصحاب أبرهة، فيقتل ثلاثة رجال<sup>(٢)</sup>.

وكان الطير يحاذي رأس الرجل فيرميه بالحجر، فيخرج من دبره<sup>(٣)</sup>، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام.

وستجد أقوالاً أخرى تذكر، ومنها:

- أن الحجارة إذا أصابت الرجل ابتلي بالحكمة، فكان لا يحك إنسان منهم جلده إلا تساقط لحمه<sup>(٤)</sup>.

- وقيل: إن الحجارة إذا أصابت الرجل خرج به الجدري<sup>(٥)</sup>.

(١) البحار، ج ١٥، ص ١٣٨.

(٢) مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٣٤٢.

(٣) البحار، ج ١٥، ص ١٣٨، وفي تفسير ابن زنين كذلك، ج ٥، ص ١٦٤.

(٤) البحار، ج ١٥، ص ١٣٨.

(٥) جامع البيان، ج ٣٠، ص ٣٨٤.

## تطلع عبدالمطلب وحصاده

## تطلعه

وبعث عبدالمطلب ولده عبدالله ليأتيه بالخبر، ودنا، وقد اجتمعت إليه من قريش جماعة ليقاتلوا معه إن أمكنهم ذلك، فأتى عبدالله على فرس شقراء يركض، وقد جردت ركبته، فقال عبدالمطلب: قد جاءكم عبدالله بشيراً ونذيراً، والله ما رأيت ركبته قط قبل اليوم، فأخبرهم ما صنع الله بأصحاب الفيل<sup>(١)</sup>.

## حصاده

لقد ارتفع بعد الحادث نجم عبدالمطلب، فهو سيد قريش، وهو قائدها، ومرشدها في ملامتها.

ولم يكن امتياز عبدالمطلب عليه السلام بفروسية نادرة قام بها، ولا بقتال منقطع النظر، بل ببعد إلهي أضفي على شخصيته، وعرف به بين الناس.

يقول أبو عثمان: وقد أعطى الله عبدالمطلب في زمانه، وأجرى على يديه، وأظهر من كرامته ما لا يعرف مثله إلا لنبي مرسل.

وإن في كلامه لأبرهة صاحب الفيل، وتوعده إياه برب

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٥٣.

الكعبة، وتحقيق قوله من الله تعالى، ونصرة وعيده بحبس الفيل، وقتل أصحابه بالطير الأبايل، وحجارة السجيل حتى تركوا كالعصف المأكول لأعجب البرهانات وأسنى الكرامات<sup>(١)</sup>.

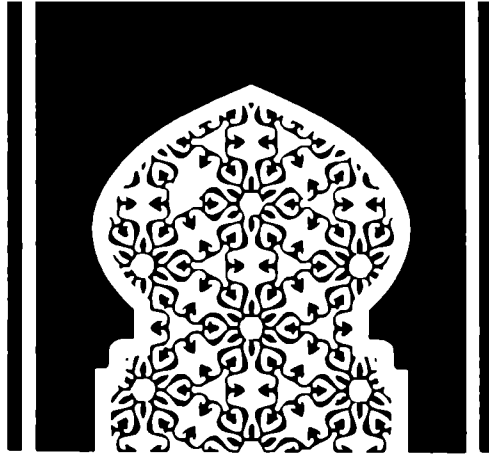
ولقد انتهت فصول الحادثة، وكان بطلها عبدالمطلب، وقد ذهب الروح من نفوس قريش، وارتدت أنفاسهم بعد تفرقهم عباديد في الجبال، وأخذت القبائل تنظر لبني هاشم نظرة الإكبار، فقد حازوا ما لم يحز غيرهم، فجاء من يريد أن يشارك في المكارم، فقد انتهى فصل العناء، وجاء دور جني الثمار، وكسب الفضائل.

إن هذه القناعة التي أثبتناها أجد لها ما يبررّها، فإن أبناء القبائل والتوجهات السياسية فيما بعد كانت تسعى نحو صنع تاريخ لأبائها أو رجال السياسة الذين يؤيدونهم. بل وسبقني لهذه القناعة المؤرخون فيما نقلوا من أخبار.

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢٠١.







## الفصل الرابع



### هوامش لا بد منها

#### وقفة مع المشككين

لست أدري عن ميزة الكتابات الغربية شيئاً، ولا أعرف السبب الذي جعل بعض الكتاب العرب يشك في النقل التاريخي العربي، فإذا ما وجد له مثيلاً في المصادر الغربية أقرَّ به.

لقد شكَّك في وجود حركة قام بها أبرهة، لبناء كنيسة للنصارى في صنعاء، واعتمد المشكِّك في شكه على شيئين، وهما:

١- أن المصادر المسيحية لم تشر البتة إلى مسألة بناء هيكل جديد في صنعاء حاضرة اليمن على يد أبرهة.

٢- أن المؤرخ (أوزيت) في بحثه عن (تاريخ الكنيسة) تناول بالذكر النصارى من العرب وقساوستهم، وأصحاب المآثر منهم على الكنيسة، وهو لا يذكر شيئاً عن أبرهة، وعن تشييد هيكل في صنعاء.

لقد رأينا المستند الذي اعتمد عليه في التشكيك في بناء كنيسة، والذي سيكون مدخلاً لإنكار ذات حادثة الفيل، وسيسهل الانعطاف بالصورة التاريخية لوجهة أخرى، تبعدهم عن الوقوف على الانتصار الإلهي الذي أحرزه خط الموحدين على عقيدة التثليث الموهومة.

وليت هؤلاء قد رجعوا للوثيقة التي لا سبيل لإنكارها، فهي مكتوبة في عهد أبرهة، ويسمى (برقم مأرب)، فقد كان ترميم سد مأرب الذي قام به أبرهة مصادفاً لافتتاح الكنيسة بصنعاء، وقد نصّ عليه وحدد السنة التي تم فيها، وهي سنة ٥٤٢م<sup>(١)</sup>.

هكذا تذهب أوهام المشككين مبعثرة، تذرّوها رياح التحقيق، وهكذا تتجلى حقائق القرآن الكريم واضحة الصدق يوم نادى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾.

### الأهمية الدينية للكعبة المشرفة

يظن المنقطعون عن التراث الديني أن الكعبة منحصرة في إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ورسول الله ﷺ فقط، وهو ظن لا محل له؛ فهو يعتمد على المعلومات السطحية المتوارثة، والمنتشرة في التراث الشعبي.

ولكن المراجعة البسيطة لكتب التراث الديني تكشف بعداً آخر، وتضيء ناحية ممتدة، حتى تقف على الإنسان الأول على

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ١٩٣.

وجه الأرض، وهو آدم عليه السلام.

لم يكن آدم عليه السلام في الحج من الزاهدين، بل تعدد حجّه للبيت الحرام، فروي أنه أتى هذا البيت ألف آتية على قدميه، منها سبعمائة حجة وثلاثمائة عمرة<sup>(١)</sup>.

وتوالت الأنبياء بعده، فقد جاء هود وصالح عليهما السلام على بكرات حمر، خطمها الليف، وأزرهم العباء، وأرديتهم النمار<sup>(٢)</sup>.

وأما موسى بن عمران عليه السلام، فكان حجه مهيباً، يحفُّ به سبعون نبياً من بني إسرائيل، خطم إبلهم من ليف، يلبُّون وتجيهم الجبال، وعلى موسى عليه السلام عباءتان قطوانيتان، يقول: لبيك عبدك ابن عبدك.

ولسليمان عليه السلام موكبه الخاص، فقد حجّت معه الجن والإنس، والطير والريح، وكسا البيت القباطي.

وجاء يونس عليه السلام على ناقه حمراء عليه جبة صوف وخطام ناقته ليف، وكان في تلبيته يقول: لبيك كاشف الكرب العظيم لبيك، وأما عيسى عليه السلام فقد كانت تلبيته: لبيك عبدك ابن أمّتك لبيك<sup>(٣)</sup>.

لقد ذكرت الروايات، بأن الأنبياء حينما تهلك الأمم التي

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٢٩.

(٢) مسند ابن حنبل، ج ١، ص ٢٣٢.

(٣) الكافي، ج ٤، ص ٢١٣ - ٢١٤.

كانوا فيها تكون مكة ملجأهم، فيلحقون بها، ويتعبدون فيها هم وأتباعهم حتى يوافيهم الأجل، ويدفنون فيها<sup>(١)</sup>.

لقد شحن ما بين الركن والمقام بقبور الأنبياء<sup>(٢)</sup>، وقد دفن ما بين الركن اليماني والحجر الأسود سبعون نبياً<sup>(٣)</sup>.

وأكثر من ذلك، لقد كان الحج إلى بيت الله سبحانه وتعالى عامّاً، ولم يكن قاصدوه هم أهل مكة فقط، فإن المكانة التي تحتلها الكعبة لم تكن منحصرة في دين واحد، بل تعددت الأديان التي تقدّسها وتنظر إليها نظرة احترام وتقديس.

فلو نظرنا إلى أرض فارس للمحت عيوننا أشخاصاً قد تجشّموا عناء السفر، وجاؤوا من تلك البلاد البعيدة قاصدين للبيت الحرام.

لقد ذكر المسعودي أن الفرس كانت تحج للبيت الحرام في الزمن الأول، وقال ياقوت الحموي: وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك، وكان ساسان إذا أتى البيت طاف به وزمزم على هذه البئر، وفي ذلك يقول الشاعر القديم من الزمان:

زمزمت الفرسُ على زمزم  
وذاك من سالفها الأقدم

(١) مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٣٦٥.

(٢) الكافي، ج ٤، ص ٢١٤.

(٣) الكافي، ج ٤، ص ٢١٤.

وقد افتخر بعض شعراء الفرس بعد ظهور الإسلام:  
وما زلنا نحجُّ البيتَ قِدماً  
ونُلفى بالأباطحِ آميناً  
وساسانُ بنُ بابكٍ سار حتى  
أتى البيتَ العتيقَ بأصيدينا  
وطاف به وزمزم عند بئرِ  
لإسماعيلَ تروي الشارينا<sup>(١)</sup>

### الأهمية الاقتصادية للبيت الحرام

بلاد تعيش الأمن بكل معانيه، وقد فرض عبدالمطلب على أهلها نظاماً تعاملياً أخلاقياً، فعلى التاجر أن يحسن المعاملة، وعليه أن يحسن لقاء التجار، وأن يستضيفه، وأن يؤدي أمانته.

وهذه أمور من شأنها أن تجعل من المنطقة محفلاً تجارياً يتسم بالأمن وحسن المعاملة.

وقد أثمر ذلك أن تكون مكة محجاً للناس ومكاناً للتجارة؛ فكان النجاح يحف التجارة المكية، حتى بلغت أموالهم في عهد عبدالمطلب أرقاماً خيالية<sup>(٢)</sup>.

(١) معجم البلدان، ج ٣، ص ١٤٨.

(٢) راجع تاريخ قریش، ص ١٦٤ وما بعدها.

## الأهمية الاجتماعية

لقد وجد القرشيون أنفسهم بجوار بيت الله الحرام، ورأهم  
الناس جيران الكعبة الغراء فكان يقال:

يكفيك من قريش أنها أقرب الناس من بيت الله بيتاً، وكان  
يقال لدار أسد بن عبد العزى: رضيع الكعبة، لأنها كانت تفيء  
عليها الكعبة صباحاً وتفيء على الكعبة عشياً.

وعبر الشعراء عن ذلك الفخر فقال أحد الشعراء:

لهاشمٍ وزهيرٍ فضلٌ مكرمةٍ  
بحيث حلت نجوم الكبش والأسدِ  
مجاورُ البيتِ ذي الأركانِ بيئهما  
مادونهم في جوارِ البيتِ من أحد<sup>(١)</sup>

## المنافسون لبيت الله عز وجل

ليست القليس أو إكليسيا الوحيدة في التاريخ حينما جاءت  
لتنافس الكعبة الغراء، بل كان معها شركاء آخرون.

ولاشك أن المكانة الاجتماعية التي حظي بها أهل الحرم  
مدعاة للحسد، والتدفق المالي الذي تحظى به طائفة من طلاب  
الأموال يفتح شهية أمثالهم، والفخر الذي يكسبه المكي بمجاورته  
للكعبة باعث على الحنق في صدور أقوام آخرين.

(١) أديان العرب في الجاهلية، ص ٢٦.

لقد جكى صاحب الأغاني عن بني بغيض بن غطفان، أنهم لما استشعروا من أنفسهم القوة، عندما انتصروا على صداء - وهي قبيلة من مذحج - قالوا: والله لتتخذن حرمًا مثل حرم مكة، لا يقتل صيده، ولا يعضد شجره، ولا يهاج عائذه، فاتخذوه عند ماء لهم يقال له: (بس) وكان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم، فلما بلغ فعلهم هذا زهير بن جناب - وهو يومئذ سيد بني كلب - قال: والله لا يكون هذا أبداً وأنا حي، فسار في قومه حتى غزا غطفان فظفر بهم، وأسر فارساً في حرمهم، فقال لأحد أصحابه: اضرب رقبتك، فقال: إنه (بس) فقال زهير: وأبيك، ما بس عليّ بحرام، ثم قام إليه فضرب عنقه، وعطل ذلك الحرم<sup>(١)</sup>.

لقد ظن رياح بن ظالم أو ظالم بن أسعد - كما سمي في القاموس<sup>(٢)</sup> - أن القضية سهلة، فقد رأى قريشاً يطوفون بالكعبة، ويسعون بين الصفا والمروة، فذرع البيت، وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة، ورجع إلى قومه فبنى بيتاً على قدر البيت ووضع الحجرين، فقال: هذان الصفا والمروة، فاجتزؤا به عن الحج، وكانت الخاتمة أن قُتل ظالم وهدم بناؤه<sup>(٣)</sup>.

ولم يقف تيار حب المنافسة عند هذا الرجل، بل تعداه إلى رجل من جهينة يقال له: عبد الدار بن حديب، فقد قال لقومه:

(١) راجع: الأغاني، ج ١٩، ص ٢٠.

(٢) راجع: القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٨٢.

(٣) القاموس المحيط، ج ٢، ص ٢٠١.

هلمّ نبي بيتاً نضاهي به الكعبة، ونعظمه حتى نستميل به كثيراً من العرب، فأعظموا ذلك، وأبوا عليه، فقال في ذلك:

ولقد أردتُ بأن تقامَ بنيةٌ  
ليست بحوبٍ أو تطيف بمأثمٍ  
فأبى الذين إذا دُعُوا لعزيمةٍ  
راغوا ولاذوا في جوانبِ قودمٍ  
يلحونَ ألاَّ يُؤمروا فإذا دُعُوا  
ولّوا وأعرض بعضهم كالأبكم<sup>(١)</sup>

وسار على هذا الطريق أبرهة، فبنى كنيسة المعروفة، مضاهياً بها بيت الله الحرام، فخاب سعيه من مبتداه.

إن هذا التجول السريع يعرفنا بأن الكعبة وما يصاحبها من شعائر، كانت تشغل حيزاً في حياة العرب عامة، وليس الحديث عن محاولة مضاهاتها بكنيسة مبنياً على أساس الصياغة العكسية للتاريخ، والتي يكون الكاتب فيها أسيراً لحقيقة قائمة بين يديه يعتقد عظمتها فيأخذ في كتابة تاريخية لما سبق وهو ناظر لتلك القمة، ويريد أن يصل بالأحداث إليها، فيوجه الحوادث في الاتجاه الذي ينتهي به إلى الذروة<sup>(٢)</sup>.

(١) معجم البلدان، ج ٤، ص ٤١١.

(٢) تاريخ قريش، ص ٥٤-٥٥.



## متى كان عام الفيل؟

لعل بعض القراء يفاجأ إذا ما عرف أن عام الفيل مختلف فيه، فقد اشتهر بين الناس أن عام الفيل كان عام ميلاد خاتم الأنبياء ﷺ، والذي يؤرّخ بعام ٥٧١ م.

ولكن متى علمنا أن من المؤرخين من يفكك بين الحدثين سهل علينا فهم الأمر، فقد اختلفوا في تاريخ الحدثين اختلافاً شديداً.

إن المشهور هو أن ميلاد النبي ﷺ كان عام الفيل، وقد حدّدوا الفاصل بالأيام أو الشهور، فقالوا: كان الميلاد النبوي بعد الفيل بشهر، أو بأربعين يوماً، أو بخمسين يوماً، أو بخمس وخمسين، أو بشهرين وعشرة أيام<sup>(١)</sup>.

وهناك من خالف ذلك، فذكر أن الميلاد النبوي كان بعد عام الفيل بـ:

- عشر سنين<sup>(٢)</sup>.
- أو خمس عشرة سنة<sup>(٣)</sup>.
- أو عشرين سنة<sup>(٤)</sup>.

(١) السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٤٩٦.

(٢) السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٤٩٦، السيرة النبوية لابن كثير، ج ١، ص ٢٠٣.

(٣) السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٤٩٦.

(٤) السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٤٩٦.

- أو ثلاث وعشرين سنة<sup>(١)</sup>.
- أو ثلاثين سنة<sup>(٢)</sup>.
- أو أربعين سنة<sup>(٣)</sup>.

### التعارضات التاريخية

عندما ننساق مع ما نقله المؤرخون سنواجه أحداثاً لا يمكن التوفيق بينها؛ فإننا نعرف أن أبرهة لم يكن آخر حاكم لليمن من قبل الحبشة، ولم ينته ملك الأحباش بموته، فلقد حكم بعده ولده يكسوم، ثم ولده مسروق، وبعده جاء حكم سيف بن ذي يزن الذي لقيه عبدالمطلب ﷺ يوم وفد عليه ضمن وفد مكة.

إن عبدالمطلب الذي كان حاضراً في واقعة الفيل، قد أدرك حكم يكسوم ومسروق، وعاش نهاية دولة الأحباش وانتقالها لملك سيف بن ذي يزن.

إننا وفق هذه المعطيات التاريخية علينا أن نرتب الأحداث بهذه الطريقة للرأي المشهور لولادة النبي ﷺ عام الفيل:

نهاية حكم أبرهة: ٥٧١، وهو عام ولادة النبي ﷺ.

حكم يكسوم ومسروق: وأقل تقدير لحكمهما عشرون سنة.

(١) السيرة النبوية لابن كثير، ج ١، ص ٢٠٣.

(٢) البداية والنهاية، ج ٢، ص ٣٢٢، السيرة النبوية لابن كثير، ج ١، ص ٢٠٢.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير، ج ١، ص ٢٠٣، تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٧.

بداية حكم سيف بن ذي يزن: وكان عمر النبي ﷺ سنتين أو ثلاث سنوات.

إن بين نهاية حكم أبرهة وبداية حكم سيف سنين متعددة، ولو حاولنا تليق السنين لنخرج بأقل عدد لمدة الحكم، فتخيرنا لكل حاكم أقل ما ذكر من السنين فإننا سنحصل على عشرين سنة، وهي مدة قد عاشها عبدالمطلب ﷺ معاصراً لهؤلاء الحكام.

ويتفق المؤرخون على أن رسول الله ﷺ عند موت جده عبدالمطلب كان عمره في الثامنة، وهذا لا يتفق مع العرض التاريخي المذكور، فإنه يستلزم أن يكون عبدالمطلب قد زار صنعاء بعد عام ٥٩٧م، وهذا مستحيل؛ لأن وفاته كانت سنة ٥٧٨ أو ٥٧٩م<sup>(١)</sup>.

وسنجد أمام هذا التعارض وجهات نظر، هي:

أولاً: أن يتنازل الباحث عن كون الميلاد النبوي عام الفيل، وبذلك يتخلص من كل التعارضات، وسيكون في الآراء التي ذكرت فيما سبق مجال واسع، وسيتناسب بعضها مع ما يقال من كون الفارق بين عام الفيل والميلاد النبوي ثلاثين سنة أو أكثر من ذلك، ولن يكون هناك أي محذور مع ما يذكر من أن وفاة سيف بن ذي يزن كانت في عام ٥٧٤م<sup>(٢)</sup>؛ أي بعد ميلاد النبي ﷺ بثلاث سنين.

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ٢١٦.

(٢) الموسوعة العربية العالمية، ج ١٣، ص ٣٩٣.

وسيكون ترتيب الأحداث هكذا:

- حادثة الفيل ونهاية أبرهة - قبل الميلاد النبوي بثلاثين سنة أو أكثر.
- جاء الميلاد النبوي عام ٥٧١ م.
- زار عبدالمطلب سيف بن ذي يزن وعمر النبي ﷺ ستان.
- توفي سيف بن ذي يزن بعد ذلك بسنة وعمر النبي ﷺ ثلاث سنين.
- توفي عبدالمطلب وعمر النبي ﷺ ثمان سنين.

ويؤيد هذا القول أن بناء الكنيسة - كما سبق ذكره - كان سنة ٥٤٢ م<sup>(١)</sup>، ومن المستبعد أن تبقى الكنيسة ٢٩ سنة دون أن يتعرض لها أحد، مع أن المخطط كان واضحاً، فقد استهدف بناؤها صد الناس عن البيت الحرام، ولو رجعنا لسير الأحداث المرتبطة ببناء الكنيسة ثم تعرضها للتلويث من قبل بعض العرب، لكان من البعيد القبول ببقاء الكنيسة ٢٩ سنة دون أن يتعرض لها متعرض، ثم يأتي بعد كل هذه السنين من استشعر المخطط، وعرف المراد فقام بفعلته.

ثانياً: أن يغض الباحث طرفه عن مدة حكم الأحباش في اليمن، وتكون نهاية أبرهة سنة ٥٧١ م، ثم تداعت الدولة بملك

(١) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ١٧٤.

ولديه يكسوم ومسروق، ولم يكن حكمهما شيئاً يذكر، فقد استتبت الأمور بعد سنتين لخصمهما سيف، وأصبحت الوفود تفتد عليه لتهنئته بالملك.

وهذا ما تسير عليه كتب التاريخ، فإنها تذكر الأحداث متتالية، فإذا ما وزعنا السنين عليها عرفنا أنهم وإن لم يذكروا ذلك صراحة، إلا أن ترتيبهم للأحداث يسير وفق هذه القناعة، وفيه تخلص من كل تعارض بين الأحداث، ولكن سيكون فيه تجاوز لنقل المؤرخين لسنين ملك أبناء أبرهة من بعده، وسيبرر ذلك بأن المؤرخين قد اختلفوا في مكث الحبشة في اليمن اختلافاً متفاوتاً<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: أن يفصل الباحث بين تاريخ عبدالمطلب وتاريخ اليمن، ويجعل نقطة الالتقاء يوم جاء أبرهة بجيشه، ثم يصرف نظره عن الوفادة على سيف بن ذي يزن، ويغض طرفه عن تاريخ بناء الكنيسة.

وهذه محاولة لا تعتمد على مبررات تاريخية، بحيث يسير الباحث وفق أخبار متناثرة تقوده لهذه القناعة، بل هي قناعة مبيتة تنسق وفقها الأحداث، ثم يستبعد من طريقها كل ما لا يتلاءم معها.

(١) راجع المعارف، ص ٦٣٨، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ٢١٥.

## محصلة البحث

إن من الواضح أن الرؤية لتلك الحقبة ليست واضحة، وتفتقر لكثير من النقاط التاريخية التي يُعتمد عليها، ولهذا لا يمكن القطع برأي دون آخر، وستجد من يطمئن بكون الميلاد النبوي كان عام الفيل لكثرة من نقله من المؤرخين المسلمين، وكذلك ستجد من يفرق بين الميلاد النبوي وحملة الفيل للاطمئنان بما ذكر من نقل بعض المؤرخين، ولهذا تبقى المسألة في دائرة الاحتمال فقط.



## الباب السادس



### مقاماته الإلهية

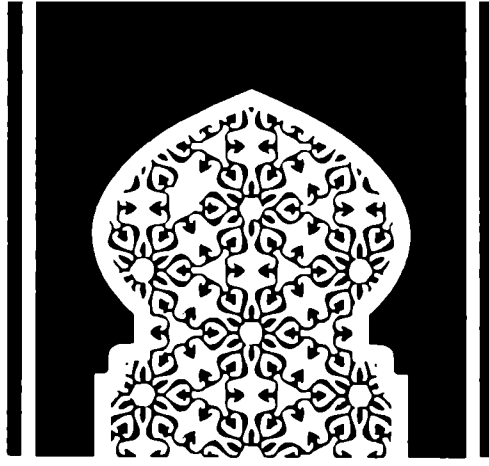
○ حجة الله

○ شواهد الاجتباء لحجة السماء

○ تمجيد السماء لعبدالمطلب







## الفصل الأول



# حجة الله

### حيرة المفكرين في عبدالمطلب

باب يفرض نفسه على كل كاتب، وتظل عين القارئ تبحث عنه بعد تجوالها في جوانب حياة عبدالمطلب عليه السلام.

من هذا الذي نهض بكل هذه الأدوار؟ أتراه شخصاً من عامة الناس؟ أم تراه أعرابياً لا يعرف أبعد مما تقع عليه عيناه؟

لقد أعجبتني إجابة أحد مدرسي الجامعات حينما سُئل عن عبدالمطلب فقال:

إن قلت إنه نبي فلا أجد دليلاً على ذلك، وإن قلت إنه شخص عادي فالواقع يمنعني.

إنها حيرة فكرية واضحة وجلية، ولا يزيلها إلا ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام من أنه حجة لله سبحانه وتعالى.

هلمّ فاقراً ما دوّنه ابن أبي الحديد من كلام أبي عثمان، فقد

قال:

وقد أعطى الله عبدالمطلب في زمانه وأجرى على يديه وأظهر من كرامته ما لا يعرف مثله إلا لنبي مرسل، وإن في كلامه لأبرهة صاحب الفيل، وتوعده إياه برب الكعبة، وتحقيق قوله من الله تعالى، ونصرة وعيده بحبس الفيل، وقتل أصحابه بالطير الأبايل وحجارة السجيل؛ حتى تركوا كالعصف المأكول - لأعجب البرهانات وأسنى الكرامات، وإنما كان ذلك إرهاباً لنبوة النبي ﷺ، وتأسيساً لما يريد الله به من الكرامة، وليجعل ذلك البهاء متقدماً له، ومردوداً عليه، وليكون أشهر في الآفاق، وأجلّ في صدور الفراعنة والجبابرة والأكاسرة، وأجدر أن يقهر المعاند ويكشف غباوة الجاهل<sup>(١)</sup>.

لقد رأينا أبا عثمان يفسّر الحدث ويحلّل ما جرى بأنه إرهاب وتهيئ لمقدم النبي ﷺ مبعوثاً بخاتم الأديان، ولكنه لا يحمل تحليلاً لصاحب هذا الدور، ولا يكشف عن خصائص هذا الشخص الذي يشبه فعله فعل الأنبياء والمرسلين.

إنني في كل ما قرأت من كتب غير الإمامية أجد إقراراً بخصائصه ومزاياه، ولكن لا أرى تحليلاً دقيقاً لشخصية عبدالمطلب يتناسب مع هذه الأحداث والخصائص.

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢٠١.

## حجة الله

لم أجد حيرة عند الكتاب كما هي عند حديثهم عن شيبة الحمد، فقد طافت عيونهم حول سجاياه، ونهلت عقولهم من فيض نداءه، فارتعشت أقلامهم وهي تحاول أن ترسم حروف لقبه الشريف الذي يتناسب معه.

أي لقب يمكن أن يرتديه هذا القديس فلا يضيق به؟ وأي صفة تطلق عليه فتحتوي مواهبه العظيمة؟

إن من تخاطبه السماء بطرقها الخاصة ليس إنساناً كغيره، ومن تسمع السماء تمتمات شفتيه فتستجيب له لا يمكن تجاهل قدره..

أتراه نبياً قد جهله قومه؟ أم تراه نبياً لم يستطع أن يبين ما يحمل من أوسمة الشرف، ولم تحتمل عقول الأقرام أن يكون ابن هاشم نبياً.

إنني أرى من يتبنى هذا الرأي قد استند على رواية جاءت متحدثة عن السلسلة الشريفة التي كانت محط شرف النور النبوي، فقد كان ينتقل من صلب نبي لصلب نبي آخر.

وأجدهم قد توكؤوا على وارد من الأحاديث في صفته يوم الحشر، فقد رسمته ألفاظ الروايات مرتدياً لسيماء الأنبياء عليهم السلام.

ولن يعدم الدليلان من المناقشة، فإن من تبدو عليه سيماء الأنبياء أعم من أن يكون نبياً، فلربما كان صالحاً قد حمل من سيماء الأنبياء شيئاً وفيراً.

ولعل الكلمة التي تخلي قائلها من أي مسؤولية التوصيف  
بـ(حجة)<sup>(١)</sup> على لسان الإمام الصادق عليه السلام، والرضا من آل  
محمد عليهم السلام دقيق جامع<sup>(٢)</sup>.

### ما المقصود بالحجة؟

ما أكثر استعمال كلمة «الحجة» على ألسنتنا! ومتى ما حامت  
عقولنا حول أهل البيت عليهم السلام دعوناهم بحجج الله سبحانه وتعالى.

فيا ترى ما معنى الحجة؟

### مع علماء اللغة

لقد تعددت المعاني التي طرحها اللغويون للحجة، وهي  
كما يلي:

- الحجة: هو البرهان والدليل.

- والحجة: ما دفع به الخصم.

- وهو الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة.

وقد عللوا تسمية الحجة فقالوا: لأنها تُحجُّ، أي: تقصد؛  
لأن القصد لها وإليها<sup>(٣)</sup>.

(١) الدر النظيم، ص ٤٠.

(٢) الخصال، ص ٥٧.

(٣) راجع لسان العرب، ج ٢، ص ٢٢٨.

ولو رتبنا الأفكار من خلال معطيات اللغويين لخرجنا بهذه النتيجة:  
 إن الحجة هو ما يقصد، وناتج القصد استفادة البرهان  
 والدليل، وبه يدفع الخصم ويتحقق الظفر.  
 ومتى ما نظرنا إلى حجج الله عز وجل فسنجد أنهم من أمرنا  
 بقصدهم، ومتى ما قصدوا كانوا برهان الحق ودليل الصدق، ويوم  
 تجمع الخلائق فإنهم سيكونون ما يدفع به خصومة أهل اللجاج،  
 والزاعمين الجهل بما يريد الله سبحانه وتعالى.

### مع علماء العقيدة

#### الشيخ المازندراني قده

وله رأي في الحجة ونظر، فإنه يقول:

- الحجة هي الغلبة، وهذا أساس الوضع اللغوي.

- ثم شاع استعمالها وغلب في البرهان؛ وذلك من باب  
 المجاز أو الحقيقة العرفية.

- وأما في عرف المشرعة فتطلق على الهادي إلى الله<sup>(١)</sup>  
 المنسوب من قبله<sup>(٢)</sup>.

(١) قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم عليه السلام إلا  
 وفيها إمام يهتدى به إلى الله، وهو حجته على عباده. (الكافي، ج ١، ص ١٧٩).  
 (٢) راجع شرح أصول الكافي، ج ٥، ص ٧٦.

وقال كذلك: الحجة هو الذي له علم كامل لا يعتريه الجهل والنقصان، وفضل شامل لا يفوته شيء وجد في ساحة الإمكان؛ حتى يصح الاستدلال به على صدق كل ما يأتيه من الكلام، وسير جواز عدالته بين فرق الأنام.

وعبر عن هاتين الصفتين بأنهما أصلان يتفرع عليهما سائر الصفات اللائقة بالحجة<sup>(١)</sup>.

### السيد علي الميلاني حفظه الله

- الإمام حجة لله سبحانه وتعالى على خلقه، والخلق أيضاً إن انقادوا لهذا الإمام، وامثلوا أو امره، وطبقوا أحكامه، وأخذوا بهديه وسيرته، سوف يحتجون بين يدي الله سبحانه وتعالى بهذا الإمام.

إذن، الإمام يكون حجة الله على الخلائق، وحجة للخلائق إذا كانوا مطيعين له عند الله سبحانه وتعالى، ولذا يكون قول المعصوم حجة، وفعل المعصوم حجة، وتقرير المعصوم حجة<sup>(٢)</sup>.

### الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ

- جعلهم حججاً ليتمكن الخلق من الوصول إلى معارفهم الحقة والتكاليف الواقعية، المشتملة على المصالح، العايد للناس نفعها في نظام معادهم ومعاشهم.

(١) شرح أصول الكافي، ج ٥، ص ٨٢.

(٢) راجع العصمة، ص ٢٢.

هو جعل ما به يكون لله على الناس الحجة ولا يكون لهم عليه الحجة...

لو رجعوا إليه لأوصلهم إلى ما يضمن لهم سعادة الدارين، وذلك حاصل في كل عصر، ولا يخلو عصر من العصور عن وجود حجة لله على الناس، لو رجعوا إليه لبلَّغهم إلى معارفهم<sup>(١)</sup>.

### الشيخ الطريحي قُدِّسَتْ

ويستفاد من كلامه أن الحجة يبلِّغ الأوامر والنواهي فيكون ذلك حجة لله عز وجل على الخلق<sup>(٢)</sup>.

### المستفاد من الروايات

عددت الروايات شيئاً مما يرتبط بالحجة، ومن ذلك:

١- به يدفع البلاء عن أهل الأرض.

٢- به ينزل الغيث.

٣- به يخرج بركات الأرض<sup>(٣)</sup>.

٤- يهتدى به إلى الله<sup>(٤)</sup>.

(١) بداية الوصول، ج ٥، ص ٢٩٤.

(٢) مجمع البحرين، ج ١، ص ٤٥٩.

(٣) كمال الدين، ص ٣٨٤، من حديث للإمام العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ، وصدر الرواية:

إن الله تبارك وتعالى لم يخل الأرض منذ خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا يخلها إلى أن

تقوم الساعة من حجة لله على خلقه، به يدفع البلاء...

(٤) الكافي، ج ١، ص ١٧٩.

## شبهة الحمد حجة السماء

عزيزي القارئ، بعد أن طفنا حول ما ذكره اللغويون وعلماء العقيدة، هلمّ نحو عبدالمطلب لترى كيف أنه كان واحداً من حجج الله عز وجل على الخلق.

ولا تعجب -عزيزي القارئ- من هذا التعبير عن عبدالمطلب، ولا تستوحش منه، فقد ذكره العامة لآخرين اعتقدوا فيهم.

لقد قال القرطبي: ... لم تكن فترة إلا وفيها من يوحد الله، كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وسطيح، وورقة بن نوفل.. فهؤلاء ومن كان مثلهم حجة على أهل زمانهم وشهد عليهم<sup>(١)</sup>.

مع أنك لو حاولت سرد مزايا هؤلاء الذين ذكروهم لوجدت أنهم لا يقاسون بعبدالمطلب، بل ومن انعدام المقاييس أن يذكروا معه في سياق واحد.

## صريح الروايات

ليست هناك طريقة يعرف بها حجج الله على الخلق أكثر وضوحاً من النص الصريح، وقد حظي عبدالمطلب بهذا النوع من الأدلة، ومن أشهرها ما تناقلته كتب الإمامية من قول الصدوق ثُمَّ:

(١) تفسير القرطبي، ج ١٠، ص ١٦٤.



وروي أن عبدالمطلب كان حجة وأبا طالب كان وصيه<sup>(١)</sup>.

ولعلك تلاحظ أن الصدوق لم يذكر اسم الإمام الذي قالها، بل أضمر، إلا أن صاحب الدر النظيم قد أورد الرواية مع فارق واحد وهو حذف كلمة كان، وقد أسندها للإمام الصادق عليه السلام، فقال:

وقال عليه السلام: إن عبدالمطلب حجة، وأبو طالب وصيه<sup>(٢)</sup>.

والرواية السابقة على هذه الرواية كانت عن الإمام الصادق عليه السلام، وهو ينقل الروايتين من كتاب مدينة العلم، والذي ألفه الشيخ الصدوق رحمته الله، ولكنه فقد.

وليست هذه الرواية الوحيدة المصرح فيها بكون عبد المطلب حجة، بل هناك رواية أخرى عن الإمام الرضا عليه السلام يقول فيها: ولولا أن عبدالمطلب كان حجة<sup>(٣)</sup>.

وأختم الكلام بقول عبدالمطلب عليه السلام:

لم يزل لله فينا حجة يدفع الله بها عنا النقم<sup>(٤)</sup>

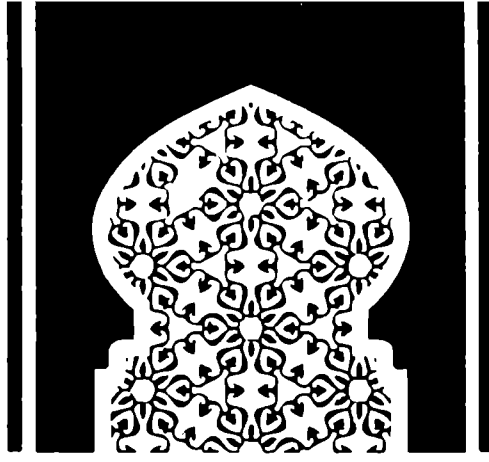
(١) الاعتقادات في دين الإمامية، ص ١١٠.

(٢) الدر النظيم، ص ٤٠.

(٣) الخصال، ص ٥٧.

(٤) تاريخ يعقوبي، ج ١، ص ٢٥٤.





## الفصل الثاني



### شواهد الاجتباء لحجة السماء

ما أكثر المدّعين للمقامات العالية، وما أكثر من يُدعى لهم ذلك، ولكن...

إذا اشتبكت دموعٌ في حدودٍ  
تبيّن مَنْ بكى ممن تباكى

بل وكما قالوا:

وكلُّ يدّعي وصلأً بليلى  
وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا

لقد أرانا التاريخ في ثنايا الأحداث عجباً، فذاك خليفة الله في أرضه جاهل بكتابه وحكمه، وهذا خليفة رسول الله ﷺ ولا يعرف ما قال ولا ما فعل، وذاك حجة الله على الخلق ودعاؤه قد أغلقت أمامه أبواب السماء.

عزيزي القارئ، لقد كان فيما نقلته من الروايات ما يكفيني  
ويكفيك، ولكن كما نطالب الآخرين بالدلائل والشواهد، فإنهم  
سيطالبوننا بذلك؛ لذا سأطرح بين يديك ما انتخبته في مقدمة  
البحث من الشواهد الدالة على الاصطفاء والاجتباء للحجج على  
الخلق، وهي أربعة:

١ - إجابة الدعاء منه.

٢ - تفجّر بركات الأرض له.

٣ - الاهتداء به.

٤ - دفع البلاء ببركاته.

فهلمّ إلى تفاصيل النقاط السابقة، كي نحيط بها خبراً.

### ١ - إجابة الدعاء بسقيا السماء

يختلف أهل الأديان فيما بينهم، ويتمسك كل فريق بمعتقده،  
ثم لا يجدون حلاً إلا أن يتوجهوا للسماء لتفصل بينهم، فترفع  
الأكف سائلة ربها، وتعود كف بخير العطاء، وتردُّ أخرى خائبة  
خاسرة.

لقد عرف الناس أن أبواب السماء لا تفتح لأي كلمات  
تقرعها، وأن سحب الرحمة لا تجمعها أي كف ترتفع للسماء، بل  
هناك صفوة من الخلق متى ما رفعوا أكفهم كانت الإجابة حليفة  
دعائهم، ولم يخيبوا قط في دعاء، فهلمّ معي لترى إجابة الدعاء  
من شيبة الأصفياء عليه السلام.

## الحادثة الأولى

مرّت سنتان على قريش، والجذب حليفها، فقد منعت السماء قطرها، فمن لهذه المعضلات غير بقايا الأشراف السادات.

لقد قرّب المؤرخون تلك السنوات، فذكروا أن الرسول ﷺ كان رضيعاً في القماط، وهو في رعاية جده عبدالمطلب عليه السلام.

التفت عبدالمطلب إلى ولده أبي طالب، وطلب منه أن يحضر النبي ﷺ، فجاء أبو طالب حاملاً النبي الأكرم ﷺ حتى وضعه على يدي والده، فاستقبل عبدالمطلب الكعبة ورماه إلى السماء، وقال: يا رب بحق هذا الغلام، ورماه ثانياً وثالثاً، وكان يقول: بحق هذا الغلام، اسقنا غيثاً مغيثاً دائماً هاطلاً، فلم يلبث ساعة أن طبق السحاب وجه السماء، وأمطر حتى خافوا على المسجد، وأنشد أبو طالب ذلك الشعر اللامي، منه:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه  
ثمأل اليتامى عصمةً للأرامل<sup>(١)</sup>

## الحادثة الثانية

وقد حفل بها كثير من مصادر العامة، وتروىها رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم، فتقول:

تتابع على قريش سنوات أقحلت الضرع، وأرقت العظم، فبينما

(١) الملل والنحل، ج ٢، ص ٢٤٠.

أنا راقدة - اللهم - أو مهوومة، فإذا هاتف يصرخ بصوت صحل يقول:  
معشر قريش، إن هذا النبي المبعوث قد أظلتكم أيامه، وهذا  
إبان نجومه، فحيّ هلا بالحيا والخصب.

ألا فانظروا رجلاً منكم، وسيطاً، عظاماً، جساماً، أبيض، بضاً،  
أوظف الأهداب، سهل الخدين، أشم العرنين، له فخر يكظم عليه،  
وسنة تهدي إليه، فليخلص هو وولده، وليهبط إليه من كل بطن  
رجل، فليشئوا من الماء، وليمسوا من الطيب، ويستلموا الركن، ثم  
ليرقوا أبا قبيس، ثم ليدع الرجل وليؤمّن القوم، فغثم ما شئتم.

فأصبحت - علم الله - مذعورة، اقشعرّ جلدي، ووله عقلي،  
واقصصت رؤيائي، ونمت في شعاب مكة، فوالحرمة والحرم، ما  
بقي أبطحي إلا قال: هذا شيبة الحمد.

وتناهت إليه رجالات قريش، وهبط إليه من كل بطن رجل،  
فشئوا الماء، ومسوا، واستلموا، ثم ارتقوا أبا قبيس، واصطفوا حوله  
ما يبلغ سعيهم مهله، حتى إذا استووا بذروة الجبل قام عبدالمطلب  
ومعه رسول الله ﷺ غلام قد أيفع أو كرب، فاعتضد ابن ابنه  
محمدًا، فرفعه على عاتقه<sup>(١)</sup>، ثم قال:

اللهم سادّ الخلة، وكاشف الكربة، أنت معلّم غير معلّم، مسؤل  
غير مبخل، وهذه عبداؤك وإماؤك بعذرات حرمك يشكون إليك  
ستهم، أذهبت الخف والظلف، اللهم فأمطرن الذي علينا مغدقاً مرتعاً.

(١) هذه العبارة موجودة في البحار، ج ١٥، ص ٤٠٤.

فورب الكعبة، ما راموا حتى تفجرت السماء بما فيها،  
واكتظ الوادي بثجيجه، فسمعت شيخان قريش وجلتها:  
عبدالله بن جدعان، وحرب بن أمية، وهشام بن المغيرة، يقولون  
لعبدالمطلب: هنيئاً لك أبا البطحاء - أي عاش بك أهل البطحاء -.

وفي ذلك ما تقول رقيقة بنت أبي صيفي:

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا  
وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر  
فجاد بالماء جوني له سبل  
سحاً فعاشت به الأنعام والشجر  
منا من الله بالميمون طائر  
وخير من بشرت يوماً به مضر  
مبارك الأمر يستسقى الغمام به  
ما في الأنام له عدل ولا خطر<sup>(١)</sup>

### تعقيب (١)

اختص اليعقوبي ببعض اللفات في رصد هذا الخبر، ومن ذلك:  
- إن قريشاً فرغت إلى عبدالمطلب وقالت: قد سقانا الله  
بك مرة بعد أخرى، فادع الله أن يسقينا، وسمعوا صوتاً ينادي من  
بعض جبال مكة... ثم ذكر شبيه ما سمعته رقيقة.

(١) راجع كتاب الدعاء للطبراني، ص ٦٠٥ - ٦٠٦، ومجمع الزوائد، ج ٢،  
ص ٢١٤ وغيرهما.

- وقال: فخرج عبدالمطلب ومعه رسول الله، وهو يومئذ مشدود الإزار<sup>(١)</sup>.

## تعقيب (٢)

لقد قدّم صاحب الملل والنحل لتوسل عبدالمطلب بالنبى ﷺ بقوله:

ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة...<sup>(٢)</sup>.

وأما الشيخ الأمين تندرث فقد قال في الغدير:  
فاستسقاء عبدالمطلب وابنه سيد الأبطح بالنبى الأعظم  
يوم كان ﷺ رضيعاً ويافعاً يعرب عن توحيدهما الخالص،  
وإيمانهما بالله، وعرفانهما بالرسالة الخاتمة، وقداسة صاحبها من  
أول يومه، ولو لم يكن لهما إلا هذين الموقفين<sup>(٣)</sup> لكفياهما، كما  
يكفيان الباحث عن دليل آخر على اعتناقهما الإيمان<sup>(٤)</sup>.

## ٢- كرامة السماء بتفجير الماء

سل الصحراء كم ضمّت في حناياها من القوافل التائهة،  
وسل ذبول الرمال كم لفّعت أبطالاً تقتلع قلوب الرجال، ولعلك  
لا تمر بتلعة إلا ووجدت عندها بقايا البشر، الذين جفّت أحشاؤهم

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢.

(٢) الملل والنحل، ج ٢، ص ٢٤٠.

(٣) كذا في المطبوع من المصدر.

(٤) الغدير، ج ٧، ص ٣٤٦ - ٣٤٧.



من العطش، وذبلت شفاههم من الظمأ.

هنا وهناك قصص لركب مرّ، أو راكب فرّ، فأصبح لهم في الصحراء مستقر، وما خشعت الصحراء لأنينهم، وما سكبت السماء دمعها كرامة لهم.

فباللّه قل لي من هذا الذي تأبى السماء أن تكون نهايته بين ذيول الصحراء؟ ومن هذا الذي رقت له طبقات الأرض حتى أخرجت من بين حناياها منبعاً زلالاً؟!!

وحقّ من وطأ السماء بقدمه، وشرف بساط القدرة بمقدمه، ضلّ عني دليلي أمام هذه القامة المديدة، واعترف بياني بالتقصير عن بيان حقه، فاقبل المعذرة سيد الوادي وشيخ الأصفياء.

لسنا -عزيزي القارئ- أمام حادثة واحدة؛ ليقال: صدفة حدثت، ونادرة بدرت صنعت منها مجداً مؤثلاً، ولكن ليعلم كل معاند أن الله عز وجل قد أكرم عبدالمطلب بإخراج بركات الأرض أكثر من مرة، ودونك الأخبار فاستقصها.

### الحادثة الأولى

وتعدّدت الروايات المتحدثة عن كرامة عبدالمطلب، والمؤرخون بين موجز ومطنب<sup>(١)</sup>، وسأختار مصدراً واحداً لهذه

(١) من المصادر: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٤٩، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٤٧، ومصادر أخرى ستجدها فيما بعد.

القضية، وهو السيرة النبوية لابن هشام<sup>(١)</sup>، وهو يرويها عن أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد بدأت خيوط الحادثة حينما كان عبدالمطلب يحفر بئر زمزم، ولم يكن معه إلا ولده الحارث، وأما قريش فلم تكن متوقعة الظفر بالماء؛ ولهذا أعرضوا عن المشاركة معه في طلبه.

وبدأ عبدالمطلب في مهمته، حتى إذا بداله الطيُّ كَبَّرَ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا: يا عبدالمطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقاً، فأشركنا معك فيها.

قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم، وأعطيته من بينكم، فقالوا له: فأنصفنا، فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد هذيم، قال: نعم.

قال: وكانت بأشراف الشام، فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، قال: والأرض إذ ذاك مفاوز.

قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبدالمطلب وأصحابه؛ فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش، فأبوا عليهم،

(١) ج ١، ص ٩٢.

وقالوا: إنا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم.

فلما رأى عبدالمطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه، قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك، فمرنا بما شئت، قال: فإني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه، حتى يكون آخركم رجلاً واحداً، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً، قالوا: نعم ما أمرت به، فقام كل واحد منهم فحفر حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً.

ثم إن عبدالمطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضرب في الأرض، ولا نبتغي لأنفسنا لعجز، فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد، ارتحلوا، فارتحلوا، حتى إذا فرغوا -ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون- تقدّم عبدالمطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب؛ فكبر عبدالمطلب، وكبر أصحابه. ثم نزل فشرب، وشرب أصحابه، واستقوا حتى ملؤوا أسقيتهم، ثم دعا القبائل من قريش، فقال: هلمّ إلى الماء، فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا، فجاؤوا فشربوا واستقوا.

ثم قالوا: قد -والله- قضي لك علينا يا عبدالمطلب، والله لا نخاصمك في زمزم أبداً، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلّوا بينه وبينها.

## تعليق (١)

حينما نرجع إلى سيرة ابن إسحاق<sup>(١)</sup> نجد أن عبدالمطلب قد خرج في نفر من بني أبيه، وهم بنو عبد مناف، وذكر قسم من المؤرخين: ومعه نفر من بني عبد مناف<sup>(٢)</sup>.

وأما ابن كثير فقد تحولت عنده العبارة إلى بني أمية، وقد ذكر ذلك في البداية والنهاية<sup>(٣)</sup>، وفي السيرة النبوية<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا التغيير نقل لبني أمية من كفة المنازعين وأهل الحسد إلى كفة أنصار العدل والحق، وفي المقام ما لا أحتاج لذكره، فأنت خير بذلك.

## تعليق (٢)

لقد تعرض الدكتور حسين مؤنس لهذه القضية، ولكن زلت قدمه، وسار في غير طريق أهل التاريخ، ولم يتبع منهجهم.

لقد ذكر قضية نبوع الماء لعبدالمطلب تحت أخفاف ناقته، والذي اعتبرته قريش حكماً إلهياً بأن زمزم تابعة له، واستغنوا بذلك عن حديث الكهان، ولكنه حوَّله بقدرته وخياله إلى قصة

(١) ج ١، ص ٤.

(٢) راجع الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٣، وشرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢٢٨.

(٣) ج ٢، ص ٣٠٣.

(٤) ج ١، ص ١٦٩.

من قصص اكتشاف الآبار عند عبدالمطلب، فقال: وحفر بئراً أخرى في موضع مفازة معطشة كانت قوافلهم تسير فيها، فثبت لهم امتيازها، فاعترفوا له بحقه في ماء زمزم<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن هذه جناية تاريخية، وإضافة على الحدث غير موجودة، بل وسوء فهم للحدث، فإن بئر زمزم كانت موجودة، وتمّ إعادة حفرها، وأما هذه القصة فتحدث عن تفجر الماء تحت أخفاف ناقته.

### الحادثة الأخرى

وهي قضية اشتهرت في كتب التاريخ، وأشارت لها كتب اللغة كذلك، وفيها طول واضح، وتفصيل لا نحتاج إليه، ولهذا سأقتصر على المهم من القضية.

وتدور رحي الحادثة حول ماء كان لعبدالمطلب بالطائف، ويسمى ذا الهرم، وقد احتفره عبدالمطلب بعد فراغه من حفر بئر زمزم.

وكان عبدالمطلب يتعاهد هذا الماء، فيأتي عنده فيقيم، ويبدو أن المكان أصبح مكاناً للزراعة؛ إذ يعبر عنه بالمال<sup>(٢)</sup>.

فجاء ذات مرة فوجد عنده قوماً، عبّر عنهم اليعقوبي بحيين

(١) تاريخ قريش، ص ١٤٨.

(٢) كتاب المنق، ص ٩٤.

من قيس عيلان، وهم بنو كلاب، وبنو الرباب<sup>(١)</sup>، وأما المؤرخون الآخرون فذكروا أنهم ثقيف، وتزعم القوم جندب بن الحارث الثقفي.

بدأت الخصومة بين عبدالمطلب والآخرين، فاتفقوا على المنافرة إلى الكاهن العذري وهو (عزى سلمة)، والذي يسكن الشام، أو كما قيل: إلى سطيح<sup>(٢)</sup>.

واتفقوا على مئة من الإبل للغالب، وللکاهن عشرون، ويتحمل الجميع المغلوب.

لقد سار عبدالمطلب ومعه ولده الحارث ونفر من قومه، فلما كانوا ببعض الطريق نفذ ماء عبدالمطلب، فسأل عبدالمطلب القوم ماءً فأبوا عليه، وقالوا: أنتم الذين تخاصموننا وتنازعوننا في مائنا، والله لا نسقيكم.

فقال عبدالمطلب: أيهلك عشرة من قريش وأنا حي؟! لأطلبن لهم الماء حتى ينقطع خيط عنقي وأبلي عذراً.

فركب راحلته وأخذ الفلاة، فبينما هو فيها إذ برکت راحلته، وبصر به القوم، فقالوا: هلك عبدالمطلب، فقال القرشيون: كلا، والله لهو أكرم على الله من أن يهلك، وإنما مضى لصلة الرحم<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٤٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٤٩.

(٣) تجد هذا التفصيل عند اليعقوبي دون غيره، ج ١، ص ٢٤٩.

لقد أناخت الراحلة بعبدالمطلب حتى ظن أنه قد هلك، ولكن اقرأ ما يقوله صاحب الطبقات الكبرى: ففجّر الله لهم عيناً من تحت جران بعير عبدالمطلب، فحمد الله عز وجل، وعلم أن ذلك منه<sup>(١)</sup>.

وجاء القوم ليروا خاتمة عبدالمطلب، فانتهوا إليه وراحلته تفحص بكركرتها على ماء عذب روي، قد ساح على ظهر الأرض، فشب القرشيون ريّهم، وحملوا حاجتهم.

ونفذ ماء الثقفين فبعثوا إلى عبدالمطلب يستسقونه، فقال الحارث لأبيه عبدالمطلب: والله لئن فعلت لأضعن سيفي في إهابي، ثم لأنتحين عليه حتى يخرج من ظهري، فقال له: يا بني، اسقهم ولا تفعل ذلك بنفسك<sup>(٢)</sup>، وقال: خلّوا القوم؛ فإن الماء لا يمنع.

وختام الأمر قضى من حگّموه لعبدالمطلب، وأخذ الإبل، فأقبل إلى مكة، فنادى مناديه: يا معشر أهل مكة، إن عبدالمطلب يسألکم بالرحم، لما قام كل رجل منكم حدّثه نفسه أن يغنيني عن هذا الغرم، فأخذ مثل ما حدّثه نفسه، فقاموا، وأخذوا من بعير واثنين وثلاثة على قدر ما حدّثت كل امرئ منهم نفسه، وفضلت بعد ذلك جزائر، فقال عبدالمطلب لابنه أبي طالب: أي بني، قد

(١) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٨٨.

(٢) كتاب المنق، ص ٩٥.

أطعمت الناس، فانطلق بهذه الجزائر، فانحرفها على أبي قبيس، حتى يأكلها الطير والسباع، ففعل أبو طالب ذلك، فأصابها الطير والسباع.

قال أبو طالب:

ونطعمُ حتى يأكلَ الطيرُ فضلنا  
إذا جعلت أيدي المفيضين ترعدُ<sup>(١)</sup>

### ٣- وهداهم الله بعد المطلب

لقد عدّ اليعقوبي في تاريخه ما جاء به عبدالمطلب، وما سنّه لقومه مما أقرّه الإسلام، فجاء القرآن بذكره، أو قال رسول الله ﷺ بمضامينه، وتلك المآثر هي:

- الوفاء بالندور.
- الدية مئة من الإبل.
- ألا تنكح ذات محرم.
- ألا تؤتى البيوت من ظهورها.
- قطع يد السارق.
- النهي عن قتل المؤودة.
- المباهلة.
- تحريم الخمر<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٢) فيض القدير، ج ٣، ص ٤٨.



- تحريم الزنا، والحد عليه.
- القرعة.
- ألا يطوف أحد بالبيت عرياناً.
- إضافة الضيف.
- ألا ينفقوا إذا حجوا إلا من طيب أموالهم.
- تعظيم الأشهر الحرم.
- نفي ذوات الرايات<sup>(١)</sup>.

وقد أشارت الروايات إلى عدد من هذه المكارم التي أقرها الإسلام، فقد روي أن النبي ﷺ قال لعلي في وصية له:

يا علي، إن عبدالمطلب سنّ في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الإسلام:

حرّم نساء الآباء على الأبناء، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾<sup>(٢)</sup>.

ووجد كنزاً فأخرج منه الخمس وتصدّق به، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ الآية<sup>(٣)</sup>.

ولما حفر زمزم سمّاها سقاية الحاج فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) تاريخ يعقوبي، ج ٢، ص ١٠.

(٢) سورة النساء: ٢٢.

(٣) سورة الأنفال: ٤١.

الْآخِرِ ﴿الآية (١)﴾.

وسنَّ في القتل مئة من الإبل، فأجرى الله عزَّ وجلَّ ذلك في الإسلام.

ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسنَّ فيهم عبدالمطلب سبعة أشواط، فأجرى الله ذلك في الإسلام (٢).

### وقفه تأمل

هنا سؤال يطرح نفسه أمام ما ذكره اليعقوبي وغيره، وأمام ما يذكره المؤرخون من قضايا عبدالمطلب.

وهو كيف تسنَّى لعبدالمطلب أن يصل إلى هذه المعطيات الغيبية؟

وإن الوصول إلى السلسلة الطويلة من الأوامر والنواهي والتي جاء القرآن الكريم مقراً لها ليس أمراً في متناول العقلاء، بل لابد من إعانة السماء.

نعم، هناك أمور يهتدي العقل السليم لها، كتحرим الخمر والزنا، وهناك أمور يرشد لها الخلق الكريم كالوفاء بالندر وإضافة الضيف.

(١) سورة التوبة: ١٩.

(٢) الخصال، ص ٣١٢ - ٣١٣.

ولكن أن يأتي بعدد الأشواط أو أن يقرّر الدية مئة من الإبل فيقره الإسلام على ذلك، فهذا ما لا يستطيع الإنسان أن يهتدي إلى مثله، إلا إذا كان متصلاً بالله سبحانه وتعالى.

### الإمكانية العقدية

لا شك أن من ظن أو اعتقد أن الصلة بالله سبحانه وتعالى محصورة بالأنبياء والمرسلين وقع في مأزق دعاه لأن يرفض كل ما قاله المؤرخون، أو أن يلبسه لباساً آخر ينزع عنه كل قدسية، فيجعله نوعاً من العبقرية السياسية أو الاجتماعية، أو يعتبره موهوباً كسائر الموهوبين.

يقول الدكتور حسين مؤنس عن عبدالمطلب حينما حفر بئر زمزم:

... لأن قصته كلها أشبه بالأسطورة، وخبره في حفر بئر زمزم يروى بالفعل في صورة أسطورة من القصص الشعبي<sup>(١)</sup>.

وفي موطن آخر حاول أن يعتبر الأمر قدرة خاصة، ولكنها لا تخرج عن دائرة المواهب، فأخذ يصور عبدالمطلب شخصية أعطيت قدرة على التعرف على مواقع آبار الماء، وهي قدرة كانت موجودة عند قصي جده، ولكن حفيده عبدالمطلب أكبر منه ملكة في هذا الشأن، فكشف موقع زمزم وغيرها<sup>(٢)</sup>.

(١) تاريخ قريش، ص ١٤٤.

(٢) تاريخ قريش، ص ١٠٠-١٠١.

بل شبّه برجال الصحارى، وشبّه بمن في جنوب فرنسا  
وشمال أسبانيا، وهم معروفون بالقدرة على اكتشاف آبار الماء<sup>(١)</sup>.

لاشك أن تنحية البعد الديني من حياة عبدالمطلب أوقعت  
الكاتب في هذا المزلق الوعر، فأخطأ في قراءة الخبر التاريخي،  
وكان استنتاجه سمجاً.

إذ أننا لسنا أمام قضية واحدة يمكن تبريرها هكذا، بل نحن  
أمام معرفة بالمستقبل في مواجهة أبرهة، وأمام ماء ينبع من الأرض  
في صحراء قاحلة، وغيث من السماء يهطل بعد دعائه.

هلمّ عزيزي القارئ لنرى علماء الإسلام هل كانوا يحصرون  
الصلة بعالم الغيب بالأنبياء والمرسلين؟

أم أنهم كانوا أوسع أفقاً ممن لم يطلع على آيات القرآن  
الكريم اطلاع البصير؟

اقرأ الآية التالية ثم ابحث تفسيرها، لقد قال تعالى: ﴿قُلْنَا  
يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتُ تُعَذَّبُ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾<sup>(٢)</sup> وعقب  
المفسرون على الآية بأنها تدل على تأييده بالوحي إن كان نبياً، أو  
بالإلهام إن كان عبداً صالحاً، أو بنبي من الأنبياء<sup>(٣)</sup>.

وأشار الرازي في تفسيره إلى أن من المسلمين من يعتقد أن

(١) تاريخ قریش، ص ١٤٧.

(٢) سورة الكهف: ٨٦.

(٣) راجع تفسير الميزان، ج ١٣، ص ٣٧٨، وكذلك تفسير النسفي، ج ٣، ص ٢٥.

ذا القرنين عبد صالح ومع ذلك كان له اتصال مع الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

وقال الراغب الأصفهاني عندما تعرض لكلمة القول في الآية السابقة: فإن ذلك لم يكن بخطاب ورد عليه - فيما روي وذكر - بل كان ذلك إلهاماً، فسماه قولاً<sup>(٢)</sup>.

ويوافق علماء اللغة على أن القول يطلق على الإلهام، وهو واحد من سبعة من معانٍ لهذه الكلمة<sup>(٣)</sup>.

ولهذا قالوا: يفهم من الآية ومن أحاديث قصة ذي القرنين أنه كان حجة لله على خلقه، ومأموراً بالحكم والأمر والنهي والدعاء إلى الله<sup>(٤)</sup>.

لقد رأيت - عزيزي القارئ - أن علماء المسلمين يقرُّون بإمكانية وجود أشخاص قبل ختم النبوة لم يكونوا أنبياء ولا مرسلين وكانت لهم علفتهم الخاصة بالله سبحانه وتعالى، ولك في الخضر عليه السلام خير شاهد على ذلك.

وعبدالمطلب واحد من هؤلاء الرجال الذين حملوا علقه خاصة بالله سبحانه وتعالى، فكان نتاج ذلك ما تناقله المؤرخون مما لا يسمح العقلاء بطرحه، فإننا لسنا أمام حدث واحد،

(١) تفسير الرازي، ج ٢١، ص ١٦٥.

(٢) مفردات غريب القرآن، ص ٤١٥.

(٣) راجع تاج العروس، ج ١٥، ص ٦٣٧.

(٤) الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، ص ١٧١.

ولا حديث مفرد، بل نحن أمام عدد كبير من الأحداث تناقلها المؤرخون، ولو رفضناها فإن عقلنا سيمتنع عن تصديق أي خبر تاريخي آخر.

وأختم الكلام بما قاله صاحب الملل والنحل:

ظهر نور النبي ﷺ في أسارير عبدالمطلب بعض الظهور، وببركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده، وببركته كان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي، ويحثهم على مكارم الأخلاق، وينهاهم عن دنيات الأمور... وببركة ذلك النور قال لأبرهة: إن لهذا البيت رباً يحفظه<sup>(١)</sup>.

#### ٤- دفع البلاء بمجابه الدعاء

قالوا عن عبدالمطلب: ... وكان مجاب الدعوة<sup>(٢)</sup>.

يالها من عبارة لخصت كثيراً من الأبحاث، وأوجزت كثيراً مما يقال عنه.

ولا أحتاج لتأكيد هذه العبارة، فإن الله عز وجل قد دفع بلاء الجذب عن قريش بدعائه، وسقاهم مرة بعد أخرى بتوسلاته.

وأعظم بلاء رجفت له قلوب أهل مكة كان عند قدوم أبرهة قاصداً لمكة.

(١) الملل والنحل، ج ٢، ص ٢٣٩.

(٢) السيرة الحلبية، ج ١، ص ٦.

لقد كان المتعلق بالكعبة والمناجي لله سبحانه وتعالى سيد الوادي وشيخ قريش، وكان المحذر لأبرهة والقاطع بالنصر.

وإني لأعجب من الدكتور حسين مؤنس في تحليله لكلام عبدالمطلب، فقد رأى أن عبدالمطلب كان جازماً بمصير أبرهة وعلى ثقة بالعاقبة التي تنتظره، ولهذا ردّ كل ما جاء به المؤرخون فقال معللاً موقفه:

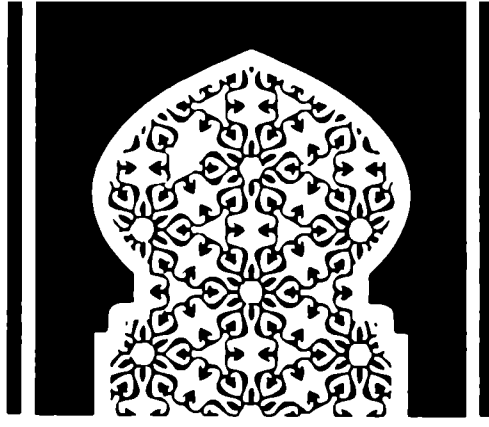
لأن عبدالمطلب لم يكن نبياً أو رسولاً أو يعلم الغيب، حتى يكون على ثقة مما سيحدث لجيش أبرهة، بل هو كان رجلاً وثنياً يقف في مواجهة رجل مسيحي هو أبرهة أو برهام<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن هذا جهل لا يعذر فيه صاحب شهادة أكاديمية، بل ولا يعذر فيه كاتب يتحمل مسؤولية الكلمة، وأظن أنه لو قرأ التاريخ بتمعن لعلم أن عبدالمطلب كان موحداً متألهاً، ولكن ما عشت أراك الدهر عجياً، وعرفك من أصحاب الأقلام ما لا يتصور.

(١) تاريخ قريش، ص ١٥٧.







## الفصل الثالث



### تمجيد السماء لعبدالمطلب

أولاً: عبدالمطلب في القرآن

#### ١- السور

نزلت سورتان على رسول الله ﷺ، وستجدهما في القرآن الكريم متتاليتين، وهما: سورة قريش وسورة الفيل.

وقد ذكرتاهما حديثين مهمين دارت رحاهما على جدي رسول الله ﷺ هاشم وعبدالمطلب.

هل تراها صدفة اقتضت ذلك؟ أم أنها حكمة إلهية شاءت أن تخلد ذكر هاشم وعبدالمطلب؟

لقد جاءت سورة قريش فتحدثت عن التجارة التي قادها هاشم، رابطاً بين حضارة الروم وحضارة اليمن، وماراً بخط

تجاري آمن.

وجاءت سورة الفيل لتلقي الأضواء حول الحدث العظيم الذي كان بطل التوحيد فيه عبدالمطلب، فقد كانت المواجهة بين أبرهة والموحد المتعلق ببيت الله عز وجل يناجيه ويستغيث به.

## ٢- الآيات

- قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾<sup>(١)</sup>.

تعددت الأقوال في هذه الآية ومنها:

إن المشكاة عبدالمطلب، والزجاجة عبدالله، والمصباح هو النبي ﷺ، لا شرقية ولا غربية بل مكية؛ لأن مكة وسط الدنيا<sup>(٢)</sup>.

- قال تعالى: ﴿كَزَرَاعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عباس:

قوله: ﴿كَزَرَاعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ أصل الزرع عبدالمطلب،

(١) سورة النور: آية ٣٥.

(٢) تفسير مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٥١، وينسب هذا القول للضحاك.

(٣) سورة الفتح: آية ٢٩.

وشطأه محمد ﷺ، ويعجب الزراع علي بن أبي طالب ؑ<sup>(١)</sup>.  
وقال صاحب البحار: التمثيل للرسول ﷺ والذين معه  
من أهل بيته، فكان ابتداء أمرهم من عبدالمطلب، وكانت قوة  
أمرهم وتمامه بعلي ؑ<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: يحشر عبدالمطلب أمة واحدة

وتساقطت أقنعة طالما تخفى خلفها أقوام.  
وتخلى كل إنسان عن مناصب اعتبرها له قومه وجاء وحيداً.  
وبدأ تصنيف الخلائق...  
وبدأ الفريق الواحد يتحوّل إلى مجموعات متعددة.  
فهاهم أهل اليمين فريق واحد، وقد تحلّقت أمة عيسى،  
وتحلّقت أمة موسى، و... و... وتبع كل مؤمن نبيه الذي بعث له.  
وجاء ذو الهيئة الآخذة بالألباب، ومن بدت عليه علامات  
الأنبياء يمشي بمفرده، فهو أمة واحدة... لقد جاء عبدالمطلب.  
روي عن الإمام الصادق ؑ في رواية عبّر عنها  
بالصحيحة<sup>(٣)</sup>، أنه قال: يحشر عبدالمطلب يوم القيامة أمة واحدة،

(١) البحار، ج ٢٤، ص ٣٢٢.

(٢) البحار، ج ٢٤، ص ٣٢٢.

(٣) حاشية شرح أصول الكافي، ج ٧، ص ١٧٨.

عليه سيماء الأنبياء وهيبة الملوك<sup>(١)</sup>.

لقد وقف علماء اللغة عند كلمة أمة، وتتبعوا كلام العرب، وتأملوا في الآيات الشريفة، فأدلوها في معانيها بدلوه.

- فقالوا: الأمة هو الإمام الذي يهتدى به، وهو سبب الاجتماع<sup>(٢)</sup>.

- وقالوا: الأمة الرجل المنفرد بدين<sup>(٣)</sup>، وكل من كان على دين حق مخالفاً سائر الأديان فهو أمة وحده.

- وقالوا: الأمة الرجل الذي لا نظير له، وهو معلّم الخير<sup>(٤)</sup>.  
ولاشك أن كل ما ذكرناه متمثلاً في عبدالمطلب بأجلى صورته، ولا نحتاج لعناء حتى نقف على ما يساند هذا القول.

لقد كان عبدالمطلب صاحب السنن التي أقرها الإسلام، وهو صاحب السيرة التي كانت العرب تدين بها، وهذا هو معلّم الخير.

وكان فريداً في هيئة حباه الله بها، ومتميزاً في صفاته، فهو فرد لا نظير له.

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٤٦ - ٤٤٧.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٢٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث الأثر، ج ١، ص ٦٨.

(٤) لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٧.

وكان قائداً يهتدي به الآخرون، فقد رآه المتألهون متعبداً في غار حراء فساروا على منهاجه، وكان قطب رحي الموحدين.

وختاماً فقد كان منفرداً بدينه، عكفت قريش على أصنامها، وتوجّه هو لخالقه موحداً عبداً.

ورب قائل يقول: إن هذا الحديث عن صفات كانت لعبدالمطلب في حياته، والرواية تتحدث عن عرصات القيامة.

ولا أظن الجواب بعيداً، فإن ما يحصل في القيامة له ارتباط بعالم الدنيا.

ولا يتعد شرح الحديث عن أقوال علماء اللغة كثيراً، ولكن في تعاليقهم إضاءة وكشفاً لا تذكره كتب اللغة، فقد شرح الحديث الشيخ المازندراني رحمته الله فقال:

والمقصود أنه إذا حشر الناس فوجاً فوجاً وأمة أمة حشر عبدالمطلب وحده؛ لأنه كان منفرداً في زمانه بدين الحق، ولرعاية حق النبي صلوات الله عليه وآله (١).

وعقب على هذا المعلق بقوله: وسرُّ كون عبدالمطلب أمة وحده أنه كان موحداً، ولم يكن يهودياً حتى يحشر في أمة موسى، ولا نصرانياً حتى يحشر في أمة عيسى عليه السلام ولم يدرك الإسلام

(١) شرح أصول الكافي، ج ٧، ص ١٧٨، وقريب منه ما في البحار، ج ١٥، ص ١٥٧.

فيحشر في المسلمين، فيحشر أمة وحده<sup>(١)</sup>.

وأما الروايات فقد ذكرت أمراً آخر، فقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: يبعث عبدالمطلب أمة وحده، عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء، وذلك أنه أول من قال بالبداء<sup>(٢)</sup>.

### مع مصادر العامة

لقد روي في مصادر العامة عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله ﷺ: يبعث جدي عبدالمطلب يوم القيامة في زي الملوك وأبهة الأشراف<sup>(٣)</sup>.

وقال البرزنجي: ويروى أن عبدالمطلب يعطى نور الأنبياء وجمال الملوك، ويبعث أمة واحدة.

وقد ذكروا تعليلاً لهذه المقامات العالية فقالوا: لأنه كان على التوحيد<sup>(٤)</sup>.

وقالوا: لا يبعد أنه يعطى نور الأنبياء لأنه مستقل لا تابع، وأما كونه يعطى جمال الملوك فلأنه كان سيد قريش في زمانه، وهو ملحق بالملوك الذين عدلوا وما ظلموا<sup>(٥)</sup>.

(١) الحاشية لشرح أصول الكافي، ج ٧، ص ١٧٨.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٤٤٧.

(٣) السيرة الحلبيّة، ج ١، ص ١٨٤.

(٤) راجع حاشية شرح إحقاق الحق، ج ٢٩، ص ٦٠٩.

(٥) راجع أبو طالب حامي الرسول ﷺ وناصره، ص ٢٠٩.

ولأرفع الاستيحاء عن قلوب بعض القراء أشير إلى ما ذكر في هذا المقطع السابق مفصلاً.

أما إعطاؤه نور الأنبياء فقد أشار السيوطي في الدر المنثور<sup>(١)</sup> إلى أن أمة النبي الأكرم ﷺ افترض عليهم الله سبحانه وتعالى الفرائض التي افترضها على الأنبياء والرسل حتى يأتوا الله سبحانه وتعالى يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء...

وأما كونه يبعث أمة واحدة فقد ذكروا مثل هذا الكلام لزيد ابن عمرو بن نفيل<sup>(٢)</sup>.

(١) الدر المنثور ج ٣، ص ١٣٤، والبداية والنهاية، ج ٢، ص ٣٩٩.

(٢) المجموع للنووي، ج ١٥، ص ٢٠٦.





## أول من قال بالبداء

التقت الروايات الواردة عن الأئمة عليهم السلام مع أخبار التاريخ، في التصريح بنسبة القول بالبداء إلى عبدالمطلب عليه السلام.

### ١- الروايات الواردة

هناك روايتان ذكرهما الشيخ الكليني ثمنه، وفيهما التصريح بقول عبدالمطلب بالبداء، بل وفيهما تفصيل أكثر من ذلك، ودونك الروايتين:

الأولى: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إن عبدالمطلب أول من قال بالبداء، يبعث يوم القيامة أمة وحده، عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء»<sup>(١)</sup>.

الأخرى: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «يبعث عبدالمطلب أمة وحده، عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء، وذلك أنه أول من قال بالبداء»<sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٤٧.

(٢) الكافي، ج ١، ص ٤٤٧.

## تعليق

لقد حاول شراح الحديث فهم معنى الأولية لعبدالمطلب في القول بالبداء، مع أن الرواية الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام تنص على أن البداء من العقائد الأساسية التي كان يحملها الأنبياء المبعوثون، فقد قال: «ما بعث الله نبياً حتى يأخذ عليه ثلاث خصال: الإقرار له بالعبودية، وخلع الأنداد، وأن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء»<sup>(١)</sup>.

لقد رفع شراح الحديث توهم تعارض الحديثين؛ بإيضاحهم لمعنى الأولية لعبدالمطلب عليه السلام، فقالوا:

١- إن إحدى الروايتين تتحدث عن الأنبياء فتذكر أنهم جميعاً كانوا يعتقدون بالبداء، وأما الرواية الأخرى فتتحدث عن غير الأنبياء، فأول من قال بالبداء من غير الأنبياء هو عبدالمطلب عليه السلام، فالأولية هنا الأولية الإضافية بالنسبة إلى غير الأنبياء عليهم السلام.

ولا يخلو هذا الشرح من أخذ ورد، فهل كان الاعتقاد بالبداء مخصوصاً بالأنبياء دون غيرهم، أم أنه عقيدة للموحدين جميعاً؟

٢- إن عبدالمطلب هو أول من قال بالبداء من أولاد إسماعيل، وهذا القول يناقش فيه بمثل ما نوقش به القول الأول.

٣- إن عقيدة البداء موجودة، ولكن إطلاق هذا المصطلح

(١) الكافي، ج ١، ص ١٤٧.

على هذه العقيدة كان السبق فيه لعبدالمطلب عليه السلام (١).

٤- إن عبدالمطلب كان في أمة قد غابت عنها العقائد الصحيحة، فانمحي ما كان قد بذره الأنبياء السابقون، وجاء عبدالمطلب ليعيد دين الله عز وجل في أرض مكة، وكان من ضمن ما أعاده القول بالبداء، فهو أول من قال بالبداء في الجاهلية (٢).

## ٢- أخبار التاريخ

تكرر ذكر البداء في شعر عبدالمطلب عليه السلام مرتين، وفي حادثتين منفصلتين، إحداهما مشهورة وهي يوم جاء أصحاب الفيل، وأما الأخرى فمرتبطة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

الحادثة الأولى: لقد رصد المؤرخون حركات عبدالمطلب حينما بقيت الكعبة تواجه جيش أبرهة بمفردها، ولم يبق بجوارها غيره، وأما قريش فقد طلبت سلامة أرواحها.

لقد ناجى عبدالمطلب ربه، متعجباً من اقتراب العدو من الكعبة الشريفة، إنك - يا ربنا - لم نعهد منك إلا حماية هذه القبلة، وهي التي ستبقى للدين الخاتم، هكذا وصلت لنا البشائر؛ ولا نتوقع منك إلا حماية هذا البيت، فإن تركتهم يفعلون بالقبلة ما يشاؤون فلا بد أن البداء قد وقع، فأنت تفعل ما تشاء.

(١) راجع: شرح أصول الكافي، ج ٤، ص ٢٤٢، وج ٧، ص ١٧٨.

(٢) مستدرک سفینه البحار: ج ١، ص ٢٩٩.

لقد قال عبدالمطلب:

لَهُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاْمَنْعَ رِحَالِكَ  
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَوًا مِحَالِكَ  
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَقَبَلْتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ<sup>(١)</sup>

لقد شرح القرطبي ما في الأبيات فقال: أي: شيء ما بدالك  
لم تكن تفعله بنا<sup>(٢)</sup>.

ولا يهمني شرحه، ولكن أحب أن أركز على أن ما ورد في  
الأبيات قد التفت إليه علماء المدارس الأخرى.

الحادثة الأخرى: وقد روتها مصادر المسلمين عامة، إلا  
أن فيما روي عن أهل البيت عليهم السلام اختلافاً قليلاً، والذي يبدو أن  
الحادثة واحدة.

أما رواية الإمام الصادق عليه السلام فتقول: كان عبدالمطلب  
أرسل رسول الله ﷺ إلى رعاته في إبل قد نذت له، فجمعها،  
فأبطأ عليه، فأخذ بحلقة باب الكعبة وجعل يقول: يا رب، أتهلك  
آلك؟! إن تفعل فأمر ما بدالك، فجاء رسول الله ﷺ بالإبل،  
وقد وجه عبدالمطلب في كل طريق وفي كل شعب في طلبه،  
وجعل يصيح: يا رب، أتهلك آلك؟! إن تفعل فأمر ما بدالك،  
ولما رأى رسول الله ﷺ أخذه فقبله وقال: يا بني، لا وجهتك

(١) البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢١٥، ورويت الأبيات بألفاظ أخرى.

(٢) تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ١٩١.

بعد هذا في شيء؛ فإني أخاف أن تُغتال فتقتل<sup>(١)</sup>.

تأمل -عزيزي القارئ- في قوله: أتهلك ألك؟ فإنه استفهام يطلب به معرفة مصير النبي محمد ﷺ أو العباد، وكأنه قال: أتهلك محمداً؟ أو: أتهلك عبادك؟

وما طرح هذا التساؤل إلا لعلمه بأن ابنه محمداً سيبعث رسولاً عليهم هادياً لهم، فيكون إهلاكه إهلاكهم.

ثم حاول أن يفهم إهلاك النبي ﷺ والناس كذلك، مع أن البشارات جاءت متحدثة عن رسالته فقال: لعله قد بدا لك في إهلاكه وإهلاكهم بعدما قدّرت رسالته وهدايتهم<sup>(٢)</sup>.

لقد عقب الشيخ المجلسي تذتت على هذه الرواية فقال:

أتهلك ألك: أي أتهلك من جعلته أهلك، ووعدت أنه سيصير نبياً؟ ثم تفتن بإمكان البداء فقال: إن تفعل فأمر آخر بدا لك فيه؛ فظهر أنه كان قائلاً بالبداء<sup>(٣)</sup>.

### إضاءة للحدث

ورد في كتب التاريخ عن سعيد بن حيوة الباهلي -وكان معدوداً في أهل البصرة، وقد أدرك الجاهلية- أنه حج في سنة من

(١) الكافي، ج ١، ص ٤٤٧.

(٢) راجع: شرح أصول الكافي، ج ٧، ص ١٧٩.

(٣) البحار، ج ١، ص ١٥٨.

السنوات، فبينما هو يطوف بالبيت إذا راكب يقول<sup>(١)</sup>:

يا رب ردّ راكبي محمداً ردّ إليّ واصطنع عندي يدا

قال: فجعل يطوف، وليس له هم غير ذلك، فتساءل سعيد  
عن الرجل قائلاً: من هذا الشيخ؟ قالوا: هذا سيد قريش وابن  
سيدها، هذا عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف.

فقال: فما محمد هذا منه؟

قالوا: ابن ابنه، بعثه في ضالة أعيانها بنوه<sup>(٢)</sup>.

وكانت ضالة عبدالمطلب إبلاً له، فأرسل النبي ﷺ،  
وكما يقول القرشيون: ولم يرسله في حاجة قط إلا جاء بها، وقد  
احتبس عليه.

يقول سعيد: فما برحت أن جاء النبي ﷺ وجاء بالإبل،  
فقال له عبدالمطلب: يا بني، لقد حزنت عليك حزناً لا يفارقني  
أبدأ<sup>(٣)</sup>، والله، لا أبعثك بعدها أبداً، ولا تفارقني بعدها أبداً<sup>(٤)</sup>.

(١) التاريخ الكبير، ج ٣، ص ٤٥٤.

(٢) الكامل، ج ٢، ص ٦٨.

(٣) الدر النظيم، ص ٨١.

(٤) الاستيعاب، ج ٢، ص ٦١٤.



## الباب السابع

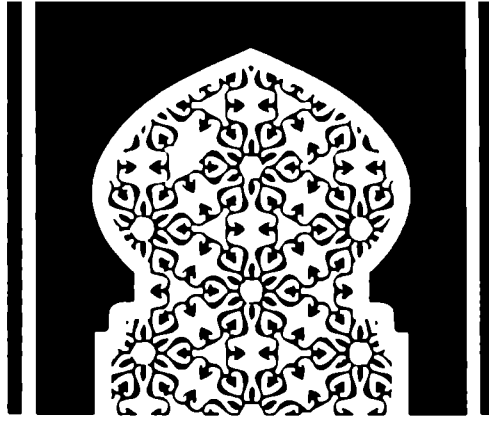


### رجل الحضارة وبطل المواقف

- الدور الحضاري
- اللقاء مع سيف بن ذي يزن
- مقتطفات من مكارمه ومواقفه
- نماذج من شعره







## الفصل الأول

### الدور الحضاري

أولاً: المعطيات التاريخية له ولآبائه

لن تمتلك -عزيزي القارئ- وأنت تقرأ عن آباء النبي ﷺ إلا أن تقرّ بأنك أمام بناء حضارة قوامها الدين.

وكما قالت أخت عمرو بن ود وهي ترثي أخاها:

قومٌ أبى الله إلا أن يكونَ لهم

كرامةٌ الدين والدنيا بلا لدد<sup>(١)</sup>

لقد تمحور عمل آباء النبي ﷺ حول الدين الذي كانوا يعيدون له بريقه.

إنهم أربعة من الآباء، جاؤوا متتابعين، فبنوا القواعد

---

(١) أعيان الشيعة، ج ١، ص ٢٦٥.

الأساسية لاستقبال كلمة التوحيد من فم خاتم الأنبياء ﷺ.

تصفح -عزيزي القارئ- حياة هؤلاء الآباء بادئاً من قصي،  
ومتنقلاً إلى هاشم وعبد مناف، وخاتماً بعبدالمطلب، وسترى  
نشاطهم الديني المتمحور حول بيت الله الحرام، وستقرأ البناء  
التأسيسي للبيئة التي سينطلق منها الإسلام.

إنه ليس بناءً حضارياً عادياً، بل هو بناء متقوم على دين  
يقومون على خدمته، ويعملون على تأمين موارده، فهم يسعون  
إلى بقاء شعائره حية.

إنك -أيها القارئ الكريم- تقرأ ولديك معتقد راسخ في  
الإسلام، ولك أن تتصور قارئاً لا يعتنق دين الإسلام، يقرأ هذا  
التسلسل في العمل الديني، بحيث يصبح منهاج كل واحد منهم  
ديناً لا يحيدون عنه، ثم يقرأ سيرة الرسول ﷺ ودعوته للإسلام.

إنني أراه وقد جعلهم سلسلة مترابطة، فهم أصحاب قيادة  
اجتماعية تلتف حولها الجماعات، وهم أصحاب عقلية اجتماعية  
واقصادية يعرفون طرق تأمين الحياة السعيدة، وهم أصحاب بعد  
ديني والتزام بالشعائر، وقد ظلت ممارساتهم مستمرة، فالبيت  
محور الاهتمام، ومحج الناس من عهد قصي، وحتى النبي ﷺ.

ومن هنا تنبع خطورة العقيدة التي تبناها بعض الفرق الإسلامية،  
وهي ادعاء شرك آباء النبي ﷺ، إن هؤلاء المشيدين للمعبد  
والقائمين على خدمته سلسلة متتالية، والتفكير سيجعلهم في سلك

واحد، فإذا كان عبدالمطلب مبتدعاً لشعائر جعلت ديناً عند العرب، فما المانع من أن يكون سليل هؤلاء الآباء سائراً على منهاجهم؟! إن الشك في صدق الرسول ﷺ سيكون في محله عند من يقرأ التاريخ.

بخلاف من يقرأ التسلسل المبدوء بقصي والمنتهي بالرسول ﷺ على أنه خط توحيد متواصل، وهؤلاء الآباء يقعون بين رسولين عظيمين أولهما جدهم إبراهيم ﷺ، محطم الأصنام وبأذر التوحيد وراعي بنائه، وأما الآخر فهو حفيدهم الرسول ﷺ.

إن بين هذين الرسولين كان هؤلاء الآباء، يحملون كلمة الجد إبراهيم ﷺ ويمهّدون لدعوة الابن محمد ﷺ.

ولعل قراءة النص التالي تلقي ضوءاً على ذلك، فقد روى محب الدين الطبري عن الزهري عن عبدالله بن عبدالله بن عتبة قال:

نصب إبراهيم أنصاب الحرم يريه جبريل ﷺ، ثم لم تحرك حتى كان قصي فجدها، ثم لم تحرك حتى كان النبي ﷺ<sup>(١)</sup>.

إن هذا النص يعطي ملامح التصور الصحيح لموقعية آباء النبي ﷺ، فهم واقعون بين نبين، حاملين لكلمة التوحيد.

وروي عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين ﷺ يقول: والله ما عبد أبي ولا جدي عبدالمطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط، قيل له: فما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا

(١) فقه السنة، ج ١، ص ٦٨٩.

يصلون إلى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به<sup>(١)</sup>.

وهناك قبسة أضاءها الدكتور حسين مؤنس، توضح أدوار آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول: إن قريشاً أقام بناءها قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة رجال: رجل سياسة وحرب وتنظيم وهو قصي، ورجل سياسة وتنظيم وسلام وهو عبدمناف، ورجل تجارة ومال وهو هاشم بن عبدمناف، ورجل دين واتجاه روحي غالب وهو عبدالمطلب بن هاشم<sup>(٢)</sup>.

### وقفات تأملية في أعمالهم

لقد قام قصي بأعمال هي مدعاة للتأمل، فإننا نعرف أن خزاعة كانت هي المتولية لأموار البيت الحرام، وعلى يدي عمرو ابن لحي الخزاعي دخلت عبادة الأصنام لمكة، وبدأ انحراف عقيدة التوحيد.

لقد قاد قصي حرباً ضد هؤلاء المشركين، حتى إذا تمكن منهم أخرجهم عن مكة، وأبعد أيديهم عن التسلط على البيت، وصارت إليه السدانة والرفادة والسقاية<sup>(٣)</sup>.

إنها لم تكن حرباً قبلية كان هدفها التسلط على المراكز الحيوية، وإنما كانت حرباً دينية، حافظت من خلالها على المراكز الدينية المقدسة فأزاحت بها قبيلة قد ابتدعت في مركز التوحيد

(١) كمال الدين وتمام النعمة، ص ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) تاريخ قريش، ص ١١٩.

(٣) عمدة الطالب، ص ٢٦.

ما لا يطاق، ولربما لو استمروا في حكمهم لوصل الأمر بالناس إلى أن تطمس فطرتهم، ويصبحوا غافلين عن الله سبحانه وتعالى، بحيث تصبح الأصنام في عقيدتهم خالقة ومدبرة.

إن العرب كانت تقرب بوجود الله سبحانه وتعالى، وتشرك معه أصناماً اخترعتها، وهذه البقية من الاعتقادات لو استمر حكم خزاعة لربما ذهبت.

ولم يكتف قصي بهذا المقدار، بل وحرر المشاعر المقدسة من أيدي المتسلطين، فقد كان بنو صوفة الذين يدفعون بالحاج من عرفة، ولا يرمون الجمار حتى يرمي رجل منهم، فقاتلهم قصي حتى انهزموا<sup>(١)</sup>.

ثم أقام علامات على حدود المشاعر، وهو عمل تجديدي لما قام به إبراهيم عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

إن الحفاظ على شعيرة الحج وحفظ حدودها أمر قد تصدى له قصي، فخلّص البيت والمشاعر من أيدي المتسلطين، وتولى أمرها ليحافظ على الشعائر كما يريد الله سبحانه وتعالى.

يقول صاحب تاريخ قريش:

ومن المؤكد أن مناسك الحج لم تنتظم على النحو الذي

(١) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٦٨.

(٢) فقه السنة، ج ١، ص ٦٨٩.

عرفه الجاهليون إلا على أيدي القرشيين ابتداءً من قصي، بل إن عبدالمطلب هو الذي سيحدد بصفة دقيقة مناسك الحج في الجاهلية<sup>(١)</sup>.

وعلى يديه جمعت قريش المتفرقة، وبمشورته ورأيه سكنوا مكة المكرمة، فهو واضع لبنة التأسيس لسكنى مكة المكرمة، ومعطي قريش المكانة المرموقة<sup>(٢)</sup>.

وتأمل في البعد الديني الذي ستوحيه لك عبارة المؤرخين التالية:

وكان أمره في قومه كالدين المتبع في حياته وبعد موته<sup>(٣)</sup>.

### ثانياً: الدور التمهيدي للدعوة النبوية

إذا كانت ملامح الاختصاص بالفضائل يحملها شخص كقصي، فقد بدأت تلك الملامح تتسع لتشمل عائلة بكاملها، وهم أبناء عبد مناف.

لقد حمل بنو عبد مناف همّ تكوين القوة الرادعة في جوار البيت الحرام؛ فإنها منطقة مقدسة، لا يظلم فيها قادم لها أو جار بها.

واجتمع بنو عبد مناف في جماعة أخرى، ليعقدوا بينهم

(١) تاريخ قريش، ص ١٠٨.

(٢) عمدة الطالب، ص ٢٦.

(٣) الأنوار البهية، ص ٢٩.

تحالفاً على نصرة المظلوم، وقد كانت مراسيم ذلك التحالف تتم بوضع المجتمعين لأيديهم في طيب وبجوار الكعبة المقدسة فسموا لذلك بالمطيبيين.

وبدأ الخط المنحرف يأخذ صورة التحالف، فذبحوا بقرة، ثم لَطَّخُوا أيديهم بالدم، وتقدم أحدهم فلحق الدم من يده، وتابعه أصحابه؛ فسموا لعقة الدم<sup>(١)</sup>.

إن نظرة واحدة لمنظر الفريقين تكفي عن ألف سطر يكتب، وأظنك قد تصورت المنظرين، ولا شك فمنظر المطيبيين وهم حول الكعبة قد تراءى لك والملائكة تحفه، وأما أولئك الجاعلون الدم علامة حلفهم، واللاعقون له فإن الشياطين تؤزهم أزاً.

لقد بقي بنو عبد مناف على هذا الطريق الأخلاقي الفاضل، وبرز عبدالمطلب من الذرية كرائد يدعو إلى مبادئ الأخلاق بقوة وإصرار، فقد كان عبدالمطلب وبنو هاشم وحلفاؤهم معهم يلزمون التجار بسلوك أخلاقي دقيق في حسن المعاملة، والأمانة وإحسان لقاء التاجر، واستضافته، وتأمينه، وأدائه حقه، وعلى هذا انتظمت أمورهم، وزادت ثرواتهم، واتسعت تجارتهم<sup>(٢)</sup>.

إن بقاء هذه المجموعة المحافظة على تلك المبادئ يعني بقاء البيئة التي يمكن أن تكون مؤهلة لإنجاب نماذج تتقبل مبادئ

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٤٨.

(٢) تاريخ قريش، ص ١٦٤.

الإسلام، والتي لا تتماشى إلا مع مثلهم.

«وعندما جاء الإسلام وجد نواة بناء قريش سليمة قوية، فلازال في القرشيين من يؤمن بالمبادئ الأخلاقية، ويتمسك بالبيان المحكم السليم الذي وضعه قصي وعبد مناف وهاشم وعبدالمطلب وحلفاؤهم، ولهذا نجد أن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه كخطوة أساسية من خطوات نشر الدعوة بأن ينذر عشيرته الأقربين... فهنا نجد الدعوة موجهة إلى رسول الله بالاعتماد أولاً على عشيرته الأقربين، لا لأنهم أقاربه، بل لأنهم هم الذين ظلوا متمسكين بالقواعد الأخلاقية الأولى، التي وضعها قصي وعبد مناف وهاشم وعبدالمطلب ومن أيديهم؛ لأن هؤلاء يكونون بهذا الوصف أقرب إلى فهم الإسلام والدخول فيه<sup>(١)</sup>.

وستجد لو قرأت كتب التفسير أن الآية لما نزلت جمع رسول الله ﷺ بني عبدالمطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً لبداية الدعوة<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: حلف خزاعة

تقدمت خزاعة نحو عبدالمطلب ﷺ تطلب منه التحالف، فأجابها إلى ذلك، فأقبل رجال خزاعة فدخلوا دار الندوة وعبدالمطلب في سبعة نفر من بني المطلب.

(١) تاريخ قريش، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) مجمع البيان، ج ٧، ص ٣٥٦.



وكتبوا بينهم كتاباً، وقد ذكر المؤرخون له صياغتين،  
إحداهما:

باسمك اللهم، هذا ما تحالف عليه عبدالمطلب بن هاشم  
ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة، تحالفوا على التناصر  
والمواساة، ما بلّ بحر صوفة، حلفاً جامعاً، غير مفرق، الأشياخ  
على الأشياخ، والأصاغر على الأصاغر، والشاهد على الغائب،  
وتعاهدوا، وتعاهدوا، أوكد عهد، وأوثق عقد، لا ينقض، ولا ينكث،  
ما أشرقت شمس على ثبير، وحنّ بفلاة بعير، وما أقام الأخشبان،  
وعمر بمكة إنسان، حلف أبد، لطول أمد، يزيد طلوع الشمس  
شداً، وظلام الليل مداً، وأنّ عبدالمطلب وولده ومن معهم، ورجال  
خزاعة متكافئون، متظاهرون، متعاونون، فعلى عبدالمطلب النصر  
لهم بمن تابعه، وعلى خزاعة النصر لعبدالمطلب وولده ومن  
معهم، على جميع العرب في شرق أو غرب، أو حزن أو سهل،  
وجعلوا الله على ذلك كفيلاً وكفى بالله حميلاً<sup>(١)</sup>.

ثم علّقوا الكتاب في الكعبة، فقال عبدالمطلب:

سأوصي زبيراً إن توافت منيتي

بإمساك ما بيني وبين بني عمرو

وأن يحفظ الحلف الذي سنّ شيخه

ولا يلحدن فيه بظلم ولا غدر

(١) السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٤.

هُمُ حَفَظُوا الْإِلَّ الْقَدِيمَ وَحَالَفُوا  
أَبَاكَ فَكَانُوا دُونَ قَوْمِكَ مِنْ فَهْرِ<sup>(١)</sup>

لقد كان الوفاء بهذا الحلف سبباً في فتح مكة المكرمة<sup>(٢)</sup>،  
فإن رجلاً من كنانة قعد يروي هجاء رسول الله ﷺ، فردعه  
رجل من خزاعة، وأنذره قائلاً: لئن عدت لأكسرن فاك! فأعادها،  
فرفع الخزاعي يده فضرب بها فم الكناني.

لقد كانت الحادثة سبباً في هجوم بني كنانة على بني خزاعة،  
وكانت قريش تعين بني كنانة سراً بالسلاح وغيره ناقضة الميثاق  
الذي كان بينها وبين رسول الله ﷺ، فأقبل عمرو الخزاعي  
مع أربعين راكباً من خزاعة مستنصراً رسول الله ﷺ، ومخبراً  
قصتهم، وقرأ أبي بن كعب نص الحلف السابق، فقال رسول الله  
ﷺ: ما أعرفني بخلقكم على ما أسلمتم عليه من الحلف، فكل  
حلف كان في الجاهلية فلا يزيد الإسلام إلا شدة، ولا حلف في  
الإسلام. ثم أنشد عمرو الخزاعي:

يا ربّ إني نشأُ محمداً حلفَ أبينا وأبيه الأتلدا  
قد كنتُم ولداً وكنا والداً ثمتَ أسلمنا فلم نزرع يدا  
إنّ قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا

ولم يزل ينشد حتى قال له رسول الله ﷺ: حسبك يا

(١) كتاب المنق، ص ٨٨.

(٢) أعيان الشيعة، ج ١، ص ٢٧٤.

عمرو، ودمعت عيناه، وقال: والذي نفسي بيده، لأمنعهم مما أ منع منه نفسي، وأهلي، وبيتي<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: مظاهر السيادة والقيادة

فرق بين شخص تراه يتقدم على الآخرين في حادثة وآخر يكون قائداً في كل موقف، فلا يسع المنصف إلا أن يُعبر عنه برئيس القوم أو أميرهم، وهذا ما كان يتصف به سيد البطحاء عبدالمطلب عليه السلام.

لقد ظن بعض الكتاب أن نطاق سيادة عبدالمطلب محدود في مجموعة من الناس، فلا يصح أن يقال عنه: إنه قام بأمر مكة<sup>(٢)</sup>، وكانت حجته في ذلك ضعيفة جداً، وتتم عن عدم استقصاء للموضوع، فإنه تصوّر أن عبدالمطلب لم يتحرك عسكرياً لمواجهة أبرهة، وظن أن طلبه لإبله مقصود لذاته، فأساء فهم تصرفاته.

وهذه أمور قد عالجنها في موضعها، فلا عبدالمطلب كان بعيداً عن تجميع الجيش، ولا ذهابه لأبرهة كان طلباً لإبله، بل كان خروجه قبل علمه بما جرى على إبله.

وسأذكر ما يدل على سعة نفوذ عبدالمطلب، وما يدل على سيادته وقيادته:

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم عليه السلام، ج ٢١، ص ٢٢ - ٥٥.

(٢) تاريخ قريش، ص ١٣٩.

أولاً: لقد عبّر عنه المؤرخون والكتّاب الإسلاميون في مروياتهم بسيد قريش<sup>(١)</sup>، ولن تجد شخصية أخرى تزاحمه<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: كانت قريش إذا حزبهم أمر، وأقلقهم حادث من الحوادث، قصدوا دار عبدالمطلب عليه السلام للتشاور، ولهذا قالوا: كانت الندوة في بني هاشم، ويعنون بذلك تنادي قريش<sup>(٣)</sup>.

ثالثاً: القيادة العسكرية لقريش، فقد كانت تحت أمره، وقد سبق الحديث عن موقعه وقيادته عند مواجهة أبرهة، وسأذكر موقفاً آخر جلياً واضحاً، خاضت فيه قريش حرباً، ولقيادة عبدالمطلب موقعية خاصة ستجدها في التفصيل الآتي.

يوم ذات نكيف:

واقعة ذكرها المؤرخون، وكانت بين قريش وبني كنانة، وما كانت قريش في حروبها قبل الإسلام تنضم تحت قائد واحد إلا في هذه الواقعة، فكان قائدها عبدالمطلب دون منازع<sup>(٤)</sup>.

لقد خاض حرباً دفاعية، فقد جاءت بنو كنانة تريد إخراج

(١) الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٨٥، الكامل، ج ٢، ص ٦٧.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢١٨، نقل قول الزبير، وهو: ومكارم عبدالمطلب أكثر من أن يُحاط بها، كان سيد قريش غير مدافع، نفساً، وأباً، وبيتاً، وجمالاً، وبهاءً، وكمالاً، وفعالاً.

(٣) راجع الفايق في غريب الحديث، ج ١، ص ٢٦٣.

(٤) أسد الغابة، ج ٥، ص ٢١٦، وستجد التسمية للقائد بالمطلب، والذي عليه كثير من المؤرخين أنها بقيادة عبدالمطلب.

قريش من الحرم، متذكرين بذلك عهداً كانت لهم قبل أن ييسط قصي نفوذه على مكة.

وبدأت الحرب باعتدائهم على بعض الإبل، وقتلهم لأحد الشباب<sup>(١)</sup>، ثم جمعوا جموعهم، وجمعت قريش جموعها، واستعدت، وعقد عبدالمطلب الحلف بين قريش والأحابيش.

وكانت الواقعة في منطقة تسمى (ذي نكيفة)، وهو موضع من ناحية يلملم من نواحي مكة<sup>(٢)</sup>.

وكان قائد قريش وحلفائها عبدالمطلب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد بلغوا ألفاً، فالتقوا مع بني كنانة، وكانت الغلبة لعبدالمطلب وجيشه، وانهزم بنو كنانة، وقتلوا قتلاً ذريعاً، فلم يعودوا لحرب قريش<sup>(٣)</sup>.

وستجد في المصادر التسمية لبني كنانة ببني بكر، وليس الأمر اشتباهاً، بل هم بنو ليث بن بكر بن عبدمناة بن كنانة<sup>(٤)</sup>.

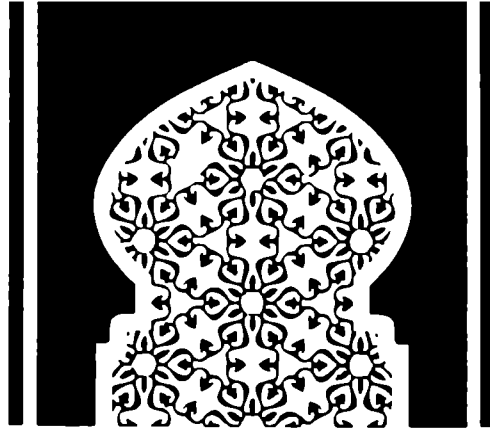
(١) راجع: المنق، ص ١١٣ وما بعدها، ففيه تفصيل أعرضت عنه.

(٢) راجع: معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٠٣.

(٣) راجع: المنق كما سبق، والكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٨٧ - ٥٨٨.

(٤) راجع كتاب: المحبر، ص ٢٤٦.





## الفصل الثاني



### اللقاء مع سيف بن ذي يزن

من هو سيف بن ذي يزن؟

سأقتصر على ما ورد في الموسوعة العربية العالمية، حيث سأختار منها ما يلخص لنا حياته، ويزوّدنا بما نستطيع من خلاله رسم صورة صحيحة ومتكاملة للأحداث.

لقد وضعوا تحديداً لعمره وهو من عام ٥١٦م إلى عام ٥٧٤م، أي أنه ولد قبل الهجرة بعشر سنين ومئة، وظل إلى ما قبل الهجرة بخمسين سنة، فيتحصل من هذا أن عمره ستون سنة.

وجاءت شهرته لما قام به من السعي إلى إزالة ملك الأحباش عن اليمن، فلقد ذهب إلى الروم وبالتحديد أنطاكية وهي مقر ملك بيزنطة آنذاك، وطلب من قيصر أن يخرج الأحباش من اليمن، ويولي عليها من شاء من الروم، فرفض قيصر طلبه؛ متعللاً بأن

الأحباش والروم يجمعهما دين واحد، ولا يمكن أن ينصره عليهم.  
 لم ييأس سيف بن ذي يزن، ويمّم نحو الحيرة، ودخل على  
 النعمان بن المنذر، وهو عامل فارس على الحيرة وما يليها من  
 أرض العرب، فأخذه النعمان إلى كسرى أنوشروان ملك فارس،  
 وعرض عليه الأمر فقبل بعد تردد.

لقد أرسل معه ثمانمئة رجل اختارهم من السجون، وأمّر  
 عليهم أحد قواده ويسمى (وهرز)، وقد حملتهم ثماني سفن،  
 ولكن خلال الطريق خسروا سفينتين، وما وصلوا ساحل عدن إلا  
 بست سفن، وقد شكلوا نواة جيش المعارضة، وانضم لهم كثير من  
 العرب، لتكون المواجهة مع قائد الأحباش وهو مسروق بن أبرهة.  
 وكانت النهاية لصالح سيف بن ذي يزن و(وهرز) على  
 الأحباش، ولكن أصبحت اليمن بذلك تقر بالتبعية لبلاد فارس مع  
 أن الملك على اليمن سيف بن ذي يزن، فقد تقرر أن يدفع خراجاً  
 في كل عام.

واتخذ سيف من غمدان مقراً لحكمه، وقد بقي ملكاً نحو خمس  
 وعشرين سنة، حتى قتل غيلة على يد بعض الأحباش في قصره<sup>(١)</sup>.

### الإمكانية التاريخية

سؤال يطرح نفسه في مثل هذه الروايات التاريخية، وهو

(١) الموسوعة العربية العالمية، ج ١٣، ص ٣٩٣.



يحوم حول وجود الشخصيتين في زمان واحد؛ ليتم بعد ذلك التأمل في الرواية وتفصيلها.

لقد حدد المؤرخون الزمن الذي تولى فيه سيف بن ذي يزن ملك اليمن، فأما من حيث تتابع الأحداث فإن ملك سيف جاء بعد أن ذهب مُلك الحبشة عن اليمن.

وأما من حيث التاريخ فقد ذكر المؤرخون أن طرد الحبشة عن اليمن كان سنة ٥٧٥م أو قبلها بقليل.

وإن هذه المعطيات تشير إلى تماشي الرواية مع الأحداث التاريخية، فيكون من الممكن القول باحتمال ذهاب عبدالمطلب إلى اليمن على نحو ما يرويه المسعودي<sup>(١)</sup>.

### مصادر الرواية

تعددت مصادر الرواية وتنوعت، فقد ذكرتها كتب الأحاديث، وروتها كتب التاريخ، ومن هذه الكتب ما يلي:

- قرب الإسناد، وقد رواها عن الإمام الكاظم عليه السلام<sup>(٢)</sup>.
- كمال الدين وتمام النعمة<sup>(٣)</sup>.
- كنز الفوائد<sup>(٤)</sup>.

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ٢١٦.

(٢) ص ٣١٩.

(٣) ص ١٧٦.

(٤) ص ٨٢.

- شرح صحيح مسلم للنووي<sup>(١)</sup>.
- فتح الباري<sup>(٢)</sup>.
- تاريخ اليعقوبي<sup>(٣)</sup>.

### زمن الوفادة

لقد حددت بعض المصادر زمن الوفادة من خلال التأمل في عمر النبي ﷺ فذكروا أن الوفادة كانت وعمر النبي ﷺ ستان<sup>(٤)</sup>.

وأما الكازروني فقد اختار السنة السابعة من الميلاد النبوي، ولم يكن ذلك لرأي مؤرخ، بل من خلال الاستنتاج من الرواية القائلة بأن عبدالمطلب قال عن رسول الله ﷺ: توفي أبوه وأمه، وكفلته أنا وعمه، وأم رسول الله لم تمت حتى بلغ ست سنين<sup>(٥)</sup>.

ولاشك أن صحة الاستنتاج تعتمد على صحة الرواية أو قوتها التاريخية.

ولا أعتقد أن لتحديد الوقت كثير أهمية فيما يرتبط ببحثنا، وإنما الذي يهمنا صحة الخبر المروي وإمكانية حدوثه قبل ذلك،

(١) ج ١٢، ص ١١٩.

(٢) ج ٨، ص ٢٤.

(٣) ج ٢، ص ١٢.

(٤) مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٢٠.

(٥) البحار، ج ١٥، ص ٤٠٦.

وهو ما يدلنا على أهمية عبدالمطلب في المحيط الإقليمي الذي يعيش فيه.

### الحدث بين الإيجاز والإطناب

إن الروايات التاريخية تتأرجح بين الإيجاز والإطناب، وما أوجز منها رسم الخطوط الرئيسة التي يتفق عليها، ومنها ما روي عن الإمام الكاظم عن أبيه عليه السلام وقد جاء فيها:

ومن ذلك: أن سيف بن ذي يزن حين ظفر بالحبشة، وفد عليه وفد قريش فيهم عبدالمطلب، فسألهم عنه - أي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - ووصف لهم صفته، فأقروا جميعاً بأن هذه الصفة في محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: هذا أوان مبعثه، ومستقره أرض يثرب، وموته بها<sup>(١)</sup>.

إن هذا القدر المذكور في الرواية هو ما نتيقن من حدوثه، فهو ليس خبراً تاريخياً عادياً، بل هو رواية عن المعصوم مسندة.

ولو رجعنا إلى سندها لوجدناه سنداً صحيحاً، ورواة الخبر ثقات لا مجال للغمز فيهم، وسند الرواية يتسم بالقصر، فليس بين مؤلف الكتاب والمعصوم إلا راويان ثقتان فقط<sup>(٢)</sup>.

(١) قرب الإسناد، ص ٣١٩.

(٢) وردت الرواية في كتاب قرب الإسناد لشيخ القميين عبدالله بن جعفر الحميري، ويرويها عن الحسن بن ظريف عن معمر وهو ابن خلاد، وكلاهما قد وثقهما الشيخ النجاشي، فالرواية صحيحة السند.

وأما اليعقوبي فقد بسط القول قليلاً، فقال:

وكان عبدالمطلب قد وفد على سيف بن ذي يزن مع جلّة قومه، لما غلب على اليمن، فقدمه سيف عليهم جميعاً وآثره، ثم خلا به فبشّره برسول الله، ووصف له صفته، فكبر عبدالمطلب، وعرف صدق ما قال سيف، ثم خر ساجداً، فقال له سيف: هل أحسست لما قلت نبأ؟ فقال له: نعم، ولد لابني غلام على مثال ما وصفت، أيها الملك.

قال: فاحذر عليه اليهود وقومك، وقومك أشدّ من اليهود، والله متمّ أمره ومعلّ دعوته<sup>(١)</sup>.

وأما رواية ابن عباس فقد حامت حولها ملحوظات، ولا بد من ذكرها ثم الوقوف مع تلك الملحوظات.

### الرواية المفصلة

وقد رواها ابن عباس، وهي رواية قد أطنب فيها، وسأذكر أهم مفاصلها:

لقد جاء وفد قريش إلى سيف بن ذي يزن، وكان ذلك بعد ولادة النبي ﷺ بسنتين، وفي الوفد رجال، كان منهم عبدالمطلب.

لقد كان اللقاء في قصره غمدان، وكان عبدالمطلب قد

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢.

دنا منه يستأذنه في الكلام فقال له: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك، فقال:

إن الله قد أحلك أيها الملك محلاً ربيعاً، صعباً منيعاً، شامخاً باذخاً، وأنتك منبتاً طابت أرومته، وعذبت جرثومته، وثبت أصله، وبسق فرعه... ثم قال:

نحن -أيها الملك- أهل حرم الله، وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهئة لا وفد المرزئة.

فقال: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ فقال: أنا عبدالمطلب بن هاشم، قال: ابن أختنا؟ قال: نعم... فأدناه، ورحب بمن معه، وأسكنهم في دار الضيافة شهراً.

وبعدها خلا بعبدالمطلب، وأفضى إليه بسر كان يكتمه، فقال: إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الدعامة، إلى يوم القيامة.

ثم قال: هذا حينه الذي يولد فيه، أو قد ولد فيه، اسمه محمد، يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمه...

وطلب عبدالمطلب الإيضاح، فقال له: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النصب، إنك -يا عبدالمطلب- لجده غير كذب، فخرّ عبدالمطلب ساجداً.

ثم قال له: ولولا علمي بأن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي، حتى صرت بيثرب دار ملكه نصره له... ولولا أنني أخاف فيه الآفات، وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره في هذا الوقت...

ثم حباهم جميعاً بالعطاء الوافي، وخصَّ عبدالمطلب بعشرة أضعاف، وقال: إذا حال الحول فائتني، فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول<sup>(١)</sup>.

ثمرة اللقاء عند عبدالمطلب، وكان كثيراً ما يقول: يا معشر قريش، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك - وإن كثر - فإنه إلى نفاذ، ولكن ليغبطني بما بقي لي شرفه وذكره إلى يوم القيامة، فإذا قيل له: وما ذاك؟ قال: ستعلمون نبأ ما أقول، ولو بعد حين<sup>(٢)</sup>.

## رأي وتعقيب

### رأي في الرواية والحدث:

لصاحب موسوعة التاريخ الإسلامي رأي في هذه الرواية، فقد أثار عدة إثارات أمام الحدث الذي ذكرته الرواية، والسبب في ذلك يعود لمعالجته للرواية.

(١) كمال الدين، ص ١٧٧-١٨١.

(٢) الأغاني، ج ١٧، ص ٣١٦.

إن الملحوظات على قسمين:

أولاً: ما يرجع إلى السند، وهي:

١- إن الرواية نقلت عن (ابن عباس)، وهو شخص لم يدرك الحادثة، وإن ما رواه الشيخ الصدوق **ثَبَّتْ** لم يكن مسنداً، بل هو خبر مرفوع مقطوع.

٢- ربما نقلت الرواية عن زرعة بن سيف بن ذي يزن، وقد روتها الأبناء عن آبائهم حتى تصل إلى زرعة، وهم يقصون على المسلمين جملة من مجد جدتهم سيف الذي عاش قبل مئتي سنة أو أكثر.

ثانياً: ما يرجع إلى المتن.

### تعقيب ومناقشة:

أولاً: تأمل فيما يرجع للسند:

أ- إن موقف الكاتب يبدو غريباً تجاه هذا الأمر، فإن الخبر التاريخي لا يناقش بمثل هذه الملحوظات.

لقد ذكر ابن عباس خبراً تاريخياً مرتبطاً بجدته عبدالمطلب، وهو قريب العهد وليس بعيداً عنه.

ب- ذكر في الحاشية أن قرب الإسناد قد روى الخبر، ومع ذلك لم يناقش هذه الرواية.

والرواية في قرب الإسناد لم يروها أبناء سيف بن ذي يزن ليتهموا.

ج- إن الخطوط العامة للخبر تعددت مصادرهما، فلا سبيل إلا للإذعان بحدوث ما ذكره، ويضاف إلى هذا أن الرواية الواردة في قرب الإسناد صحيحة، وهذا ما يلزم القارئ بقبولها.

والخلاصة: إن الخطوط العامة لهذه الرحلة مقبولة تاريخياً ولا سبيل لرفضها، وأما التفاصيل الطويلة ففيها ما يحتاج إلى تأمل.

ثانياً: تأمل فيما يرجع للمتن:

هناك نقد للنص الذي روي عن ابن عباس أو عن ابن سيف<sup>(١)</sup>، ولكن النقد لا يشمل ما روي في قرب الإسناد ولا ينال ما ذكره اليعقوبي:

أ- لقد ورد في الرواية أن سيفاً قال: هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد... ثم قال: وقد ولد سراراً والله باعته جهاراً. فبينما تراه لا يعلم بولادته حتى تجده يقطع بذلك.

والجواب أنه يمكن أن نحمل (قد) في قوله: «قد ولد» على غير التحقيق، بأن تكون دالة على المقاربة، كما في قول المؤذن: قد قامت الصلاة، فالمؤذن يقولها مع أن الصلاة لم تقم بعد.

(١) راجع موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١، ص ٢٧٥-٢٨٠.



ب- ورد في الرواية أن عبدالمطلب قال: وكفلته أنا وعمه، مع أننا نعلم أن الكافل كان عبدالمطلب، ثم انتقل النبي ﷺ بعد وفاته إلى عمه أبي طالب.

والجواب أن حمل العبارة على معنى صحيح ليس بعزيز، فإن عبدالمطلب كان كفيلاً لرسول الله ﷺ ما دام عبدالمطلب حاضراً، وأما إذا سافر فأبو طالب هو كفيله.

ج- من الواضح لكل قارئ أن هناك سبكاً قصصياً للخبر، ولا يستبعد أن للرواية أصلاً، ثم سبك حوله كلام قصصي يحمل التشويق والإثارة.

والجواب أن هذا الكلام لا دليل عليه.

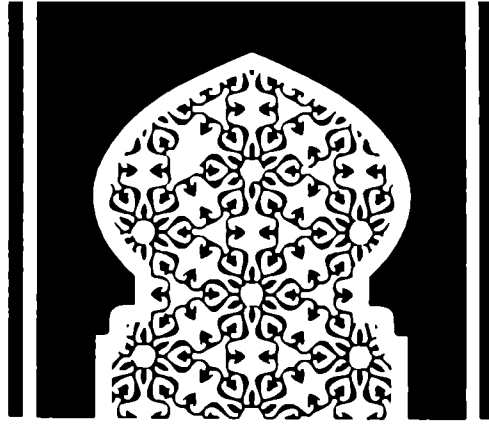
د- إن آخر ما لاحظته على النص هو أن سيف بن ذي يزن كان يهودياً، ولذلك أبي قيصر أن ينصره؛ فعدل إلى أنوشروان، فإذا كان هكذا يذكر فما الدليل على صحة ديانته؟

وهذا أمر غريب من الكاتب، فإنه لا ملازمة بين صحة الدين ونقل البشارة بمقدم النبي ﷺ، ولنا فيما نقل اليهود قبل المبعث خير شاهد ودليل.

محصلة الجولة: إن الخلاصة التي أجدها هي أن الوفاة على سيف بن ذي يزن أمر قد حصل، ولا مفر من الإقرار بها بعد ورودها عن الأئمة عليهم السلام، وبعد أن وجدنا أن الخطوط العامة وما

---

أشارت له الرواية لا يوجد عليها مؤاخذات، ولا تحمل شيئاً من التناقض، ولهذا فإن ردها سيكون مزاجياً.



## الفصل الثالث



### مقتطفات من مكارمه ومواقفه

الشييم الشريفة

يحدّث المؤرخون عن قضية حفظها التاريخ وخلدّها الشعر بأبياته، وهي من مكارم عبدالمطلب عليه السلام، ومحامد فعاله.

لقد كان هناك ركب من جذام قد فرغوا من الحج فغادروا مكة المكرمة، ولكنهم فقدوا رجلاً منهم عالية بيوت مكة، ولقي الركب حذافة العذري، وأخذوه معهم بعد أن ربطوه، ومضوا به حتى لقوا عبدالمطلب مقبلاً من الطائف، ومعه ابنه أبو لهب يقوده، وكان عبدالمطلب حينئذ قد ذهب بصره، فلما نظر إليه حذافة بن غانم هتف به، فقال عبدالمطلب لابنه: ويلك! من هذا؟

قال: هذا حذافة بن غانم مربوطاً مع ركب.

فقال عبدالمطلب: فالحقهم، فسلهم ما شأنهم وشأنه،

فلحقهم أبو لهب مستخبراً الحال فأخبروه الخبر، فرجع إلى أبيه وأخبره فقال: ويحك! ما معك؟ قال: لا والله ما معي شيء، قال: فالحقهم لا أم لك! فأعطهم بيدك، وأطلق الرجل.

فلحقهم أبو لهب فقال: قد عرفتم تجارتي ومالي، وأنا أحلف لكم لأعطينكم عشرين أوقية ذهباً، وعشراً من الإبل وفرساً، وهذا ردائي رهن، فقبلوا ذلك منه، وأطلقوا حذافة، فلما أقبل به وقرب من عبدالمطلب، سمع عبدالمطلب صوت أبي لهب، ولم يسمع صوت حذافة، فصاح به: وأبي إنك لعاصي، ارجع لا أم لك، قال: يا أبتا، هذا الرجل معي، فناداه عبدالمطلب: يا حذافة، أسمعني صوتك: قال: ها أنذا، بأبي أنت وأمي، يا ساقى الحجيج أردفني، فأردفه حتى دخل مكة، فقال حذافة:

كهُولُهُمْ خَيْرُ الكهُولِ ونسلُهُم  
 كنسلِ الملوِكِ لا يبورُ ولا يجري  
 ملوكٌ وأبناءُ الملوِكِ وسادةٌ  
 تفلُّقُ عنهم بيضةُ الطائرِ الصقرِ  
 متى تلقَ منهم طامحاً في عنانهِ  
 تجذُه على أجراءِ والدهِ يجري  
 هُمُ ملكوا البطحاءَ مجداً وسؤدداً  
 وهُمُ نكلوا عنها غواةُ بني بكرِ  
 وهُمُ يغفرونَ الذنبَ يُنقِمُ مثلهُ  
 وهم تركوا رأيَ السفاهةِ والهجرِ

أَخَارِجُ إِمَّا أَهْلَكَنَّ فَلَا تَزَلْ  
لَهُمْ شَاكِرًا حَتَّى تُغَيَّبَ فِي الْقَبْرِ<sup>(١)</sup>

### الحلم والأنفة

روى الزبير عن عمه مصعب بن عبدالله، قال: بينا  
عبدالمطلب يطوف بالبيت بعدما أسنَّ وذهب بصره، إذ زحمه  
رجل، فقال: من هذا؟ ف قيل: رجل من بني بكر.

قال: فما منعه أن ينكب عني، وقد رأني لا أستطيع لأن  
أنكب عنه؟!!

فلما رأى بنيه قد توالوا عشرة قال: لا بد لي من العصا، فإن  
اتخذتها طويلة شققت عليّ، وإن اتخذتها قصيرة قويت عليها،  
ولكن ينحذب لها ظهري، والحدبة ذل، فقال بنوه: أو غير ذلك؟  
يوافيك كل يوم منا رجل تتوكأ عليه فتطوف في حوائجك...

قال: ولذلك قال الزبير: ومكارم عبدالمطلب أكثر من أن  
يحاط بها، كان سيد قريش غير مدافع نفساً وأباً وبيتاً وجمالاً وبهاءً  
وكمالاً وفعالاً<sup>(٢)</sup>.

### وكان عمله منهاجاً يقتدى به

إن عبدالمطلب أول من خضب بالوسمة من أهل مكة،

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢١٨.

وذاك أنه قدم اليمن فنظر إليه بعض ملوكها، فقال: يا عبدالمطلب هل لك أن أغير لك هذا البياض؛ فتعود شاباً؟

قال: ذاك إليك، فخضبه بالحناء، ثم علاه بالوسمة، فلما أراد الانصراف زوّده منه شيئاً كثيراً.

وأقبل عبدالمطلب، فلما دنا من مكة اختضب، ثم دخل مكة كأن رأسه ولحيته حلك الغراب، فقالت له نتيلة بنت جناب بن كليب أم العباس بن عبدالمطلب: يا شيبة الحمد، ما أحسن هذا الخضاب لو دام، فقال عبدالمطلب:

لو دام لي هذا السوادُ حمدُهُ  
 وكان بديلاً من شبابٍ قد انصرمُ  
 تمتعتُ منه والحياةُ قصيرةٌ  
 ولا بد من موتٍ نتيلةٌ أو هرْمُ  
 ومن ذا الذي يجري على المرءِ خفضه  
 ونعمته يوماً إذا عرّشه انهدم  
 فموتٌ جهيرٌ عاجلٌ لا سوى له  
 أحبُّ إلينا من مقالِهِمْ حَكْمُ  
 قال: فخضب بعد ذلك أهل مكة<sup>(١)</sup>.

(١) كتاب العمر والشيب، ص ٥٠ - ٥١، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٨٦ -

## السخاء والعطاء

كان شاعر اسمه مطرود خارجاً، فلتقاه عبدالمطلب،  
ومطرود على بعير أعجف، ورحل خلت بهيئة سوء، فأواه إلى  
رحله، وكساه كسوة حسنة، وأعطاه راحلة فارهة، ورحلاً فاخراً  
فقال مطرود:

يا شيبَةَ الحمدِ الذي تُثْنِي له  
أيامُهُ من خيرِ ذخرِ الداخِرِ  
المجدُّ ما حَجَّتْ إيادُ بيتهُ  
ودعا هديلاً فوق غصنِ ناضرِ  
أوى فأحسنَ ثمَّ متَّعَ رجلي  
بنجيبَةٍ سرحٍ ورحلِ فاخِرِ  
واللَّهِ لا أنساكُمُ وفعالكُمُ  
حتى أُغَيَّبَ في سَفَاةِ القابِرِ  
فلأحبونَّك ما حبوت أباكم  
من مدحةٍ فلجٍ وقولٍ سائرِ  
البدْرُ شيبَةُ أو هلالٌ طالعُ  
وقف الحجيجُ له بوادٍ غائرِ<sup>(١)</sup>

(١) كتاب المنق، ص ٤٧ - ٤٨.







## الفصل الرابع



### نماذج من شعره

تجدد ملاحظة أمرين، وهما:

١- لم أستقص كل شعر نُسب إليه، لوجود محاولة جمع شعره من بعض الكتاب.

٢- ذكرت نماذج من شعره، والغرض إطلاع القارئ على بعض ما نُسب إليه، مع ما يمكن أن يلاحظ عليه من الناحية الفنية.

وقال لابنه العباس وهو يرقصه<sup>(١)</sup>:

ظني بعباسٍ حبيبي إن كبر  
أن يمنع الأخرى إذا ضاع الدُّبر  
وينزع السجّل إذا اليومُ اقمطر  
ويسبأ الزقَّ العظيمَ القنخر

(١) راجع كتاب المنق، ص ٣٤٦.

ويفصل الخطبة في الأمر المبر  
ويكشف الكرب إذا ما اليوم هر  
أكمل من عبد كلال وحجر  
لو جمعاً لم يبلغا منه العشر<sup>(١)</sup>

وقال:

ويأمرُ العبدُ بليلٍ يفتدِرُ  
ميراثَ شيخٍ عاشَ دهرًا غيرَ حرٍ<sup>(٢)</sup>

وقال:

سأوصي زبيراً إن توافت منيتي  
بإمساك ما بيني وبين بني عمرو  
وأن يحفظ الحلف الذي سنَّ شيخه  
ولا يُلجِدَنَّ فيه بظلم ولا غدرٍ  
هُمُ حفظوا الإلَّ القديمَ وحالفوا  
أباك فكانوا دون قومك من فهِرٍ<sup>(٣)</sup>

\*\*\*\*

(١) تاريخ مدينة دمشق، ج ٢٦، ص ٢٨٣.

(٢) تاج العروس، ج ٧، ص ٢٩٨.

(٣) كتاب المنمق، ص ٨٨.

وقال أيضاً لأخواله بني النجار:

أبلغُ بني النجَّار إن جئتُهم  
 أني منهم وابنُهم والخميسُ  
 رأيتُهم قوماً إذا جئتُهم  
 هووا لقائي وأحبُّوا حسيس<sup>(١)</sup>  
 فإنَّ عمِّي نوفلاً قد أبا  
 إلا التي يغضي عليها الخسيس<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*

وقال:

يا ربِّ لا أرجو لهم سواكا  
 يا ربِّ فامنع منهمُ حماكا  
 إن عدوَّ البيتِ من عاداكا  
 امنعهمُ أن يخربوا قراكا<sup>(٣)</sup>

وقال:

لهمَّ إنَّ المرءَ يمنعُ  
 رَحْلَهُ فامنعُ رَحالكُ

(١) كتاب المنق، ص ٨٥.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٩.

(٣) مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٣٤٢ - ٣٤٣.

لا	يغلبنَّ	صليُّهم	
وانصر	على آلِ	الصليبِ	ومِحَالُهُمْ
فلئن	فعلتَ	فربما	غِدْوًا مِحَالُكَ <sup>(١)</sup>
ولئن	فعلت	فإنه	وعابديه
	أولى فأمر	ما بدا لك	أَلْكَ <sup>(٢)</sup>
	أمرٌ تُتِمُّ	به	فِعَالُكَ <sup>(٣)</sup>

وقال:

وكنت إذا أتى باغ بسلمٍ  
فولَّوا لم ينالوا غيرَ خزيٍ  
ولم أسمع بأرجسٍ من رجالٍ  
جرُّوا جموعَ بلادِهِم  
عمدوا حِمَاكَ بكيدِهِم  
نرجِّي أن تكونَ لنا كذلك  
وكان الحينُ يُهَلِكُهُم هنالك  
أرادوا العزَّ فانتَهكوا حرامَكَ  
والفيلَ كي يسبوا عيالَكَ<sup>(٤)</sup>  
جهلاً وما رقبوا جلالَكَ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*\*

(١) مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٣٤٣.

(٢) تاریخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٦٢.

(٣) جامع البيان، ج ٣٠، ص ٣٨٩ - ٣٩٠، وفي تفسير السمعي، ج ٦، ص ٢٨٤:

إن كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدالك

(٤) جامع البيان، ج ٣٠، ص ٣٩٠.

(٥) تاریخ الطبري، ج ١، ص ٥٥٤.

وقال وهو عند أخواله بني النجار بالمدينة:

فحنتُ ناقتي وعلمتُ أني غريبٌ حينَ تابَ إليَّ عقلي<sup>(١)</sup>

وقال:

أنتَ منعتَ الحبشَ والأفيالا  
وقد رعوا بمكةَ الأجيالا  
وقد خشينا منهمُ القتالا  
وكلَّ أمرٍ لهمُ معضالا  
شكراً وحمداً لك ذا الجلالا<sup>(٢)</sup>

وقال:

فقل لجذام إن أتيتَ بلادهم  
وخصَّ بني سعدٍ بها ثمَّ وائلِ  
أنيلوا وأدنوا من وسائلِ قومكم  
فيعطف منكم قبل قطع الوسائل<sup>(٣)</sup>

وقال:

لهمَّ قد أعطيتني سؤالي  
أكثرَ بعد قلَّةِ عيالي  
فاجعل فداه اليومَ جلَّ مالي<sup>(٤)</sup>

(١) التمهيد، ج ١٨، ص ٣١١.

(٢) تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ١٩٦، و(ذا الجلالا): هكذا وردت.

(٣) تاريخ يعقوبي، ج ١، ص ٢٣٠.

(٤) تاريخ يعقوبي، ج ١، ص ٢٥١-٢٥٢.

وقال:

أعوذُ بمالي لهزلي قريش  
وقد دانت الحمس سؤلها  
وبذلي لها الطعم عند المَحُولِ  
إذا أجدبت وتوى مألها  
إذا همَّ بالجودِ بعد الإباءِ  
فلا يأخذ النفسَ عقألها<sup>(١)</sup>

وقال عبدالمطلب بعد أن استولى نوفل على ساحات قد وهبها هاشم له، فاستصرخ قومه فلم يجيبوه فبعث، إلى أخواله من بني النجار في كتاب:

يا طولَ ليلي وأحزاني وأشغالي  
هل من رسولٍ إلى النجار أخوالي  
ينبي عدياً وذبياناً ومازنها  
ومالكاً عصمةَ الجيرانِ عن حالي  
قد كنت فيكم ولا أخشى ظلامه ذي  
ظلم عزيزاً منيعاً ناعمَ البالي  
حتى ارتحلتُ إلى قومي وأزعجني  
عن ذاك مطلبٌ عمي بترحالي  
قد كنت ما كان حياً ناعماً جذلاً  
أمشي العرَضنةَ سحاباً بأذيالي

(١) كتاب المنق، ص ٢٢٠.

فغاب مَطْلَبٌ في قعرِ مظلمةٍ  
وقام نوفلٌ كي يعدو على مالي  
أَنَّ رأى رجلاً غابتِ عمومتهُ  
وغاب أخوالهُ عنه بلا والٍ  
أنحى عليه ولم يحفظ له رحماً  
ما أمنع المرء بين العمِّ والخالِ  
فاستنفرُّوا وامنعوا ضيمَ ابنِ أخيتكمُ  
لا تخذلوهُ فما أنتم بخُدَّالِ  
ما مثلكم في بني قحطانَ قاطبةً  
حيُّ لجارٍ وإنعامٍ وإفضالِ  
أنتم ليانٌ لمن لانت عريكتهُ  
سلمٌ لكم، وسمامٌ الأبلخِ الغالي

فأقبلوا على كل صعب وذلول حتى انتهوا إلى مكة، فكلموا  
نوفلاً حتى ردَّ على عبدالمطلب ما كان له، فقال:

تأبى مازنٌ وبنو عديٍّ  
وذبيانُ بنُ تيمِّ اللاتِ ضيمي  
وذادت مالكٌ حتى تناهت  
ونكَّب بعد نوفلٍ عن حريمي  
بهم ردَّ الإلهُ عليَّ ركحي  
فكانوا في التنسبِ دون قومي<sup>(١)</sup>

(١) المنق، ص ٨٣ - ٨٥.

وقال:

لو دام لي هذا السوادُ حمدُهُ  
 وكان بديلاً من شبابٍ قد انصرمُ  
 تمتعتُ منه والحياةُ قصيرةٌ  
 ولا بد من موتٍ نيلةٌ أو هرْمُ  
 ومَنْ ذا الذي يجري على المرء خفضه  
 ونعمته يوماً إذا عرشه انهدمُ  
 فموتٌ جهيرٌ عاجلٌ لا سوى له  
 أحبُّ إلينا من مقالِهِمْ حَكْمُ<sup>(١)</sup>

وقال:

أيها الداعي لقد أسمعني  
 ثم ما بي عن نداكم من صممُ  
 هل بدا لله أمرٌ أم له  
 سنةٌ في القومٍ ليست في الأممُ  
 قلتُ والأشرمُ تردى خيله  
 إن ذا الأشرمَ غرُّ بالحرْمُ  
 إن للبيتِ لرباً مانعاً  
 مَنْ يُرِدهُ بأثامٍ يصطلمُ  
 رame تبَّعُ فيما قد مضى  
 وكذا حميرُ والحيُّ قدمُ

(١) العمر والشيب، ص ٥١.



فانشى عنه وفي أوداجه  
 جارحٌ أمسك منه بالكظم  
 هلكت بالبغي فيه جرهم  
 بعد طسم وجديسٍ وجمم  
 وكذا الأمر بمن كاده بحر  
 ب فأمر الله بالأمر اللمم  
 نعرفُ اللهَ وفينا سنّة  
 صلةُ الرّحمِ وإيفاءُ الذمم  
 لم يزل لله فينا حجّة  
 يدفع اللهُ بها عنا النقم  
 نحن أهلُ الله في بلدته  
 لم يزل ذاك على عهدِ إبرهم<sup>(١)</sup>

وقال:

عدتُ بما عاذ به إبراهيمُ  
 مستقبلُ الكعبةِ وهو قائمُ

وقال:

لَهُمَّ رَبَّ الْبَلَدِ الْمَحْرَمِ  
 الطَّيِّبِ الْمَبَارِكِ الْمَعْظَمِ  
 أَنْتَ الَّذِي أَعْتَنِي فِي زَمْرِمِ

\*\*\*\*

(١) تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٥٣.

قال الريان بن الصلت: وأنشدني الرضا عليه السلام لعبدالمطلب:

يعيبُ الناسُ كلُّهُمُ زماناً  
وما لزماننا عيبٌ سوانا  
نعيبُ زماننا والعيبُ فينا  
ولو نطق الزمانُ بنا هجانا  
وإن الذئبَ يتركُ لحمَ ذئبٍ  
ويأكلُ بعضنا بعضاً عياناً<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

لبسنا للخداع مسوك طيبٍ  
وويلٌ للغريبِ إذا أتانا<sup>(٢)</sup>

وقال:

الحمدُ لله الذي أعطاني  
هذا الغلامَ الطيبَ الأرداني  
قد ساد في المهدِ على الغلمانِ  
أعيذه بالبيتِ ذي الأركانِ  
حتى يكونَ بلغةَ الفتيانِ  
حتى أراه بالغِ البنيانِ  
أعيذه من كلِّ ذي شنانِ  
من حاسدٍ مضطربِ العنانِ

(١) الأماي للصدوق، ص ٢٤٣.

(٢) أضافه في عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢، ص ١٩٠.

ذي همّةٍ ليس له عينانِ  
 حتى أراه رافعَ اللسانِ  
 أنت الذي سُمِّيتَ في القرآنِ  
 في كتبٍ ثابتةٍ المثاني  
 أحمدُ مكتوبٌ على اللسانِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

(١) البداية والنهاية، ج ٢، ص ٣٢٤.





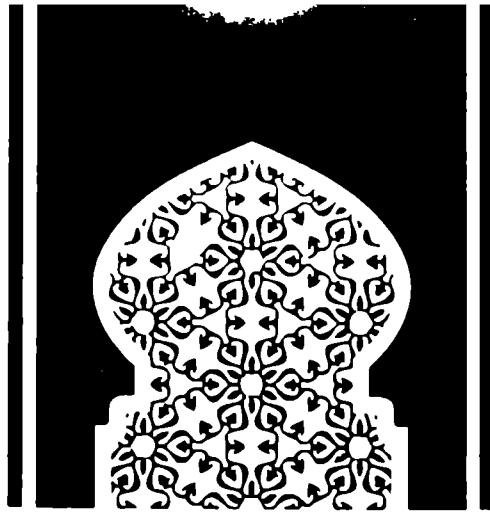
## الباب الثامن



### وأذنت الشمس بالمغيب

- ① خاتمة المطاف مع النبي
- ② من الوداع إلى الرحيل
- ③ عبدالمطلب في قوافي الشعراء





## الفصل الأول



### خاتمة المطاف مع النبي

#### الاهتمام بمستقبل النبي ﷺ

مرت أكثر من ثمانين سنة، واستدارت رحي ثمانية عقود، حول شية الحمد، فرأينا بوضوح وجلاء أنها حياة تتمحور حول النبي ﷺ.

لقد كان خلال أيامه الطويلة يمهد الطريق لمقدم النبي الأكرم ﷺ، وما إن استهلَّ حتى صار همَّه الأكبر، فقد اتخذه كعبة يطوف بها، ورآه وسيلة يرتقي بفضلها، فينال من خالقه مبتغاه.

ودرج النبي ﷺ في رحاب سيد الوادي معززاً مكرماً ثمانية أعوام، ولكنها انطوت كلمح البصر، فهذا صاحب القامة الشامخة شموخ الجبال قد أخذت أمارات الموت تزحف نحوه، وأخذ يعدُّ العدة للرحيل.

لم يكن فيما نقله التاريخ عن أيام عبدالمطلب الأخيرة إلا

منمٌ واحد وهو الإعداد للأيام المقبلة، والتي ستشهد مولد الإسلام وتحتاج إلى عَضْد يقف معها.

### وكفله أبو طالب

لقد تعددت الأخبار المتحدثة عن وصايا عبدالمطلب عليه السلام، ويبدو أنها لم تكن وصية واحدة اختلف في نقلها نقلة الأخبار، ولكنها - كما يبدو - تتحدث عن الأيام الأخيرة، فمن الروايات ما يحدّد زمان الحادثة، فتذكر أن عمر رسول الله ﷺ كان آنئذٍ ثمانية أعوام، وهو العمر الذي قضاه مع جده عبدالمطلب.

لقد جمع عبدالمطلب أولاده فقال:

محمد يتيم فأووه، وعائل فأغنوه، احفظوا وصيتي فيه، فقال أبو لهب: أنا له، فقال: كُفَّ شرك عنه، فقال العباس: أنا له، فقال: أنت غضبان لعلك تؤذيه، فقال أبو طالب: أنا له، فقال: أنت له، يا محمد، أطع له، فقال رسول الله: يا أبه، لا تحزن؛ فإن لي رباً لا يضيعني<sup>(١)</sup>.

وهناك رواية تذكرها كتب التاريخ لفاطمة بنت أسد، ويبدو أنها للحادثة ذاتها، وهي رواية مكتنزة بالمعاني الجليلة.

تقول فاطمة بنت أسد: لما ظهرت أمانة وفاة عبدالمطلب قال لأولاده: من يكفل محمداً؟ قالوا: هو أكيس منا، فقل له يختار لنفسه.

فقال عبدالمطلب: يا محمد، جدك على جناح السفر إلى

(١) مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٣٤.



القيامة، أي عمومتك وعماتك تريد أن يكفلك؟

فنظر في وجوههم، ثم زحف إلى عند أبي طالب، فقال له عبدالمطلب: يا أبا طالب، إني قد عرفت ديانتك وأمانتك، فكن له كما كنت له<sup>(١)</sup>.

ولاشك أن في هذه الرواية ما يليق بجناب النبي الأعظم ﷺ، وما يتناسب مع شخصيته.

لقد أنشأ عبدالمطلب بعد وصيته لأبي طالب:

أوصيك يا عبدمنافٍ بعدي  
بمُوحِدٍ بعد أبيه فرُد  
فارقه وهو ضجيعُ المهدِ  
فكنتُ كالأمِّ له في الوجد  
ألصقهُ على الحشى والكبدِ  
حتى إذا خفتُ فراقَ الوحيدِ  
أوصيك أرجى أهلنا بالرفدِ  
بابنِ الذي غيَّبته في اللحدِ  
بالكرهِ مني ثم لا بالمفدي  
وخيرةُ الله تشا في العبدِ<sup>(٢)</sup>

(١) الخرائج والجرائح، ج ١، ص ١٣٩.

(٢) أعيان الشيعة، ج ٨، ص ١١٤، وتروى الأبيات بصور مختلفة، راجع تاريخ

اليقوي، ج ٢، ص ١٣.

وقال:

أوصيتُ مَنْ كَنَيْتُهُ بطالبِ  
 عبدَ منافٍ وهو ذو تجاربِ  
 بابنِ الذي قد غاب غيرَ آئبِ  
 بابنِ أخٍ والنسوةِ الحبابِ  
 بابنِ الحبيبِ أقربِ الأقاربِ  
 فقال لي كَشَبَهُ المعاتبِ  
 لا توصني إن كنتَ بالمعاتبِ  
 بثابتِ الحقِّ عليَّ واجبِ  
 محمدٌ ذو العرفِ والذوائبِ  
 قلبي إليه مقبلٍ وآئبِ  
 فليستُ بالآئسِ غيرِ الراغبِ  
 بأن يحقَّ اللهُ قولَ الراهبِ  
 فيه وأن يَفْضَلَ آلَ غالبِ  
 إني سمعتُ أعجبَ العجائبِ  
 من كلِّ حبرٍ عالمٍ وكاتبِ  
 هذا الذي يقتادُ كالجنائبِ  
 مَنْ حلَّ بالأبطحِ والأخاشبِ  
 أيضاً وَمَنْ ثابَ إلى المشاوبِ  
 من ساكنِ للحرمِ أو مجانِبِ<sup>(١)</sup>

(١) سيرة ابن إسحاق، ج ١، ص ٤٨.

وروي أنه خاطب أبناءه عند وفاته بعد أن أمرهم ونهاهم وأوصاهم وقال:

إياكم والبغي، فوالله ما خلق الله شيئاً أعجل عقوبة من البغي، وما رأيت أحداً بقي على البغي إلا إخوتكم من بني عبدشمس<sup>(١)</sup>.

### وداع النبي ﷺ لجده

لقد بدأت أيام عبدالمطلب تتناقص حتى أصبح ممدداً على فراش الموت، ورسول الله ﷺ يودّع الجد الذي كفله، ويستعد لفراق دفء شيبة الحمد.

لقد وصف التاريخ لحظات الوداع الأخير، فهذا رسول الله ﷺ يرى جده في غمرات الموت، فما وجد مكاناً يستقر فيه إلا أن يكون على صدره.

ولعمر الهدى، إن هذه الصورة تُذرف الدمع، وترقُّ لها القلوب القاسية، ومن الصعب تصور حالة النبي ﷺ وهو يفجع للمرة الثالثة بأحبائه.

ولنقترب قليلاً من المشهد التاريخي، فقد أرسل عبدالمطلب إلى أبي طالب ليحضره، فجاء أبو طالب ورسول الله ﷺ على صدر جده، وكان عبدالمطلب يبكي، فيا ترى ما الذي أهمّه فأبكاه؟ هلمّ

(١) شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ٢٣٢.

فاستمع له يخاطب ولده قائلاً:

يا أبا طالب، انظر أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه، ولا ذاق شفقة أمه، انظر - يا أبا طالب - أن يكون من جسدك بمنزلة كبذك، فإني قد تركت بني كلهم، وأوصيتك به؛ لأنك من أم أبيه.

يا أبا طالب، إن أدركت أيامه فاعلم أنني كنت من أبصر الناس وأعلم الناس به، فإن استطعت أن تتبعه فافعل، وانصره بلسانك، ويدك، ومالك؛ فإنه - والله - سيسودكم، ويملك ما لم يملك أحد من بني آبائي، يا أبا طالب، ما أعلم أحداً من آبائك مات عنه أبوه على حال أبيه، ولا أمه على حال أمه، فاحفظه لو حدثته، هل قبلت وصيتي فيه؟

فقال: نعم، قد قبلت، والله عليّ بذلك شهيد، فقال عبدالمطلب: الآن خفف عليّ الموت، ثم لم يزل يقبله، ويقول: أشهد أنني لم أقبل أحداً من ولدي أطيب ريحاً منك، ولا أحسن وجهاً منك، ويتمنى أن يكون قد بقي حتى يدرك زمانه<sup>(١)</sup>.

وقال صاحب شرف المصطفى: إن عبدالمطلب قال لابنه: يا بني، قد علمت شدة حبي لمحمد ووجدي به، انظر كيف تحفظني فيه؟ قال أبو طالب: يا أبا، لا توصني بمحمد، فإنه ابني وابن أخي<sup>(٢)</sup>.

(١) كمال الدين، ص ١٧٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ج ١، ص ٣٥.



## الفصل الثاني

### من الوداع إلى الرحيل

#### وبكت بناته قبل الرحيل

وروى ابن إسحاق أن عبدالمطلب لما حضرته الوفاة قال لبناته: ابكين حتى أسمع كيف تقلن، وكن ست نسوة وهن: أميمة وأم حكيم وبرة وعاتكة وصفية وأروى.

فقال أميمة:

ألا هلك الراعي العشيرة ذو العقد  
وساقي الحجيج والمحامي عن الحمد  
ومَنْ يُؤْلِفُ الجارَ الغريبَ لبيته  
إذا ما سماءُ البيتِ تبخلُ بالرعدِ

وقالت عاتكة:

أعينيَّ جودا ولا تبخلا بدمعكما بعد نومِ النيام

أعينيَّ وَاسْحَنْفِرَا وَاسْكُبَا      وَشُوبَا بكَاءَ كَمَا بِالتَّدَامِ  
 عَلَى الْجَحْفَلِ الْغَمْرِ فِي النَّائِبَاتِ      كَرِيمِ الْمَسَاعِي وَفِيَّ الذَّمَامِ  
 عَلَى شِيْبَةِ الْحَمْدِ وَارِي الزَّنَادِ      وَذِي مُصَدِّقٍ بَعْدَ ثَبَتِ الْمَقَامِ

وقالت صفة:

أَرِقْتُ لَصَوْتِ نَائِحَةٍ بَلِيلِ  
 عَلَى رَجْلِ بَقَارَعَةٍ الصَّعِيدِ  
 ففَاضَتْ عِنْدَ ذَلِكُمْ دَمُوعِي  
 عَلَى خَدِّي كَمُنْحَدِرِ الْفَرِيدِ  
 عَلَى الْفِيَّاضِ شِيْبَةَ ذِي الْمَعَالِي  
 أَيْبِكَ الْخَيْرِ وَارِثِ كُلِّ جُودِ  
 طَوِيلِ الْبَاعِ أَرْوَعَ شَيْظِمِيَّ  
 مَطَاعٍ فِي عَشِيرَتِهِ حَمِيدِ  
 عَظِيمِ الْحَلْمِ مِنْ نَفْرِ كَرَامِ  
 خَضَارْمَةٍ مَلَاوِثَةٍ أُسُودِ

وقالت البيضاء أم حكيم:

أَلَا يَا عَيْنُ جُودِي وَاسْتَهْلِي  
 وَبِكِّي ذَا النَّدَى وَالْمَكْرَمَاتِ  
 أَلَا يَا عَيْنُ وَيْحَكَ أَسْعَفِينِي  
 بِدَمْعٍ مِنْ دَمُوعِ هَاطَلَاتِ  
 فَبِكِّي خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا  
 أَبَاكَ الْخَيْرَ تَيَّارَ الْفِرَاتِ

طويلَ الباعِ شيبَةَ ذا المعالي  
 كريمَ الخيمِ محمودَ الهباتِ  
 وصولاً للقرابةِ هبرزيّاً  
 وغيثاً في السنينِ المُمجّلاتِ  
 فبكيه ولا تسمي بحزنٍ  
 وبكي ما بكي الباكياتِ

وقالت برة:

أعينيّ جوداً بدمعٍ دُررُ  
 على طيّبِ الخيمِ والمعتصرُ  
 على ماجدِ الجدِّ واري الزنادِ  
 جميلِ المحيّا عظيمِ الخطرُ  
 على شيبَةِ الحمدِ ذي المكرماتِ  
 وذي المجدِ والعزِّ والمفتخرُ  
 وذي الفضلِ والحلمِ في النائباتِ  
 كثيرِ المكارمِ جمّ الفخرُ  
 له فضلٌ مجدٍ على قومهِ  
 مبينٌ يلوخُ كضوءِ القمرُ  
 أته المنايا فلم تشوهِه  
 بصرفِ الليالي وريبِ القدرُ

وقالت أروى:

بكت عيني وحقّ لها البكاء على سمحِ سجيتهُ الحياءُ

على سهلِ الخليقةِ أبطحيِّ      كريمِ الخيمِ نيتهُ العلاءُ  
على الفياضِ شيبةَ ذي المعالي      أبيك الخيرِ ليس له كفاءُ  
طويلِ الباعِ أملسَ شيطميِّ      أغرَّ كأن غرَّته ضياءُ  
ومعقلِ مالكِ وربيعِ فهرِ      وفاصلِها إذا التبس القضاء<sup>(١)</sup>

### وللمت الشمس خيوطها

هكذا صدر المؤرخون هذه اللحظات الأخيرة من حياة سيد الوادي وشيبة الحمد عليه السلام، وبعدها فارق الحياة وارتفعت واحة البكاء بما لم يسمع على أحد قبله.

وجهاز جسده تغسيلاً وتكفيناً، في حلتين من حلل اليمن، قيمتهما ألف مثقال ذهب، وطرح عليه المسك حتى ستره، وحمل على أيدي الرجال عدة أيام إعظماً وإكراماً وإكباراً لتغيبه في التراب<sup>(٢)</sup>.

ثم سارت جنازة عبدالمطلب والنبي ﷺ يسير خلفها، وهو يبكي، حتى دفن بالحجون<sup>(٣)</sup>.

### عمره الشريف

لقد اختلف المؤرخون في عمر عبدالمطلب اختلافاً كبيراً

(١) سيرة ابن إسحاق، ج ١، ص ٤٥ - ٤٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣.

(٣) تاريخ الإسلام، ج ١، ص ٥٤، وفي البحار، ج ١٥، ص ١٦٢ سُئل رسول الله

ﷺ أتذكر موت عبدالمطلب؟ فقال: نعم، أنا يومئذ ابن ثمان سنين، قالت

أم أيمن: رأيت رسول الله ﷺ يبكي خلف سرير عبدالمطلب.



جداً، وسأعرض ما قاله المؤرخون، إذ لا سبيل للتحقيق في الأقوال.

### السيرة الحلبية

توفي عبدالمطلب وله من العمر خمس وتسعون سنة، وقيل: مائة وعشرون، وقيل: وأربعون، أي ولعل ضعف هذا القول اقتضى عدم ذكر ابن الجوزي لعبدالمطلب في المعمرين.

قال: وقيل: اثنان وثمانون، أي وعليه اقتصر الحافظ الدمياطي.

قال: وقيل مائة وأربعة وأربعون<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنه يتبنى القول بأن عمره خمس وتسعون سنة، ولهذا قدّم للأقوال الأخرى بقوله: وقيل.

### عيون الأثر

إن عبدالمطلب بن هاشم هلك عن سن عالية مختلف في حقيقتها، قال أبو الربيع بن سالم: أدناها ما انتهى إليّ ووقفت عليه خمس وتسعون سنة... وأعلىها مائة وأربعون<sup>(٢)</sup>.

ولكن ستجد من يذكر عمره أقل من ذلك، فقد نقل صاحب

(١) السيرة الحلبية، ج ١، ص ١٨٤.

(٢) راجع ج ١، ص ٥٩.

البحار عن كتاب المنتقى.. أن عبدالمطلب ابن ثنتين وثمانين سنة، ويقال: ابن مئة وعشرين سنة<sup>(١)</sup>.

### شهر وفاته

لقد نص الشيخ المجلسي رحمته الله على أن وفاته كانت في العاشر من شهر ربيع الأول<sup>(٢)</sup>.

### موضع قبره

لقد دفن عبدالمطلب في الحجون، ولم يذكر المؤرخون تفاصيل دفنه، ولكن هنا رواية تشير إلى طرف من ذلك.

روي عن علي عليه السلام أنه قال: تبع أبو طالب عبدالمطلب في كل أحواله حتى خرج من الدنيا وهو على ملته، وأوصاني أن أدفنه في قبره، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فقال: اذهب فواره، وأنفذ لما أمرك به، فغسلته وكفنته، وحملته إلى الحجون، ونبشت قبر عبدالمطلب، فرفعت الصفيح عن لحده، فإذا هو موجه إلى القبلة، فحمدت الله تعالى على ذلك ووجهت الشيخ، وأطبقت الصفيح عليهما، وأنا وصي الأوصياء، وورثت خير الأنبياء<sup>(٣)</sup>.

(١) ج ١٥، ص ١٦٢.

(٢) البحار، ج ٩٧، ص ٢٢٢.

(٣) الكنى والألقاب، ج ١، ص ١١٠.



## الفصل الثالث



### عبدالمطلب في قوافي الشعراء

المراثي

قال أبو طالب عليه السلام:

أبكى العيونَ وأذرى دمعها دررا  
مصابُ شيبةِ بيتِ الدينِ والكرمِ

\*\*\*\*

كان الشجاعَ الجوادَ الفردَ سؤدده  
له فضائلُ تعلو سادةَ الأممِ  
مضى أبو الحارث المأمولُ نائله  
والمختشى صولُه في الناسِ والنقمِ  
هو الرئيسُ الذي لا خَلَقَ يقدّمه  
غداةَ يحمي عن الأبطالِ بالعلمِ

العامرُ البيتِ بيتِ الله يملؤه  
نوراً فيجلو كسوفَ القحطِ والظلمِ  
ربُّ الفراشِ بصحنِ البيتِ تكرمهُ  
بذاك فضّل أهلَ الفخرِ والقدمِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

بكت قريشُ أباهَا كلها وعُلاً  
أيامها وحماها الثابتَ الدعمِ  
صفيُّ بغيٍّ وجودي بالدموعِ له  
وأسعدي يا أميمُ اليومَ بالسجمِ  
تُجِبْكَ نسوةٌ رهطٍ من بني أسدِ  
والغرّ زهرةٌ بعد العربِ والعجمِ  
ألم يكن زينَ أهلِ الأرضِ كلّهمُ  
وعصمةُ الخلقِ من عادٍ ومن إرمِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*

وقال حذيفة بن غانم:

أعينيّ جوداً بالدموعِ على الصدرِ  
ولا تسأماً أسقيتما سبيلَ القطرِ

(١) شعر أبي طالب.. دراسة أدبية، ص ١٢٨.

(٢) شعر أبي طالب.. دراسة أدبية، ص ١٢١ - ١٢٢.

وجودا بدمع واسفحا كلَّ شارِقِ  
 بكاءَ امرئٍ لم يَشُوهِ نائِبُ الدهرِ  
 وسُحًا وِجْمًا واسجما ما بقيتما  
 على ذي حياءٍ من قريشٍ وذو سترِ  
 على رجلٍ جَلَدِ القوي ذي حفيظةٍ  
 جميلِ المحيَّا غيرِ نكسٍ ولا هدرِ  
 على الماجدِ البهلولِ ذي الباعِ والندی  
 ربيعِ لؤيِّ في القحوطِ وفي العسرِ  
 على خيرِ حافٍ من معدَّ وناعلِ  
 كريمِ المساعي طيبِ الخيمِ والنَّجْرِ  
 وخيرِهِمُ أصلاً وفرعاً ومعدناً  
 وأحظاهمُ بالمكرماتِ وبالذکرِ  
 وأولاهمُ بالمجدِ والحلمِ والنهي  
 وبالفضلِ عندِ المجحفاتِ من الغبرِ  
 على شبيبةِ الحمدِ الذي كان وجهه  
 يضيءُ سوادَ الليلِ كالقمرِ البدرِ  
 وساقِي الحجيجِ ثمَّ للخيرِ هاشمِ  
 وعبدِ منافٍ ذلك السيدِ الفهري  
 طوى زمزماً عندِ المقامِ فأصبحت  
 سقايتهُ فخراً على كلِّ ذي فخرِ

ليكَ عليه كُلُّ عَانٍ بِكَرْبَةٍ  
وَأَلُّ قِصِيٍّ مِنْ مَقْلٍ وَذِي وَفْرٍ<sup>(١)</sup>

\*\*\*\*

وقال مطرود الخزاعي:

يا أيها الرجل المحوّل رَحْلَهُ  
هَلَّا سَأَلْتَ عَنْ آلِ عَبْدِ مَنْافِ  
هَبْلَتِكَ أُمَّكَ لَوْ حَلَلْتَ بَدَارِهِمْ  
ضَمْنُوكَ مِنْ جُرْمٍ وَمِنْ إِقْرَافِ  
الْخَالَطِينَ غَنِيَّهِمْ بِفَقِيرِهِمْ  
حَتَّى يَعُودَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي  
الْمُنْعَمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ  
وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِيْلَافِ  
وَالْمَطْعَمِينَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاوَحَتْ  
حَتَّى تَغِيْبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَافِ  
إِمَّا هَلَكْتَ أبا الْفَعَالِ فَمَا جَرَى  
مِنْ فَوْقِ مِثْلِكَ عَقْدُ ذَاتِ نَطَافِ  
إِلَّا أَيْبِكَ أَخِي الْمَكَارِمِ وَحَدَهُ  
وَالْفَيْضِ مَطْلَبِ أَبِي الْأَضْيَافِ<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ١١٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ١١٥.

وقال العلامة الجليل الشيخ حسين العمران حفظه الله تعالى:

متى نحاك الدهرُ بالأمرِ العطبُ      أقسم على الله ببعد المطلب  
وصي عيسى وأمين سره      على عموم نهيه وأمره  
وكونه جدًّا لخاتم الرُّسل      أعظم به فخراً فما شئت فقل  
وفي غيوب سره قد انطوى      ظل المهيمن الشديد ذي القوى  
وفي غيوبه الشهودُ كلُّه      فهو بذاك فرعُه وأصلُه  
بل هو للمعبودِ وجهه الأتم      غرته سلطان إقليم القدم  
فيه التقى النورانِ منه افتراقا      أكرم بذاك الافتراقِ واللقا  
نورٌ لعبدالله نورُ المرسلِ      وفي أبي طالب نورٌ لعلي<sup>(١)</sup>

### شبهة الحمد:

الشاعر محمود فهد المؤمن

يا «مطعم الطير» يا محي لنا السننا  
يا «بيضة البلد» القديس أنت بنا  
«ساقى الحجيج» تسنمت الوسام وذا  
تاج السيادة في أبنائك افتنا  
مستودع الحجاج العظمى وعزهم  
وكهف أمين لسر الله قد سكنا

(١) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية، ج ١٥، ص ٢٤٥.

أبو الذبيحين وابنُ للذبيحِ فكم  
فدى القرايينَ للإسلامِ ما وهنا  
حفرتَ زمزمَ بئراً للوفودِ وقد  
عظمتَ مكةَ يا لله أيُّ سنا  
هتفتَ: للبيتِ ربُّ ليس يخذلهُ  
فرفرف النصرُ مذ ناديتَ ثمَّ دنا  
يا «شيبةَ الحمدِ» يا فخرًا لهاشمَ يا  
نبعَ الكرامةِ هبني من عُلاكِ جنى



## الخاتمة

عزيزي القارئ... لقد طفت معي خلال هذه الصفحات،  
وكأني أقرأ ما في نفسك من الإعجاب والإكبار الذي لا يليق إلا  
برجال السماء.

وقفنا عند أحداث التاريخ فرأينا عبدالمطلب سيد قريش،  
وزعيم الحج وقائد المسيرة الدينية في قومه، فكلما سنَّ سنة سار  
الناس على خطاها.

وجال فكرنا في علقته بالسماء، فمنها هتاف نازل إليه، ومنه  
دعاء مستجاب صاعد إليها.

وأرحنا عقولنا عند الروايات، فدللتنا على كونه حجةً لله  
سبحانه وتعالى، فكفتنا مؤونة الحيرة في شخصه.

إنها خلاصة لاشك أنك تتفق معي فيها، وتلتقي معي في  
تفاصيلها، يقرُّ بها العقل السليم، ويدعن لها الفكر الرصين، ولا  
يأبأها كل ذي حس مستقيم.

وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحشرنا جميعاً مع  
صاحب المقام الشامخ، وألاً يحرمنا من بركاته يوم لا ينفع مال  
ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## المصادر

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- أبو طالب حامي الرسول ﷺ وناصره، نجم الدين العسكري، ١٣٨٠هـ، مطبعة الآداب، النجف الأشرف - العراق.
- ٣- أديان العرب في الجاهلية، محمد نعمان، ط ١، ١٤٢٦هـ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة - مصر.
- ٤- الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية، الشيخ فرج العمران، مطبعة النعمان، النجف الأشرف - العراق.
- ٥- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ط ١، ١٤١٢هـ، دار الجيل، بيروت - لبنان.
- ٦- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط ١، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٧- الاعتقادات في دين الإمامية، الشيخ الصدوق، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، بيروت - لبنان.

- ٨- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط ٥، ١٩٨٠ م، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
- ٩- إعلام الوري بأعلام الهدى، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ط ١، ١٤١٧ هـ، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم - إيران.
- ١٠- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف، بيروت - لبنان.
- ١١- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ط ٤، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٢- الأمالي، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط ١، ١٤١٧ هـ، مؤسسة البعثة، قم - إيران.
- ١٣- الأمالي، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، ط ١، ١٤٠٣ هـ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة - إيران.
- ١٤- الأمالي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ط ١، ١٤١٤ هـ، دار الثقافة، قم المقدسة - إيران.
- ١٥- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرئ، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- ١٦- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
- ١٧- الانتصار، الشيخ علي الكوراني، ط ١، ١٤٢٢هـ، دار السيرة، بيروت - لبنان.
- ١٨- الأنوار البهية، الشيخ عباس القمي، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي.
- ١٩- الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، الحر العاملي، ط ١، ١٤٢٢هـ ق - ١٣٨٣هـ ش، نگارش، قم - إيران.
- ٢٠- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ط ٢ المصححة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.
- ٢١- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٢٢- بداية الوصول في شرح كفاية الأصول، الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي، إشراف: محمد الموسوي البكاء، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مطبعة ستاره.
- ٢٣- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ط ١٤١٤هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٢٤- تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ط ٤، بيروت - لبنان.
- ٢٥- تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط ٢، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

- ٢٦- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، ط ٤،  
١٤٠٣ هـ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.
- ٢٧- تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط العصفري، ط  
١٤١٤ هـ، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٢٨- تاريخ قریش، حسين مؤنس، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م،  
العصر الحديث.
- ٢٩- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري.
- ٣٠- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة  
الله بن عبد الله الشافعي، ط ١٥١٤ هـ - ١٩٩٥ م، دار  
الفكر، بيروت - لبنان.
- ٣١- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، مؤسسة  
ونشر فرهنگ أهل بيت عليه السلام، قم المقدسة - إيران.
- ٣٢- تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعي.
- ٣٣- تفسير ابن زنين، محمد بن أبي زنين، ط ١، ١٤٢٣ هـ -  
٢٠٠٢ م، الفاروق الحديثة، القاهرة - مصر.
- ٣٤- تفسير البغوي، البغوي، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٣٥- تفسير البيضاوي، البيضاوي، دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٣٦- تفسير الثعلبي، الثعلبي، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، دار  
إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٣٧- تفسير جوامع الجامع، الشيخ الفضل بن الحسن الطبرسي،  
ط ١، ١٤١٨ هـ، قم - إيران.
- ٣٨- تفسير الرازي، الرازي، ط ٣.

- ٣٩- تفسير روح المعاني، الألو سي.
- ٤٠- تفسير السمرقندي، أبو الليث السمرقندي دار الفكر، بيروت - لبنان.
- ٤١- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، طهران - إيران.
- ٤٢- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن كثير الدمشقي، ط ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٤٣- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي محمد ابن أحمد الأنصاري، ط ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٤٤- تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ط ٣، ١٤٠٤ هـ، قم - إيران.
- ٤٥- تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٤٦- تفسير النسفي، عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي.
- ٤٧- التمهيد، ابن عبد البر، ١٣٨٧، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.
- ٤٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف المزي، ط ٤، ١٤٠٦ هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ٤٩- جامع البيان، ابن جرير الطبري، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، بيروت - لبنان.

- ٥٠- حاشية رد المحتار، ابن عابدين، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، بيروت - لبنان.
- ٥١- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام.
- ٥٢- الخصال، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط ١٤٠٣هـ، مركز المنشورات الإسلامية، قم المقدسة - إيران.
- ٥٣- الدر النظيم، ابن حاتم العاملي، قم المقدسة - إيران.
- ٥٤- الدروس الشرعية في فقه الإمامية، محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول)، ط ١، ١٤١٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة - إيران.
- ٥٥- رسائل الشريف المرتضى، الشريف المرتضى علي بن الحسين، ط ١٤٠٥هـ، دار القرآن الكريم - مدرسة آية الله العظمى السيد الكلبيگاني، قم المقدسة - إيران.
- ٥٦- زاد المسير، ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٥٧- سر السلسلة العلوية، سهل بن عبد الله البخاري، ط ١ ١٣٨١ق - ١٣٧١ش، انتشارات الشريف الرضي.
- ٥٨- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي.
- ٥٩- سيرة ابن إسحاق، محمد بن إسحاق المطلبلي، ط ١٤٠٠هـ، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٦٠- السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي.



- ٦١- السيرة النبوية، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، ١٣٩٦هـ - ١٩٧١م، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٦٢- السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، ط ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.
- ٦٣- شرح إحقاق الحق، السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري، تعليق السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة - إيران.
- ٦٤- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي النعمان المغربي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة - إيران.
- ٦٥- شرح الأزهار، أحمد المرتضى، اليمن.
- ٦٦- شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٦٧- شرح صحيح مسلم، النووي، ط ١٤٠٧هـ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٦٨- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ط ١، ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م، دار إحياء الكتب العربية.
- ٦٩- شعر أبي طالب.. دراسة أدبية، د. هناء كشكول، ط ١، ١٤٢٩هـ، مطبعة نكارش.
- ٧٠- الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط ٤، ١٤٠٧هـ، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

- ٧١- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت - لبنان.
- ٧٢- العصمة، السيد علي الميلاني، ط ١، ١٤٢١هـ، قم - إيران.
- ٧٣- العقائد الإسلامية، مركز المصطفى عليه السلام، ط ١، ١٤١٩هـ، مهر، قم - إيران.
- ٧٤- العمدة، ابن البطريق، ١٤٠٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.
- ٧٥- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني (ابن عنبه)، ط ٢، ١٣٨٠هـ، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق.
- ٧٦- عمدة القاري، محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٧٧- عيون الأثر، ابن سيد الناس، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، بيروت - لبنان.
- ٧٨- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق محمد بن علي ابن الحسين بن بابويه القمي، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ٧٩- الغدير، العلامة الشيخ عبدالحسين الأميني، ط ٤، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٨٠- الفايق في غريب الحديث، جار الله الزمخشري، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- ٨١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط ٢، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ٨٢- الفصول المختارة، الشريف المرتضى، ط ٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، بيروت - لبنان.
- ٨٣- فقه السنة، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٨٤- فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، ط ١، ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ٨٥- قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري، ط ١، ١٤١٩ هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.
- ٨٦- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.
- ٨٧- قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري، ط ١، ١٤١٣ هـ، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة - إيران.
- ٨٨- الكافي، الشيخ الكليني محمد بن يعقوب بن إسحاق، ط ٣، ١٣٨٨ هـ، دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.
- ٨٩- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ط ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م، دار بيروت، بيروت - لبنان.
- ٩٠- كتاب الثقات، ابن حبان، ط ١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند.
- ٩١- كتاب الدعاء، الطبراني، ط ١، ١٤١٣ هـ، دار الكتب

- العلمية، بيروت - لبنان.
- ٩٢- كتاب العمر والشيب، ابن أبي الدنيا، ط ١، ١٤١٢هـ، الرياض - السعودية.
- ٩٣- كتاب العين، الخليل الفراهيدي، ط ٢، ١٤٠٩هـ.
- ٩٤- كشف الغطاء، الشيخ جعفر كاشف الغطاء، أصفهان - إيران.
- ٩٥- كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق محمد بن علي ابن الحسين بن بابويه القمي، ط ١٤٠٥هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة - إيران.
- ٩٦- الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، مكتبة الصدر، طهران - إيران.
- ٩٧- كنز العمال، المتقي الهندي، ط ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.
- ٩٨- كنز الفوائد، محمد بن علي الكراجكي، ط ٢، ١٣٦٩ش، مكتبة المصطفوي، قم - إيران.
- ٩٩- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، ط ١٤٠٥هـ، نشر أدب الحوزة، قم المقدسة - إيران.
- ١٠٠- المبسوط، السرخسي، ط ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
- ١٠١- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، ط ٢، ١٤٠٨هـ، مكتبة النشر الثقافية الإسلامية.
- ١٠٢- مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الفضل بن الحسن

- الطبرسي، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.
- ١٠٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي الهيثمي، ط ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٠٤ - المجموع شرح المهذب، محيي الدين بن شرف النووي، دار الفكر.
- ١٠٥ - مستدركات أعيان الشيعة، السيد حسن الأمين، ط ٢، ١٤١٨ هـ، دار التعارف، بيروت - لبنان.
- ١٠٦ - مستدرک سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٠٧ - المستدرک علی الصحیحین، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١٠٨ - مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الشيخ حسين النوري الطبرسي، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت - لبنان.
- ١٠٩ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت - لبنان.
- ١١٠ - المصنف، عبدالرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- ١١١ - المعارف، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: د/ ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة - مصر.

- ١١٢ - معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، ط ١٣٩٩ هـ،  
دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١١٣ - المعجم الكبير، الطبراني سليمان بن أحمد، ط ٢.
- ١١٤ - معجم المؤلفين، عمر كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء  
التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١١٥ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس زكريا، ١٤٠٤ هـ،  
مكتب الإعلام الإسلامي.
- ١١٦ - مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ط ٢،  
١٤٠٤ هـ.
- ١١٧ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور جواد  
علي، ط ٤، دار الساقى، بغداد - العراق.
- ١١٨ - الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، دار  
المعرفة، بيروت - لبنان.
- ١١٩ - مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب محمد بن علي، ط  
١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م، المكتبة والمطبعة الحيدرية، النجف  
الأشرف - العراق.
- ١٢٠ - من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق محمد بن علي  
ابن الحسين بن بابويه القمي، ط ٢، منشورات جماعة  
المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة - إيران.
- ١٢١ - المنمق في أخبار قريش، محمد بن حبيب البغدادي، عالم  
الكتب.
- ١٢٢ - موسوعة التاريخ الإسلامي، محمد هادي اليوسفي، ط ١،

- ١٤١٧ هـ، مؤسسة الهادي، قم - إيران.
- ١٢٣ - الموسوعة العربية، نسخة كمبيوترية.
- ١٢٤ - الموسوعة العربية العالمية، ط ١، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م،  
مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض -  
السعودية.
- ١٢٥ - الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي،  
منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم  
المقدسة.
- ١٢٦ - النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، تحقيق: طاهر  
الزاوي ومحمود الطناحي، ط ٤، ١٣٦٤ هـ ش، مؤسسة  
إسماعيليان، قم - إيران.
- ١٢٧ - الهداية الكبرى، الحسين بن حمدان الخصيبي، ط ٤،  
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.
- ١٢٨ - الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ط  
١٤٢٠ هـ، دار إحياء التراث، بيروت - لبنان.
- ١٢٩ - وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي  
محمد بن الحسن، ط ٢، جمادى الآخرة ١٤١٤ هـ،  
مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة -  
إيران.
- ١٣٠ - جريدة عكاظ، ٤ / ٤ / ١٤٣١ هـ، العدد ٣١٩٨.





## المحتويات

٥	الإهداء .....
٧	بين يدي الجلال .....
١١	الباب الأول: ولادة ونشأة .....
١٣	الفصل الأول: ولادة مباركة .....
١٣	الوالدان الجليلان .....
١٣	والده العظيم .....
١٦	أمه المنتجة .....
١٧	الولادة الميمونة .....
١٨	اسمه الشريف .....
١٩	ألقابه المباركة .....
٢٠	مع الواصفين لعبد المطلب .....
٢٣	الفصل الثاني: نشأة صالحه .....
٢٣	أيام الصبا .....
٢٥	أ- أخذه على حين غفلة من أمه .....
٢٦	ب- أخذه بعد استئذانه من أمه .....
٢٦	ج- أخذه بعد محاوره مع أمه .....
٢٨	وعاد إلى مكة .....

٢٩	..... الزواج المبارك
٣١	..... الباب الثاني: رائد الكمالات
٣٣	..... الفصل الأول: معالم التوحيد عند شيخ الموحدين
٣٣	..... شيخ الموحدين
٣٤	..... معالم التوحيد عند عبدالمطلب
٣٤	..... أولاً: الروايات الصريحة
٣٥	..... ثانياً: صريح أقوال المؤرخين
٣٨	..... ثالثاً: دلائل الأفعال
٤١	..... رابعاً: استجابة السماء لدعائه
٤٣	..... الفصل الثاني: ساقى الحجيج وبئر زمزم
٤٣	..... زمزم
٤٤	..... الرؤيا الصادقة
٤٥	..... العزم والإصرار
٤٦	..... الكثر المدفون
٤٨	..... عبدالمطلب والقرعة
٥٠	..... وجاءت التهاني
٥١	..... سقاية الحجيج
٥٣	..... الباب الثالث: قداسة القربان وفداء السماء
٥٥	..... الفصل الأول: قصة الذبح
٥٥	..... ١- ربط النذر بحفر بئر زمزم
٥٦	..... ٢- ما تذكر النذر فقط
٥٦	..... ٣- ربط النذر بموقف شخصي
٥٨	..... وحيل بينه وبين الذبح

- ٥٨ ..... ١- حمل عبدالله لنور النبي ﷺ
- ٥٩ ..... ٢- اجتماع قريش على منعه
- ٦٣ ..... رواية مختصرة
- ٦٤ ..... تعقيب مهم
- ٦٤ ..... - وضوح الجنبه الإلهية
- ٦٤ ..... - التحريف المتعمد
- ٦٦ ..... كلمة لا بد منها
- ٦٦ ..... الأول: قداح خاصة
- ٦٧ ..... الثاني: سبعة قداح
- ٦٧ ..... الثالث: قداح الميسر
- ٦٨ ..... أين يقع عمل عبدالمطلب؟
- ٦٩ ..... ماذا عمل عبدالمطلب؟
- ٧٣ ..... الفصل الثاني: قدسية الحدث
- ٧٣ ..... قدسية الحدث
- ٧٤ ..... أولاً: الافتخار النبوي
- ٧٦ ..... ثانياً: التخليد الإلهي للفداء
- ٧٦ ..... وقفة تأمل
- ٧٧ ..... مناقشة لتعليق
- ٨٣ ..... الآثار العظيمة لقربان عبدالمطلب
- ٨٧ ..... الباب الرابع: إشراقة النبوة في رحاب عبدالمطلب
- ٨٩ ..... الفصل الأول: عندما أشرق نور النبي ﷺ
- ٨٩ ..... آمنة وهالة
- ٩٢ ..... وجاءت بشارة الأنبياء
- ٩٤ ..... ساعة الولادة

- ٩٦ ..... أين كان والد النبي؟
- ٩٦ ..... أ- السفر
- ٩٧ ..... ب- الموت
- ٩٩ ..... الفصل الثاني: مع النبي ﷺ في نشأته
- ٩٩ ..... الأولى: الرضاعة والحضانة
- ٩٩ ..... الثانية: في كنف آمنة
- ١٠٠ ..... الثالثة: تفرد عبدالمطلب
- ١٠٠ ..... الرضاعة الميمونة
- ١٠٠ ..... وتنازعت المرضعات
- ١٠٢ ..... وقفة مع الصورة المحرفة
- ١٠٣ ..... وجاءت ساعة العودة
- ١٠٤ ..... في حضن آمنة
- ١٠٧ ..... الفصل الثالث: قصص نبوية
- ١٠٧ ..... مرض النبي ﷺ في صغره
- ١٠٨ ..... إجلاله للنبي ﷺ
- ١١٠ ..... بشائر النبوة ودلائلها
- ١١١ ..... التماس عبدالمطلب لبركات النبي ﷺ
- ١١٣ ..... الباب الخامس: ألم تر كيف فعل ربك؟
- ١١٥ ..... الفصل الأول: ما الذي حرَّك جيش أبرهة؟
- ١١٥ ..... ملوك عاصرهم عبدالمطلب
- ١١٥ ..... أولاً: ذو نواس اليهودي
- ١١٦ ..... ثانياً: ملوك دولة الأحباش
- ١١٦ ..... مدة الحكم
- ١١٧ ..... سيف بن ذي يزن

- أبرهة الحبشي ..... ١١٧
- شخصية أبرهة ..... ١١٨
- أسباب تحرك أبرهة الأشرم ..... ١٢١
- أولاً: الروايات تحكي سبب التحرك ..... ١٢٢
- الرواية الأولى ..... ١٢٢
- تعقيب ..... ١٢٣
- الرواية الثانية ..... ١٢٥
- تعقيب ..... ١٢٦
- ثانياً: وللمؤرخين تحليل آخر ..... ١٢٧
- عرض التحليل ..... ١٢٨
- وقفة مع الدكتور حسين مؤنس ..... ١٣٠
- وقفة تأمل ..... ١٣٥
- إجابة لتساؤل مرتقب ..... ١٣٥
- نقطة مثيرة ..... ١٣٦
- الفصل الثاني: وجاء أبرهة بجيشه ..... ١٣٩
- جيش أبرهة ..... ١٣٩
- وسار أبرهة بجيشه ..... ١٤١
- الموقف الأول: مع ذي نفر ..... ١٤١
- الموقف الثاني: مع الشعراء ..... ١٤٢
- الموقف الثالث: مع نفيل بن حبيب الخثعمي ..... ١٤٣
- الموقف الرابع: وفي الطائف حديث ..... ١٤٤
- الموقف الخامس: ونزلوا المغمس ..... ١٤٦
- رسول أبرهة لمكة المكرمة ..... ١٤٦
- طلائع جيش أبرهة ..... ١٤٧

- ١٥١ ..... الفصل الثالث: إن للبيت رباً يحميه
- ١٥١ ..... وجاء عبدالمطلب
- ١٥٢ ..... وقفة تأمل
- ١٥٣ ..... اللقاء بأبرهة
- ١٥٤ ..... محاولة أبرهة إرهاب عبدالمطلب
- ١٥٥ ..... الحديث المتبادل بين الطرفين
- ١٥٥ ..... الرواية الأولى
- ١٥٦ ..... الرواية الثانية
- ١٥٧ ..... نذير القوم
- ١٥٨ ..... وقفة تأمل
- ١٥٩ ..... روايات فيها نظر
- ١٦٠ ..... عرض للروايات
- ١٦٢ ..... وعاد عبدالمطلب منذراً
- ١٦٥ ..... وربض الفيل
- ١٦٥ ..... ولاذ عبدالمطلب بالبيت
- ١٦٩ ..... الطير الأبايل
- ١٦٩ ..... وقفة مع كلمة (أبايل)
- ١٧٠ ..... وقفة مع الطير
- ١٧٢ ..... والحجارة من سجيل
- ١٧٣ ..... الانتقام الإلهي
- ١٧٤ ..... تطلّع عبدالمطلب وحصاده
- ١٧٤ ..... تطلّعه
- ١٧٤ ..... حصاده
- ١٧٧ ..... الفصل الرابع: هوامش لا بد منها

- ١٧٧ ..... وقفة مع المشككين
- ١٧٨ ..... الأهمية الدينية للكعبة المشرفة
- ١٨١ ..... الأهمية الاقتصادية للبيت الحرام
- ١٨٢ ..... الأهمية الاجتماعية
- ١٨٢ ..... المنافسون لبيت الله عز وجل
- ١٨٥ ..... متى كان عام الفيل؟
- ١٨٦ ..... التعارضات التاريخية
- ١٩٠ ..... محصلة البحث
- ١٩١ ..... الباب السادس: مقاماته الإلهية
- ١٩٣ ..... الفصل الأول: حجة الله
- ١٩٣ ..... حيرة المفكرين في عبدالمطلب
- ١٩٥ ..... حجة الله
- ١٩٦ ..... ما المقصود بالحجة؟
- ١٩٦ ..... مع علماء اللغة
- ١٩٧ ..... مع علماء العقيدة
- ١٩٧ ..... الشيخ المازندراني ثُمَّ
- ١٩٨ ..... السيد علي الميلاني حفظه الله
- ١٩٨ ..... الشيخ محمد طاهر آل الشيخ راضي رَحِمَهُ اللهُ
- ١٩٩ ..... الشيخ الطريحي ثُمَّ
- ١٩٩ ..... الاستفادة من الروايات
- ٢٠٠ ..... شية الحمد حجة السماء
- ٢٠٠ ..... صريح الروايات
- ٢٠٣ ..... الفصل الثاني: شواهد الاجتباء لحجة السماء
- ٢٠٤ ..... ١ - إجابة الدعاء بسقيا السماء

- ٢٠٥ ..... الحادثة الأولى
- ٢٠٥ ..... الحادثة الثانية
- ٢٠٧ ..... تعقيب (١)
- ٢٠٨ ..... تعقيب (٢)
- ٢٠٨ ..... ٢- كرامة السماء بتفجير الماء
- ٢٠٩ ..... الحادثة الأولى
- ٢١٢ ..... تعليق (١)
- ٢١٢ ..... تعليق (٢)
- ٢١٣ ..... الحادثة الأخرى
- ٢١٦ ..... ٣- وهداهم الله بعدالمطلب
- ٢١٨ ..... وقفة تأمل
- ٢١٩ ..... الإمكانية العقديّة
- ٢٢٢ ..... ٤- دفع البلاء بمجاب الدعاء
- ٢٢٥ ..... الفصل الثالث: تمجيد السماء لعبدالمطلب
- ٢٢٥ ..... أولاً: عبدالمطلب في القرآن
- ٢٢٥ ..... ١- السور
- ٢٢٦ ..... ٢- الآيات
- ٢٢٧ ..... ثانياً: يحشر عبدالمطلب أمة واحدة
- ٢٣٠ ..... مع مصادر العامة
- ٢٣٣ ..... أول من قال بالبداء
- ٢٣٣ ..... ١- الروايات الواردة
- ٢٣٤ ..... تعليق
- ٢٣٥ ..... ٢- أخبار التاريخ
- ٢٣٧ ..... إضاءة للحدث



- الباب السابع: رجل الحضارة وبطل المواقف ..... ٢٣٩
- الفصل الأول: الدور الحضاري ..... ٢٤١
- أولاً: المعطيات التاريخية له ولآبائه ..... ٢٤١
- وقفات تأملية في أعمالهم ..... ٢٤٤
- ثانياً: الدور التمهيدي للدعوة النبوية ..... ٢٤٦
- ثالثاً: حلف خزاعة ..... ٢٤٨
- رابعاً: مظاهر السيادة والقيادة ..... ٢٥١
- الفصل الثاني: اللقاء مع سيف بن ذي يزن ..... ٢٥٥
- من هو سيف بن ذي يزن؟ ..... ٢٥٥
- الإمكانية التاريخية ..... ٢٥٦
- مصادر الرواية ..... ٢٥٧
- زمن الوفاة ..... ٢٥٨
- الحدث بين الإيجاز والإطناب ..... ٢٥٩
- الرواية المفصلة ..... ٢٦٠
- رأي وتعقيب ..... ٢٦٢
- رأي في الرواية والحدث: ..... ٢٦٢
- تعقيب ومناقشة: ..... ٢٦٣
- الفصل الثالث: مقتطفات من مكارمه ومواقفه ..... ٢٦٧
- الشيم الشريفة ..... ٢٦٧
- الحلم والأنفة ..... ٢٦٩
- وكان عمله منهاجاً يقتدى به ..... ٢٦٩
- السخاء والعطاء ..... ٢٧١
- الفصل الرابع: نماذج من شعره ..... ٢٧٣
- الباب الثامن: وأذنت الشمس بالمغيب ..... ٢٨٥

٢٨٧	..... الفصل الأول: خاتمة المطاف مع النبي
٢٨٧	..... الاهتمام بمستقبل النبي ﷺ
٢٨٨	..... وكفله أبو طالب
٢٩١	..... وداع النبي ﷺ لجدته
٢٩٣	..... الفصل الثاني: من الوداع إلى الرحيل
٢٩٣	..... وبكت بناته قبل الرحيل
٢٩٦	..... ولملمت الشمس خيوطها
٢٩٦	..... عمره الشريف
٢٩٧	..... السيرة الحلبية
٢٩٧	..... عيون الأثر
٢٩٨	..... شهر وفاته
٢٩٨	..... موضع قبره
٢٩٩	..... الفصل الثالث: عبدالمطلب في قوافي الشعراء
٢٩٩	..... المرثي
٣٠٣	..... شبيهة الحمد
٣٠٥	..... الخاتمة
٣٠٧	..... المصادر
٣٢١	..... المحتويات